

كتب قومية



أضواء

على طريق الرعاية الاشتراكية



بقلم

أحمد جمال الدين الطائف



الفتوى

على طريق الدعاة الاشتراكيين
بقلم أحمد جمال الدين الطائف

مقدمة

ديمقراطيتنا السليمة ترفض أن تكون القوة الغاشمة وسيلة للحكم، وترفض أن تقوم قيادة الجماهير على الخداع والتضليل والهباب حواسهم ومخاطبة عواطفهم دون عقولهم كما كان الحال في عهود الديمقراطية الزائفة، فيما قبل الثورة .

ان ثورتنا تؤمن بأن الحكم الديمقراطي السليم يستند أولا وأخيرا على قاعدة صلبة عريضة من رأى عام موحد واع متماسك ، يؤمن بمبادئها وأهدافها عن دراسة واقتناع، واطمئنان الى سلامة خططها وسداد خطواتها، لتلتف جماهير الشعب سياجا منيعا تحمى ثورتها ، وتنطلق فى صناعة التقدم مهما بلغ الجهد ، ومهما عظمت التضحيات .

لقد ظل عبء خلق رأى عام موحد واع منذ قامت الثورة الى أن صدر ميثاق العمل الوطنى فى يونية سنة ١٩٦٢ - مرتبطا أشد الارتباط بخطب الرئيس جمال عبد الناصر وبياناته ، كذلك الصفوة الممتازة من رفاقه ، ثم أجهزة الاعلام والصحافة . . فلما صدر الميثاق أصبح وعاء لوحدة فكر، ودليلا للعمل والسلوك ، ومرجعا للنظرية السياسية الجديدة .

ولكن الثابت علميا أن وسائل الاعلام والمطبوعات لا تغطى سياسيا جميع الأفراد ، ولا تصل الى العمق الذى تصل اليه عملية الدعوة الشخصية المباشرة وجها لوجه ، أى أنها لا تؤدى الى تجنيد أو تعبئة فكرية مثل . . .

خلاف افراد القياديون الدعاة هم حجر الزاوية فى خلق الرأى العام وقيادته وتوجيهه وتعديله . . وعملية الدعوة تركز على مجموعة العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية ، وتحتاج الى تدريب ومران وممارسة، وتعتمد على قياس اتجاهات الرأى العام لمعرفة اهتمامات الجماهير لبدء

الدعوة من حيث يهتمون ، وعلى اكتشاف التيارات المضادة لاقتلاعها من جذورها وتنقية تربة الراى العام منها .

لهذا أنشئت المعاهد الاشتراكية ، ثم أقامت لجنة الاتحاد الاشتراكي العربى بمحافظة القاهرة دورتها التدريبية الأولى للقياديين فى يوليو سنة ١٩٦٥ . وكان لى شرف عضوية هذه الدورة والتزود من عذب مناهلها . . وهأنذا أحاول أن أفى بمثقال ذرة من دينى نحو وطنى وثورتى واخوانى الدعاة معهما الجزء الأول من « أضواء على طريق الدعاة الاشتراكيين » والفضل كل الفضل للدورة التدريبية ولأساتذتها الأكرمين ، ولأصحاب المراجع التى استعنت بها .

هذا الكتاب ينقسم قسمين : يتعلق الجزء الأول منه بأمور الدعاة والدعوة عمليا وفنيا ، أما الموضوعات الأخيرة فهى الخطوط العريضة التى يجب أن تتركز عليها الدعوة ، ومنها تتشعب فى هذه المرحلة . . . مرحلة الانطلاق الى مجتمع أفضل ، وآفاق أمتع وأكمل حرية واشتراكية ووحدة، آملا أن أكون قد وفقت الى زيادة فى تحديد معالم طريق الدعاة ولو زيادة طفيفة .

والله ولى التوفيق .

المؤلف

أحمد جمال الدين الكاشف

♦ الدعوة والدعاة

ان لفظ «توعية» يتضمن استخفاً مقدماً بمقومات الجماهير وينطوي على فرض عدم ادراكهم للحقيقة ، لذلك فان استخدام لفظ « دعوة » أفضل في هذا المقام ، لأنه يتضمن احتراماً لآراء الجماهير وتصوراتهم ، وينطوي على اقرار بالفوارق الفردية ، واختلاف حوافز التجمع التي ينشأ عنها تكوين الجماعات المختلفة .

فضلاً على ذلك فان لفظ « الدعوة » يحمل من العمومية والشمول ما يغطي كل معاني التوعية ، والارشاد ، والتعبئة ، والتثقيف ، والتبصير ، والتوضيح .

تعريف الدعوة :

مما تقدم يتضح لنا أن « الدعوة » عملية جماهيرية قوامها الاتصال بالأفراد والجماعات والتأثير عليهم ، وتعبئتهم في اتجاه معين ، عن طريق الاقناع ، وباستخدام وسائل الايضاح التي تختلف باختلاف البيئات ، والفئات ، والمستويات الجماهيرية من حيث أنماطها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، كما تختلف أساليب الدعوة أيضاً باختلاف موضوعاتها .

أهداف الدعوة الاشتراكية :

تتلخص بصفة عامة في انجاز عملية تغيير ثقافي فكري عقائدي ، يرفع من مستوى الرأي العام الشعبي ، ليصبح في خط مواز لعملية التغيير المادي والاقتصادي والاجتماعي والتشريعي . . تلك العملية المعجزة التي شملت مختلف القطاعات في قفزات وثابة وخلال فترة وجيزة . . مما أوجد بعداً شاسعاً بين الكيان الفكري العام وبين المنجزات الثورية المتفوقة في مختلف المجالات .

ولايجاد هذا التوازي كان هدف الدعوة هو تدعيم كل من الفكر والسلوك في المجتمع ، وتعبئة قوى الشعب العاملة — بجذ واستمرار — لمضاعفة الجهد ، وحث المسير في طريق تحقيق خطط التنمية ، بجهد مزدوج . . وفي سبيل ذلك لا بد من تطهير طريق العمل الثوري التقدمي من أعداء الاشتراكية ، وكشف أساليبهم المعوقة ، والاحتراس منها ومن آثارها الضارة . وعلى هذا الأساس تتركز مهمة الدعوة فيما يلي :

١ - خلق وحدة فكر ، ورأي عام مستنير ، عن طريق تنمية المستوى الفكري والاشتراكي والانتاجي للجماهير .

٢ - تربية القدرة على حسن تفسير الأحداث وإدراك الحقائق وتمييز المفاهيم المدسوسة واستبعادها .

٣ - تنمية امكانيات تحقيق أهداف خطط التنمية ومضاعفة الانتاج من أجل مضاعفة الدخل القومي ومن ثم مضاعفة الدخل الفردي .

٤ - القضاء على آثار ورواسب الفكر الاستعماري والاقطاعي والرأسمالي والرجعي .

٥ - ايجاد التفاعل الكامل ، وتبادل التأثير والتأثر التام بين الجماهير والقيادة .

٦ - تعبئة قوى الشعب العاملة لموازرة الثورة وحماية ما أثمرته من مكاسب في الداخل والخارج ، والقضاء على أسباب الانحراف .

٧ - كشف القوى الرجعية المعادية للاشتراكية ، وأوكارها ، وأساليبها ، وشل نشاطها ووقف فاعليتها .

٨ - الاحتفاظ المستمر بمستوى حماسة الجماهير وتجاوبهم مع المبادئ الاشتراكية ، والتزام العمل بمقتضاها .

التطور المرحلي للدعوة :

وعملية الدعوة - كما نص الميثاق - تختلف من مرحلة الى أخرى . .
ولقد ميز السيد / كمال الدين الحناوي بين المرحلتين الآتيتين : -

١ - مرحلة التبشير : وقد اجتزناها عند قيام الثورة ، وفيها يعتمد الداعية على عمليتين أساسيتين :

(أ) الادانة : أي إبراز المفاصد والمظالم والمبازل التي سادت المجتمع ، ونشرت الجوع والدموع والذل والمهانة وأهدرت حقوق الانسان وأدميته .

(ب) التبشير : وهو أن نتبع إبراز الصورة الماضية المظلمة الداكنة العفنة ، بإبراز صورة وضاء ناصعة فياحة ، لعالم أفضل تسوده العدالة الاجتماعية والحرية والرخاء والعزة . . . مجتمع قادر على التغيير الجذري . .
وذلك باستخدام شعارات رنانة ملتهبة مثيرة تؤدي الى جمع الناس والتفافهم حولها وحول المنادين بها . . والواقع أنها عملية سهلة ، لأنها تجتذب نفوس الشباب المغامر ، وحماسة الجماهير المغلوبة على أمرها ورضا ذعاة الاصلاح .

٢ - مرحلة البناء : وتبدأ بعد نجاح الثورة ، واستيلاء النوار على السلطة ، وتحقيق التحرر والاستقلال . . . حينئذ تستنفذ الشعارات البراقة أغراضها ، وتفقد صلاحيتها لتسحق الهمم وازكاء الحماسة . فلا يمكن أية قوى أن تحرك الجماهير وتجمعهم في إطار معين ، سوى الاقناع الاقناع بالحقائق . اذن تبدأ عملية الدعوة في مرحلة البناء بعملية أساسية ضرورية هي جمع أوفر محصول من الحقائق والمعلومات والا أصبح الداعية وسط الجماهير أتسبه بجندى ألقى في ميدان بلا سلاح . . . ذلك أن عمل الداعية يتبلور في ثلاث حركات يكمل بعضها بعضا وهي : -

(أ) بناء وربط (ب) تسليح بالقيم (ج) دفاع

(أ) عملية البناء والربط : ويقصد بها تجمع الأفراد والجماعات ، بوصفهم لبنات في بناء المجتمع ، وربطهم بعضهم ببعض بعلاقات بناءة عجيباتها خليط منسجم من اهتماماتهم ومن المفاهيم الثورية ، ثم ربطهم جملة بالنظرية السياسية الجديدة ، وجعلهم جزءا لا يتجزأ من البناء التنظيمي السياسي ، يتبادل معه تيارات التأثير والتأثر والالتزام .

(ب) عملية التسليح بالقيم : وتلك عملية طويلة معقدة ، تحتاج الى مزيد من الصبر والأناة ، والى طاقة فياضة من قوة الاقناع : فهي تبدأ أولا بإزالة ما يمكن أن يكون عائقا في أذهان الجماهير ونفوسهم من مفاهيم وأنماط سلوكية أو ثقافية قديمة بالية أوجدها الاكتساب بفعل الثقافة أو التعود أو قابلية الإيحاء . ويستتبع الداعية عملية الإزالة والتطهير بعملية تسليح الجماهير بالقيم والمفاهيم والمبادئ الحديثة التقدمية .

وهيئات أن يستطيع الداعية القيام بذلك ما لم يدرس النظرية السياسية الجديدة بعمق ووضوح ، وما لم يعتبرها ركيزة العمل السياسي وفلسفته ، والأداة الحقيقية لاتمام التغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي

ودراسة النظرية السياسية الاشتراكية العربية - في حد ذاتها - أمر يسير ، لا يتطلب من الداعية العادي أن يتفقه في السياسة ومذاهبها وتاريخها ، ويحسن أن يبدأ باستيعاب المراجع الآتية : -

١ - الميثاق : مع الاحتراس من التأويل ، وادراك أن بعض الحبناء يتحینون فرص شدنا عن طريقه الى نظم لا ندين بهما ولا يمكن أن نؤمن بمبادئها .

٢ - خطب الرئيس عبد الناصر وبياناته في مجلس الأمة .

٣ - بيانات رئيس مجلس الوزراء .

٤ - البيانات الرسمية والاحصاءات المتتالية .

٥ - دراسة نظريتنا الاشتراكية العربية من واقع استقراء تاريخنا ،
هقيمننا الروحية وتقاليدينا ، وتطورات مجتمعنا في مختلف مراحله : في
الماضي والحاضر ، وما نأمل أن يكون عليه مستقبلا ، والالام بقوانيننا ،
وتحليل الطبقات الاجتماعية وموقف كل منها تجاه الأخرى من حيث
التفاعل والتكامل أو التمايز والتفاضل .

بغير ذلك لا يستطيع الداعية ربط الجماهير بالنظرية السياسية ربطا
وثيقا ، ولا دفعهم نحو تحقيق الاهداف الثورية . بدون ذلك يعجز عن
اقناعهم بما سوف يعود عليهم به ولاؤهم للتنظيم السياسي - من خير ورخاء
ومجد . . بدون ذلك يعجز عن أداء العمل السياسي ، بل قد يتورط في
نشر مفاهيم خاطئة وتفسيرات مضللة . . تقود الجماهير الى متهات فتضر
بالخطة .

(ج) عملية الدفاع : من الطبيعي أن العناصر المضادة : الرجعية
والاستعمارية ، في الداخل والخارج ، لا تقف موقف الرضا من عمليات
البناء المادي والفكري في المجتمع الجديد المتقدم ولا من عمليات الربط
العقائدي ، ولا من عمليات التسليح الاقتصادي والحربي والمذهبي . . انها
تقابل البناء بالهدم ، والربط بالتفكيك ، والتسليح بالتجريد ، والتأكيد
بالتشكيك . . . محاولات تترى متتابعة ككتابع الأمواج المتهالكة عند أقدام
الجبل الصلد الأشم . . فالمعركة معركة حياة أو موت بالنسبة للرجعية
وللاستعمار ومن ورائهما التبع الانتهازيون . . . ومن مجموعهم تتكون قوى
مبعثرة محيطة أو مندسة متسترة ، تحاول بأخبت أساليب الاثارة تشكيك
الجماهير في مبادئها وقيادتها لأن تستعيد مواقعها الطبقيّة الاجتماعية ،
والاقتصادية الاقطاعية الرأسمالية ، والسياسية الاستبدادية الاحتكارية -
تلك المواقع الاستراتيجية - للتحكم في أقوات وحرّيات وحياة الشعب -
التي فقدتها وانحسرت عنها مرغمة أمام جحافل الزحف الثوري المقدس ،
وانتصاراته المظفرة المتتالية .

فهم لا يسكتون . . سلاحهم التقليدي الاذاعات الأجنبية ، والصحف
العالمية المأجورة ، وفلول الجواسيس ، وطغمة من المخربين يملئون جراب
حياتهم ، بسموم أحقاد ينفثونها في شرايين الرأي العام ، مدفوعين بنزعات
طبقية أو توترات رجعية ، أو عملات أجنبية .

فهم بين موتور ومسعود ومأجور ، يقضون الساعات الطوال - أينما كانوا في الأندية والصالونات - يتبادلون الشائعات والتوقعات .. كل منهم يشير الى نفسه بأنه عليم ببواطن الأمور ومن عداه واهم مغرق في التفاؤل أو مغرور .. ينكرون شمس التقدم برغم أنها تبهر أعينهم ، ينتقدون كل شيء متظاهرين بالحرص على الثورة ، ويعوقون كل عمل باسم « الروتين » ، وماهم في الواقع الا مخربون هدامون : للشاعات مروجون ، ولدعوى الفشل في المشروعات مرددون ، ولنار التشكيك مشعلون ، ولتفتيت وحدة الشعب والأمة والاتحاد محاولون . هدفهم الحقيقي بلبلة الأفكار ، ونهيج الخواطر ، والنيل من ايمان جماهير الشعب العاملة أصحاب المصلحة الحقيقيين في الاشتراكية والديمقراطية . انهم من فصيلة الطابور النازي الخامس ، وانهم أشد خطرا من جيش مهاجم في معركة مكشوفة . فلكى تتكسر أمواجهم عند قدمي الجبل الشعبى الأشم ، لابد الا يكون الجبل أجوف وانما أصم ، يحقق الدعاة عناصر تكوينه من أفراد وجماعات بالمصل المذهبي الواقى .. ويزودونها بالأسلحة الفكرية ، ويقودونها في معركة التصدى لمحاولات الاستعمار والرجعية .

دعائم عملية الدعوة :

عملية الدعوة جزء من العمل اليومى للدعاة ، تماما كالعمل الاصلى المعتاد ، سواء من حيث الالتزامات ، أو من حيث الاستعداد الذاتى ، والمواهب ، والمهارات التى ينبغى اكتسابها بالاطلاع والبحث والتدريب ، أو من حيث الموضوعات والأساليب .. وبهذا الشكل يمكن الوصول الى أن عملية الدعوة تركز على الدعائم الآتية : -

١ - داعية ٢ - موضوع

٣ - الأسلوب ٤ - وسيلة

أولا - خصائص الداعية : الداعية نجم لامع في محيط جماعة ، يتصدى لقيادتهم فكريا . وهو فى موقفه هذا يحتاج الى ركيزتين هما : ثقة الجماعة والقيادة ، والقدرة على الاقناع ، وكل منهما مقدمة للأخرى ونتيجة لها فى الوقت نفسه .

١ - **اكتساب الثقة :** لن يستطيع الداعية اقناع الجماهير الا اذا حاز ثقتها حتى يسود العلاقات بينه وبينها جو من تبادل التأثير والتأثر ، والفاعلية والاستجابة ، والتبيان والقبول يؤدى الى رسوخ ما ينقله اليها

من وجهات نظر ، وقرارات ، والثقة المطلوب اكتساب الداعية لها هي : -

(١) ثقة رأسية يودعها فيه جميع من يعاملهم على السلم القيادي في التنظيم السياسي تجاه القمة أو القاعدة ، أينما كان وضعه كحلقة من حلقات الاتصال بين مستويين . . . ويزداد تراكم هذه الثقة من أعلى كلما توخى الصدق والأمانة والحماسة والسرعة في نقل قرارات القيادة وشرحها للجماهير بأقصى قدر من التأييد والمساندة وتجميع الناس حولها . . . كما تتضاعف ثقة الجماهير فيه كلما ترجم بنفس الروح مشاعر الجماهير واحساساتهم وآرائهم في هذه القرارات ، ونقل صوراً حقيقية عن مشاكلهم اليومية والعلمية وحتى العائلية منها - الى القيادة في نفس المستوى ، وفي القطاعات التي يتنقل فيها ويفرز بين جماهيرها دعوته وقرارات التنظيم السياسي . فتثقة الزملاء تسهل عمله وتوفر جهده ، وتضيف على عملية الدعوة فوائد التعاون .

أما عوامل الثقة فهي : -

١ - المخالطة الواسعة العميقة ، والارتباط بالناس في العمل والحى بعلاقات وثيقة ، يؤكدها ويدعمها ويقويها الاتصال المستمر المتكرر الطويل ، والاهتمام بمشاكل الناس ومتاعبهم وظروف عملهم .

٢ - القدوة في العمل والسلوك ، وتقديم المصلحة العامة على الخاصة والتمسك بالقيم الروحية والدينية دون اظهار . . . فان الدين ليس مجرد فرائض وطقوس ، وانما الدين المعاملة والقدوة الحسنة .

٣ - الصدق في القول والعمل ، وبسط الحقائق بلا تضليل أو مداورة أو تهوئش بقصد التشويق والاغراء ، والصدق هنا لا يعني فقط مجرد الصدق الأخلاقي كفضيلة دينية وانسانية ، ولكن يعني الصدق العملي المبني على الحقائق والأرقام والأساليب والمعلومات العلمية الاحصائية والنظرية والتجريبية التي يجب على الداعية اللجوء اليها والتوجيه الى اتباعها في كل عمل .

٤ - عدم التعالي على الجماهير . . . ودعوتهم بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والمشاورة في الأمر ، وذكر قوله تعالى : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

٥ - النأي عن الجدل في المسائل الدينية الا لمن هم على درجة عالية من التمكن والتخصص في العلوم الدينية ، وعلى غيرهم أن يستفتوا أهل

الكتاب فيما يواجهون به من تساؤلات .. هذا مع ضرورة التأكيد بأننا حماة الدين ، مؤمنون به كل الايمان ، ولن نكون ماديين أبدا .

٦ - الاهتمام بالتثقيف المحلي أو المعاونة عليه سواء في مكافحة الامية أو التدريب والتأهيل المهني وغيرها، دون الاقتصار على مجال الثقافة السياسية .

٧ - عدم ارتباط الداعية في أذهان الجماهير بروابط سياسية عنبودة ، أو روابط عنصرية أو مذهبية ذات سمعة سيئة ، أو جماعة أو شلة مكروهة أو مشبوهة .

٢ - مقومات الاقناع : ان الحصول على الثقة حصول على نصف اقناع، أما الاقناع الكامل فيحتاج الى دراية ومعرفة ودراسات وتجارب وتحليل لنفسية الجماهير والبيئة الاجتماعية وظروفها الثقافية والاقتصادية والطبقية والمهنية .

الاقناع يحتاج الى عملية مسح اجتماعي للبيئة ، وعملية استعلام مبنية على الحصول على أصدق البيانات والمعلومات والحقائق من أوثق المصادر - لا من حيث النظرية السياسية الجديدة وحدها كما سبق ذكرنا - ولكن أيضا عن خصائص البيئة موضوع النشاط من حيث مشاكلها واتجاهات جماعاتها ، ومراكز التجمع والتخلخل بها ، وطبيعة معوقات عملية الدعوة فيها معنوية كانت أو بشرية .. وفيما عدا ذلك فهناك عدة مقومات لزيادة القدرة على الاقناع يمكن تلخيصها فيما يلي : -

(أ) دراسة البيئة المحلية اجتماعيا وفكريا وأيديولوجيا وعمليا ، ومن حيث المشاكل واتجاهات الرأي العام المحلي لامكان وضع خطة عمل ناجحة .

(ب) الالتزام بمبادئ النظرية السياسية الأصلية كمبدأ القضاء على الاستغلال والنفعية والانحراف ، ومبدأ محاربة البيروقراطية ، ومبدأ سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ، ومبدأ الصراع السلمي بين الطبقات ، ومبدأ تذويب الفوارق بين الطبقات وعدم سيطرة طبقة على غيرها ... الخ .

(ج) الايمان بأن الدعوة هي الوقود المحرك لهذا المجتمع الجماهيري الضخم ، والعمل على حشد أكبر عدد من العناصر القيادية المحلية المتعاونة، المسلحة بالوعي والصلابة والطموح ، حتى يتيسر تغطية الشعب كله بجهودهم ، وتسليحه وتحصينه ضد العناصر المضادة ، ونبنى بالوضوح

الفكرى حصنا منيعا يقى الرأى العام من أباطيل العناصر الرجعية أصحاب.
الحزب المستتر غير المرخص ، ويظل زمام المبادرة فى الأيدى الاشتراكية
النظيفة ، وتسود الكلمة الاشتراكية العربية سبابة مدوية ترد على
تساؤلات الجماهير دون أن تترك فرصة لغيرها أن يبادر بالرد ناشرا
الشكوك والتعويق محاولا الاستيلاء على الأرض الشرعية للاتحاد الاشتراكي
العربى .

ان توسيع قاعدة الدعاة القادة لحراسة الثورة وجماهيرها ومكاسبها
أمر أدركته الدول المتقدمة فأصبح عدد الدعاة فى بعضها يتردد بين ١ : ٣٠
مواطننا و ١ : ١٠٠ مواطن .

(د) استمرار التحلى بالصدق الثورى مع نفس القائد الداعية ، ومع
مبادئه ، ومع الجماهير .

(هـ) عدم اخفاء أى جزء من الحقيقة فهما بلغ ، والا فان الشعب يدفع
ثمن الجزء من نضاله الطويل فلا ينبغي أن يلجأ الداعية الى الاخفاء تحت
تأثير المجاملة أو الرياء أو الخضوع لنوع من المؤثرات .

(و) العمل على ضمان ولاء الجماهير ، واستمرار هذا الولاء ، علما
بأنها لا تطيع التنظيم السياسى أو تنقاد له وتربط مصيرها به الا اذا نجح
الدعاة فى كسب ثقتها واقتناعها .

ثانيا - موضوع الدعوة :

مهما كانت طرافة الموضوعات التى يلقي بها الداعية الى الجماهير ،
ومهما كانت حلاوة ايقاعها ، فانها لن تجد صدى حسنا ، واستقرارا فى
نفوسهم - ما لم تركز على قضايا تهمهم مناقشتها ومتابعتها ، ويجدون
أنها تمحو علامات الاستفهام المتواترة فى مخيلتهم .

ان المدخل الحقيقى الناجح الموصل لعقول الجماهير وأفئدتهم ونفوسهم
هو موضوع اهتماماتهم الذى يمس حياتهم الخاصة وتطلعاتهم العامة .

واستكمالا لعملية الدعوة الناجحة ، ينبغي بالضرورة استخدام
أساليب متغيرة فعالة أساسها اتاحة الفرص للاحتكاكات الذهنية بالمناقشة
والجدل والنقد حول الموضوعات الهامة وفى منظمات التنظيم السياسى .

ومن ذاك المدخل ، وبهذا الأسلوب ، يمكن توصيل الموضوعات الآتية-
التي تتناولها الدعوة فى مرحلة البناء :

٢ - موضوعات عامة لها صفة الثبات والاستمرار :

مثل المبادئ الاشتراكية ، والديمقراطية ، وسياستنا فى الداخل والخارج ، وقواعد النقد . . . الخ .

٣ - موضوعات عامة مرحلية مؤقتة :

مثل مشاكل التمويل الطارئة ، ومشاكل الانتاج والاستهلاك ، والادخار والاستثمار ، وقواتنا فى اليمن . . . الخ .

٣ - موضوعات نوعية :

تختلف باختلاف القطاعات بين عمال وفلاحين ورأسمالية وطنية وجنود ومثقفين . . . الخ .

٤ - موضوعات خاصة :

تختلف باختلاف البيئات والوحدات الأساسية ، والمستويات الثقافية ، والفئات المهنية .

ثالثا - الأسلوب :

يجب أن يكون الأسلوب مناسباً للجو الثقافى السائد من حيث مستوى اللغة ولهجاتها . . . وذلك من حيث المبنى . . . أما من حيث المعنى فبعد أن يصبح الداعية على ادراك شامل للظروف المحلية والدولية ، وكل العوامل المؤدية الى نشوء حالة ما - تتضاعف قدراته على النجاح بقدر ما يستطيع أن يجعل من نفسه بين جماهيره هدفا لعلامات الاستفهام ، ومنهلاً عذبا مشبعا لكل متسائل ، وبنفس القدر يصبح فاشلا مهجورا اذا ما انطبع فى أذهان الناس باللجوء الى انكار حقائق موجودة يلمسونها كنقص حقيقى فى سلعة ما ، أو مشكلة عمالية قائمة ، حينئذ يسحبون منه ثقتهم وتنعدم فاعليته وتأثيره ، ويفقد القدرة على القيادة والتوجيه ، والدعوة لم تعد كما كانت قبل الثورة مغالطة ولا خداعا بالمنى مصوغة فى الفاظ منمقة وعبارات مزوقة ، وانما هى أضواء توضح الحقائق ليرى الناس صورة كاملة لمسئوليتهم فى عملية البناء وخطط التنمية من أجل تحقيق آمالهم وضمان مستقبل الأجيال القادمة من أبنائهم . . . فان كل توضحية تطلب منهم لابد أن يبررها الداعية على أساس من صدق الأسباب، فاذا اعوزته استمدتها من الدراسة أو من القيادة .

والواقع أن مهمة الداعية تكون صعبة حينما تصدر قرارات تلقى على أكتاف العاملين بالتزامات جديدة ، وعندما تشغل أذهانهم مشكلة معينة وخاصة ما يتعلق بالعمل ولقمة العيش ، في مثل هذه الحالة يواجه الداعية بنوع من الصدد الناشئ عن القلق ، ويصبح اقناعهم بمفهوم ما من أصعب الأمور وحينئذ يتعين عليه دراسة آثار القرارات الملزمة ونتائجها ، ثم يوضح للجماهير في صبر وأناة - مدى ما سوف يترتب عليها من نفع عاجل أو آجل ، ومدى ما يعود على المجتمع ثم على الأفراد من ثم - بوصفهم أعضاء مجتمع اشتراكي متكامل - من هذا النفع ، ويبين لهم ضخامة هذه المنافع اذا قيست بالتضحيات المطلوبة - ومن ناحية أخرى عليه أن يدرس المشاكل التي تعطل استجابة الجماهير للدعوة ، ويعمل على حلها بمختلف الاتصالات الشخصية الحميدة، فان لم يستطع فبالطرق القانونية المشروعة، فان لم يستطع فيرفعها مشفوعة ببحثه الى المستويات العليا ، وهذا أضعف الايمان .

رابعاً - وسائل الدعوة :

يستخدم الداعية في أداء رسالته نوعين من الوسائل :

(أ) وسائل مباشرة .

(ب) وسائل غير مباشرة .

(أ) الوسائل المباشرة :

طرق يختارها الداعية مع علمه أن الجماهير تدرك أن ما تسمعه أو تقرأه يقصد به اقناعها برأى معين ، أو ابلاغها حقائق معينة مثل :

١ - التوعية الفردية .

٢ - حلقات المناقشة .

٣ - الندوات .

٤ - المحاضرات والمناظرات .

٥ - الاجتماعات والمؤتمرات والحفلات .

٦ - المقالات .

٧ - المنشورات .

٨ - جريدة الحائط .

٩ - الشعارات •

١٠ - المكتبات •

وتسمى الوسائل الخمس الأولى بالوسائل الانصالية وهي أعمق أثرا من باقى الوسائل ويطلق عليها وسائل اعلامية : فالأولى تعتمد على لقاء الداعية شخصا وجها لوجه مع الافراد والمجموعات .. غير أن الوسائل الاعلامية الأخيرة تتميز بخاصية احتفاظ الأفراد ببعضها لامكان الرجوع الى تفاصيلها وقت الحاجة •

(ب) الوسائل غير المباشرة :

وهي طرق يختارها الرواد أو القادة أو الدعاة ، ولا يعلم الجماهير أنهم طرف فى عملية الدعوة مثل :

١ - العمل الأمثل : أى أن يؤدي الداعية عمله بنجاح يعود عليه بالنفع ، فيصبح قدوة لغيره ، وخاصة فى مجال زيادة الانتاج وجودته وسرعة أدائه وقلة نفقته .. كالفلاح الذى يبتكر طريقة تزيد غلة الفدان ، أو يصل الى انبات صنف جديد من المحصولات ، والعامل الذى يدخل تعديلا بسيطا على الآلة، أو يختصر عدة حركات من طريقة العمل ، أو يقلل جزءا ملحوظا من المادة الخام •

هذا نوع من وسائل الدعوة العملية يخدم نشر الفكرة الاشتراكية دون شك •

٢ - الآداب : من شعر ونثر وزجل وقصص •

٣ - الفنون : المسرحية والسينمائية والموسيقية والتلفزيون والرسم والنحت والتصوير .. الخ •

٤ - زيارة معالم التغيير الثورى •

٥ - المعارض •

٦ - المناقشات الحرة الفردية •

وكلها أساليب تدخل فى نطاق واجبات الداعية الاشتراكي .. ومن صميم رسالة الاتحاد الاشتراكي العربى •

ومن الحقائق الهامة أن الدعوة العابرة أثرها عابر أيضا لا يستديم أثره .. ولذا فإن الداعية المقيم أعمق أثرا فيمن يخاطبهم ، لأنه أقدر على

مخاطبتهم بلهجتهم المحلية ، وأدري بمشاكلهم الخاصة والنوعية ، وحظه من ثقتهم أكثر لارتباطه بهم بالعمل والاقامة والصداقة والعشرة ، وقد يكون مرتبطا بهم عن طريق القرابة كما هو طابع المجتمع الريفي .

ولذلك فالداعية المقيم ذو تأثير عميق مستمر ، وهو أيضا أدق في تصوير حقائق مشاكل واتجاهات البيئة المحلية التي ينقلها الى القيادة .

لأجل هذا تسند بعض البلاد الاشتراكية هذا العمل السياسى الى المديرين الذين يعينهم التنظيم السياسى بوصفهم أعضاء الكادر السياسى، ولهم على العمال سلطات ، وهم يحيطون بتفاصيل مشاكلهم وأعمالهم اليومية .

وهكذا نرى أن الدعوة علم وفن وقدرة على الحركة والاقناع ، وهى قبل ذلك خلق ، وبعد ذلك ضرورة ملحة لربط الفرد بالمجتمع المحلى والدولى . . وهى أيضا ضرورة الحق القيادات المتجددة المتعددة التى قال عنها الرئيس جمال عبد الناصر :

« اننا دائما فى حاجة ملحة الى توعية الجماهير المعبأة، توعية مستمرة وعميقة تكفل قيادات متعددة للنضال الشعبى ، وقواعد تمتد الى كل مركز من الوطن » .

... ان الأمل الحقيقى هو فى استمرار النضال ، وتأكيد الاستمرار حين يكون هناك فى كل وقت جيل جديد على أتم استعداد للقيادة وحمل الأمانة ومواصلة التقدم بها :

أكثر وعيا من جيل سبق . .

أكثر صلابة من جيل سبق . .

أكثر طموحا من جيل سبق . .

ان حرية القيادات يجب أن تستمد حقها من حرية القواعد الشعبية .

ان ممارسة الحرية تخلق القيادات المتجددة للعمل الثورى ، وتدفعها

دائما الى الأمام . . وتخلق قيادة من التفكير الجماعى القادر على صد نزعات التحكم ، وتوفر للعمل الوطنى ضمانات بعيدة المدى .

القيادة الحقيقية هى الاحساس بمطالب الشعب ، والتعبير عنها ، وايجاد الوسائل لتحقيقها ، وتجميع قوى الشعب وراء الجهود المحققة لها .

ان خلاص الشعب المصرى لقضية الثورة ، ووضوح الرؤية أمامه ، واستمراره الدائم فى مصارعة جميع أنواع التحديات ، قد مكنه دون أدنى شك من تحقيق نموذج رائع للثورة الوطنية ، وهى الاستمرار المعاصر لنضال الانسان الحر عبر التاريخ من أجل حياة أفضل .

القيادات الجديدة المتصدية لتحريك التطوير الوطنى قوة هائلة لا بد من حمايتها لتؤدى رسالتها الوطنية بالنجاح المطلوب .

ان أية محاولة لاختفاء الحقيقة أو تجاهلها ، يدفع ثمنها فى النهاية نضال الشعب وجهده للوصول الى التقدم .

♦ الجماهير
تجميعها تجمعاتها اجتماعاتها

اختلفت أغراض تجميع الناس • فمن هذه الاغراض الكثيرة • ماهو مهني ، أو حربي ، أو تربوي ، أو علمي ، أو عقائدي ، أو ترفيهي ، أو ديني ، أو نقابي ، أو تعاوني ، أو تجاري ، وغير ذلك من الاغراض الاجتماعية والاقتصادية والسياسية •

وقد تكون هذه التجمعات ارادية أو تلقائية ، منظمة أو عشوائية ، ولكنها في كل حالة تلتف حول فكرة أو هدف ، مهما كان هذا الهدف وهذه الفكرة ذاتية أو عامة •

ومن صميم عمل الدعاة دراسة وسائل تجميع الجماهير ، وركائز تجمعاتهم ، وقواعد توجيه اجتماعاتهم وتنسيق أهمية ذلك أصلا من أن روح الاشتراكية تقضى بإحلال العمل الوطني المشترك الجماعي ، محل الجهد الفردي الأناني الوصولي أو الاستبدادي ، فهذه واحدة من أهم القيم التي تقضى بها الديمقراطية العربية • ومن ناحية أخرى فإن طبيعة التحديات التي تواجهها تجربتنا الثورية التقدمية تستدعي حشد الجموع الشعبية للتحفز ضد ما يراد لنا من انتكاس ، وما يلقي في الطريق من صخور التعويق •

إن القوى الرجعية في الداخل ، والقوى الاستعمارية والصهيونية في الخارج تستغل في حربها النفسية ، كل ما بقي مترسبا في قاع المجتمع من رواسب الاستعمار الثقافي ، والاقطاع الفكري ، والتخلف العلمي والتربوي ، وأنماط السلوك النفعي ، وغير ذلك من أنواع القصور والاعوجاج التي كافحتها الثورة - وما زالت - منذ قيامها - بمختلف الوسائل المعروفة •

فتجميع الجماهير إذن هو جوهر عمل الدعاة • وهو على نوعين :-

١ - تجميع معنوي :

أي خلق التقاء في الرأي بين الناس ، حول فكرة أو هدف معين ، بوسائل الاعلام المرئية والمسموعة ، برغم تفرق وجودهم المكاني •

٢ - تجميع عادي :

أي تكتيل وجمع الافراد في تجمعات أو اجتماعات لمختلف الاغراض ، واستخدام الاتصال المباشر لتوضيح الرؤية على حسب المستوى الثقافي

والعلمى السائد فى الجماعة ، وسواء كان التجميع معنويا أو ماديا ، فان قصد الدعاية منه هو تعبئتهم عقائديا . . فالتعبئة العقائدية هى الاساس الصلب الذى لا بد منه لاتمام بناء الطوابق العليا للمجتمع الاشتراكى : بمفاهيمه ، وأيديولوجياته ، وأخلاقياته ، وتطبيقاته ، وتنفيذ خطته ، وكذا حماية الثورة فى الداخل والخارج . . وبقدر ما ينجح الداعية فى أداء رسالته ، وفى اقناع أكبر قدر من الجماهير - بقدر ما يجعل منهم - تلقائيا - قلعة آدمية ، وبنينا بشريا مرصوصا يلتف حولها ، ويفتديها ، عن ايمان بأنها ليست مجرد «حرية واشتراكية ووحدة» ، بل على انها الحياة ذاتها . . حياة هذا الجيل والايال المتعاقبة من الابناء .

ويعتمد تجميع الجماهير على تنظيم الجهود ، وحسن استخدام الطاقات البشرية ، لضمان الخروج من الخطة بأكبر عدد من الناس ، وأعمق غور من الاقناع ، دون أن يفلت زمام السيطرة على الجموع أو يتعذر تقويم أى شطط . ويحتاج هذا العمل - بالاضافة الى ما سبق الحديث به عن الدعوة والدعاة - الى دراية واسـتخدام لبعض العلوم الانسانية كعلم النفس السياسى ، والعلاقات العامة ، والاجتماع التربوى والمورفولوجيا المحلية لمعرفة مناطق ومواسم كثافة وضخامة عدد السكان، وأيديولوجية المدينة أو القرية أو الحي لمعرفة مراكز التجمع ومواقع نركز واتصال الجماهير .

كل ذلك أو بعضه يفيد القادة فى استنباط الوسائل الأكيدة لتشويق الجماهير وجذبها عن طريق أنواع اهتماماتها فى حينها ، وفى مواقعها المحددة بدقة وبتوقيت وبفاعلية تتوافر لها أكبر قدر من احتمالات النجاح فى بلوغ القصد .

ومن المهم أن يتذكر الداعية أن هناك عدة عوامل تتدخل سلبا أو ايجابا فى عملية تجميع الجماهير وأهمها : -

١ - أن تضخم المشاكل من حيث الكم والكيف يتناسب تناسباً عكسيا مع التعبئة الفكرية للجماهير ، ذلك انه كلما ازداد الحاح المشاكل وثقلها عليهم ، تضائل اقبالهم على التجمعات السياسية المباشرة أو متابعة ما يلقي اليهم فيها من مفاهيم . . وقد يصل الامر الى صد مستتر أو مكشوف لما يراد اقراره فى أذهانهم .

ولذا فان من عمل الداعية أن يدرس هذه المشاكل الملحة ، ويعاون الجماهير على حلها على حسب أولويات ثقلها على الاعداد الكبيرة من الناس، وأن يقدم لهم الايضاحات الحقيقية عنها .

٢ - ان عامل الخدمة الاجتماعية عامل جاذب للجماهير ، دافع الى تجميعهم . . وفي هذا المجال يستطيع الدعاة والقادة الجمع بين فائدتي التجميع والانعاش الاجتماعى بفصول محو الامية ، ومراكز العلاج المحلية، والخدمات التربوية والترفيهية والرياضية والمعسكرات والرحلات والخدمات التعاونية .

٣ - ان لكل بيئة قادة رأى ثقة من طراز معين ، ينبغى اكتشافهم والاستعانة بالصالحين منهم كدعاة مقيمين . . وهؤلاء تختلف نماذجهم من بيئة الى أخرى وهم :-

(أ) فى الريف : الأئمة ، والمأذونون الشرعيون ، وعمداء العائلات ، وأبناء القرية المثقفون ، والمدرسون ، والتعاونيون الشرفاء .

(ب) فى المدن : المدرب فى ناديه ، والنقيب فى نقابته ، والاختصاصى الاجتماعى فى مجاله ، ورجل الدين فى معبده ، والطبيب مع مرضاه ، ورجل العلاقات فى مؤسسته . . الخ .

٤ - ان القدرة على التجميع تتأثر بعوامل معينة منها :-

(أ) تزداد فى الاعياد والمواسم الدينية والقومية والشعبية .

(ب) تقل حيث تسوء أو تتعذر المواصلات وتتبعثر وتتباعد أماكن إقامة الاعضاء ، والعكس بالعكس .

(ج) تضعف حينما تسوء الاحوال الجوية ، وتتضاعف فى الجو الصحورى .

(د) تزداد حينما يتأكد للجمهور أنهم سيتزودون بالجديد النافع ، وفى حالات الاحساس بالخطر ، وأهمية الاجتماعات .

كل هذه العوامل وغيرها ، لا بد أن يضعها القادة فى الحسبان عند تجميع الجماهير .

تجمع الجماهير

رأينا كيف أن تجميع الجماهير عملية ارادية ، يؤدىها الدعاة ، ويهيئون لها مقدما مكانا لالتقائهم أما تجمع الجماهير فيتم تلقائيا دون تدخل الداعية ، وغالبا ما يتكون التجمع من أفراد متجانسين ، يربطهم هدف مشترك نقابى أو مهنى أو سياسى أو رياضى أو اجتماعى أو ثقافى أو ترفيهى . . الخ .

فمراكز التجمع بهذه الصورة ميدان جاهز لعمل الدعاة يوقر عليهم جهودا كثيرة أهمها : -

(أ) دفع أو جذب الجمهور نحو التجمع .

(ب) توفير وتهيئة مكان التجمع .

وبذلك يستبدل الداعية هاتين العمليتين وما يشتق منهما ، بأن ينتقل بنفسه الى مراكز هذه التجمعات ، ليتصل بال جماهير ، ويؤدي رسالته الفكرية أو الثقافية .

واذا نظرنا الى الاتحاد الاشتراكي العربي ككل ، وجسدناه تجمعا جماهيريا هائلا - من الناحية المعنوية - يضم من قوى الشعب العاملة ما يبلغ ٩٣٢ر٨٨٥ر٤ عضوا بين فلاحين وعمال ، ومثقفين ، ورأسمالية وطنية ، وجنود : ينتشرون في ٣١٤ مدينة ، و ٢١٣٩ قرية في الريف والحضر والمدر .

ومن ناحية التجمع الجغرافي نجد ان قوى الشعب العاملة موزعة على النحو الآتي : -

١ - الريف :

حيث أغلب الفلاحين ، تشاركهم قطاعات محدودة أخرى . وفيما عدا منظمات الاتحاد الاشتراكي المختلفة بين مؤتمرات الوحدات الأساسية ولجانها ، ومؤتمرات المراكز ولجانها ، ومؤتمرات المحافظات ولجانها - فان هناك تجمعات مادية بشرية أخرى في الريف ذات طابع اقتصادي كالجمعيات التعاونية ، أو اجتماعي كالنقابات والنوادي الريفية .. أو ديني يتمثل في تجمعات العبادات وحلقات الذكر ، أو تجمعات شعبية كالأفراح وأعياد الحصاد ، وتجمعات المنادر والأدورة والمصاطب .

٢ - الحضر :

حيث يعيش أغلب العمال والمثقفين والرأسمالية الوطنية .. وفيما عدا منظمات الاتحاد الاشتراكي وتجمعاته على النحو السابق ذكره ، فان بالحضر تجمعات نقابية تتمثل في ٢٨ نقابة عامة تشرف على عدد هائل من تجمعات اللجان النقابية التي تضم ٢٥٠ ألف عضو من العاملين في الصناعة والتجارة والخدمات .. وهناك تجمعات الجمعيات التعاونية ، والنقابات المهنية ، والجمعيات الخيرية ، والاتحادات الثقافية التي تضم المثقفين ، وهناك تجمعات هيئات التدريس ، والموظفين على اختلاف نحلهم

أو مواقفهم ، وتجمعات الطلاب ، والمدارس ، والمستشفيات ، والمصانع ، والمنشآت - سواء في المؤسسات الجماهيرية أو في روابطهم وجمعياتهم الخاصة . أما الرأس مالية الوطنية فمراكز تجمعها الغرف التجارية والصناعية . هذا خلاف المعابد ومراكز الخدمة الاجتماعية والنوادي الرياضية والثقافية والفنية ، وتجمعات الترفيه وشغل أوقات الفراغ ، وغيرها مما يمكن استغلاله والانتفاع به في رسالة الدعوة .

٣ - المدر :

حيث يعيش جماعات من البدو ثابتين أو رحلا في الصحاري وعلى الحدود ، وجماعات من عمال مشروعات الاصلاح الزراعي ، وآخرون يعملون في الصناعات الاستخراجية .

ان النجاح في توصيل الدعوة وترسيخها ونشرها يعتمد أساسا على تحديد مواقع التجمع في القطاع المحيط بالداعية مجال نشاطه ، حتى يستطيع في يسر وبسرعة استخدامها في تنفيذ الخط السياسي الصادر اليه ليوصله الى قطاع معين من القوة العاملة . ولذا فان من أهم الأمور أن يبدأ القيادي عمله بعملية اكتشاف تحليلية واسعة النطاق عن مواقع الاتصال المحلي في منطقته ، وتصنيفها ، وتبويبها على حسب فئات التجمع وكثافة الأعداد البشرية المرتبطة بكل مركز تجمع وغير ذلك من البيانات والحقائق التي لاغنى مطلقا للرجل القيادي عنها التي يحضرنا منها : -

- ١ - عمل خريطة لركائز الاتصال أو مواقع التجمع الدائمة .
- ٢ - تحديد مواقع الاتصال الدائمة ، والدورية ، والموسمية ، والمؤقتة .
- ٣ - تحديد طبيعة نشاط كل تجمع .
- ٤ - المستوى الثقافي والاقتصادي والروحي لكل موقع .
- ٥ - عمل دليل بالأفراد القياديين من نخوم الجماعة المحليين ، ومراتبهم ، وأيسر وسائل الاتصال بهم أي عناوينهم وتليفوناتهم وأماكن وجودهم المعتادة في أوقات الفراغ .
- ٦ - دليل بالمؤسسات والمنظمات والجمعيات والهيئات ، ومواعيد اجتماعاتها الدورية .
- ٧ - دليل بأماكن التجمع العامة للأعداد الكثيرة كالحدايق والمقاهي والنوادي ومراكز الخدمة الاجتماعية والمعارض .

- ٨ - دليل بتواريخ وأماكن عقد التجمعات الدينية والقومية والتشعبية في الأعياد والمواسم والمناسبات .
- ٩ - تحديد الجماعات النشيطة - أو الشللية - الموجودة في كل موقع ، واتجاهاتها سلبي أو ايجابا .
- ١٠ - مراجعة البيانات باستمرار ، وتعديلها على حسب ما يستحد من ظروف .
- ١١ - مداومة الاتصال بالنجوم المحليين ، وعقد العلاقات الوثيقة معهم .
- ١٢ - الالتجاء الى الهيئات المختصة للتزود بالمعلومات العلمية والاحصائية اللازمة لزيادة الايضاح .

الاجتماعات :

ان تجميع الجماهير أو تجمعها - اذا اتخذ صورة منظمة - ينتهي الى اجتماعات .. والاجتماعات وسيلة جماعية لاتصال الدعاة والقادة بالجماهير ، وتحقيق المواجهة والنقد بينهما .

والاجتماعات بحق فصول الديمقراطية داخل مدرسة التنظيم السياسى .. لأنها توفر فرص الحوار والمناقشة وتأمين عناصر النظرية السياسية وتطبيقاتها ، واتاحة النقد الشجاع البناء ، فضلا عن أن الاجتماعات تعتبر أهم وسائل بحث الحطة السياسية ، ووضعها ، وشرحها ، وتنفيذها ، تنازليا على درجات التنظيم السياسى فى اجتماعات مستوياته على الترتيب من أعلى الى أسفل . والاجتماعات كذلك احدى وسائل كشف المتناقضات بين القوى والاتجاهات الفكرية ، وحلها سلميا .

أهداف الاجتماعات التنظيمية :

- وأهم أهداف الاجتماعات فى التنظيم السياسى هى : -
- ١ - وقاية الوحدة الوطنية من التفكك فى صراعها مع العناصر المضادة .
 - ٢ - ابراز قيمنا الروحية ، وتراثنا الحضارى ، وجوانب نظريتنا السياسية .
 - ٣ - استخدام هذه القوى كطاقات دافعة للجماهير نحو التكتل والتقدم .
 - ٤ - القضاء على النزعات السلبية والتواكلية والانعزالية والمنحرفة .

- ٥ - تحويل هذه الآفات الى ايجابية وفاعلية وترابط واستقامة .
- ٦ - ممارسة القيادة الجماعية الديمقراطية ، والتدريب على استبعاد التسلط الفردي والانحراف المذهبي .
- ٧ - تصحيح الأخطاء التي تنشأ فى عملية التطبيق والتنفيذ .

أنواع الاجتماعات :

- ١ - اجتماعات داخل هيكل التنظيم لا يشترك فيها سوى أعضائه وهى محددة أصلا من حيث : -

(أ) مراتبها

(ب) عدد أعضائها

(ج) مواعيد انعقادها

(د) صلاحيتها

(هـ) مدى فاعلية قراراتها .

- ٢ - اجتماعات خارج هيكل التنظيم ، مفتوحة لغير أعضائه ، وأهمها :-

- ١ - اجتماعات التكوين أو النضال الفكرى ، كالمحاضرات ، والمناظرات ، والمؤتمرات ، والمناقشات ، والحلقات الدراسية .

(ب) اجتماعات التعبئة الجماهيرية العامة .

قواعد وآداب الاجتماعات :

ومهما تنوعت أشكال الاجتماعات وأهدافها ، فانها جميعا تخضع لقواعد وآداب معينة ، ينبغى على جميع أعضاء التنظيم معرفتها ، واحترامها ، والالتزام بها . . . وقد نبئت هذه القواعد مع ولادة الاجتماع الانسانى ونمت بنموه ، وتأثرت بترائه وبالأعراف والتقاليد والسنن والشرائع ، وفى مراحل نموها التقت بالنظم والأسس الديمقراطية ، وانفعلت بها ، واتحدت معها ، حتى صارت قواعد الآداب ، والديمقراطية ، وجهين لعملة واحدة . . . ولقد بلغت من الأهمية مبلغا جعلها تسمى بالقواعد البرلمانية .

فقواعد وآداب الاجتماعات هى الضمان الأول للديمقراطية ، لأنها الديمقراطية بعينها . . . ذلك أن أهم أسس الاجتماعات هو أن نهىء أنسب تربة وأصلح مناخ لنمو النقد البناء الشجاع ، ولأن يعبر الفرد بحرية

تامة عن أفكاره : تصقلها المناقشة والحوار ، فتلتحم الأفكار ، وتتصارع الآراء ، ويتفاعل خليطها في عجينة مستساغة تقبلها الأغلبية ، ويلتزم بقرارها المجموع ، فتنحل التناقضات الفكرية وتتقارب الاتجاهات المتباينة .

لهذا تهتم التنظيمات الديمقراطية بتثبيت قواعد الاجتماعات في سلوك أعضائها ، عن طريق التدريب والممارسة والرقابة والنقد والتوجيه .

ومن أهم مبادئ هذه الآداب ما يلي : -

أولا - الاجتماعات لاتعقد بالصدفة :

فلا بد لها من اخطار سابق ، يحسن أن يكون مكتوبا يتضمن بيان الآتى :

(أ) **المكان** : ويحسن أن يكون متوسطا بالنسبة لأماكن الأعضاء ما لم يكن محددًا ثابتا .

(ب) **الموعد** : ويراعى في تحديده ظروف أغلب الأعضاء ضمانا لحضورهم .

(ج) **جدول الأعمال** : وهو خطة العمل ، وبيان الأغراض التي يرمى الاجتماع الى تحقيقها . . ومن أهم الأمور أن يصل جدول الأعمال الى الأعضاء قبل موعد الاجتماع بوقت يكفى لدراسة موضوعاته والاستعداد التام لمناقشتها .

وأهم شروط جدول الأعمال هي : -
(١) وضوح الصيغة .

(ب) أن يجعل من الاجتماع اللاحق امتدادا للاجتماعات السابقة . عن طريق ربط موضوعاتها .

(ج) أن يلتزم بقرارات الاجتماعات السابقة .

(د) أن تتناسب محتوياته من الموضوعات مع الزمن المقدر للاجتماع . وفيما يلي نموذج لجدول أعمال من تصميم الأستاذ أمين عز الدين :-

جدول أعمال

اجتماع لجنة يوم . . / . . / ١٩٦٠

- ١ - افتتاح الجلسة أو الاجتماع .
- ٢ - تلاوة محضر الاجتماع السابق .
- ٣ - المسائل المنبثقة عن قراءة المحضر .
- ٤ - المراسلات .
- ٥ - تقارير اللجان الفرعية .
- ٦ - المسائل الجديدة (مرتبة على حسب أهميتها)
 - (أ)
 - (ب)
- ٧ - مسائل أخرى .

توقيع

ثانيا - مسئولية الاجتماع :

يقضى مبدأ القيادة الجماعية بأن كل عضو مسئول عن نجاح الاجتماع ، وأن مسئوليات المقرر والسكرتير محددة على الوجه التالي : -

١ - مسئولية المقرر :

- (أ) بدء الاجتماع في موعده المحدد بالضبط .
- (ب) حصر الحاضرين والتيقن من صحة الانعقاد .
- (ج) اعلان استمرار الانعقاد اذا كان صحيحا .
- (د) تكليف السكرتير بقراءة جدول الأعمال .
- (هـ) ادارة الاجتماع طبقا « لقواعد المناقشة » التي سيأتى الحديث عنها بعد ، والزامه بأدابها ، وحرصه على أخلاقياتها ، دون طغيان ، أو اغفال ، أو اهدار لأية من دعوماتها .
- (و) الاستخدام التام لقواعد الاجتماعات وقواعد المناقشات في حسم الخلاف بين الأعضاء .
- (ز) الاستعداد الكامل للاجتماع بدراسة عميقة لموضوعاته .
- (ح) ضرورة الرجوع الى هذه القواعد بين حين وآخر ، دون الاعتماد على الخبرة المتراكمة من تكرار ممارسة ادارة الاجتماعات .

٣ - مسؤولية السكرتير :

- (أ) تسجيل ما يجرى فى الاجتماع بالتفصيل .
- (ب) تسجيل القرارات .
- (ج) مباشرة المراسلات .
- (د) كتابة محضر الاجتماع على حسب النموذج التالى :

محضر اجتماع

لجنة ٠٠٠ بتاريخ ٠٠٠ / ٠٠٠ / ١٩٦٠

- ١ - نوع الاجتماع (عادى ، غير عادى) .
- ٢ - المكان .
- ٣ - الوقت .
- ٤ - التاريخ .
- ٥ - اسم المقرر ، والسكرتير ، والأعضاء الحاضرين ، والمتغيبين ، والمعتذرين ومدى قبول اعتذارهم من عدمه .
- ٦ - الاجراءات المترتبة على تلاوة المحضر السابق .
- ٧ - خلاصة تقارير اللجان الفرعية ، وما اتخذ حيالها من قرارات
- ٨ - نص القرارات ، وأسماء مقدميها ، ونتيجة التصويت عليها ، مع عرض الآراء التى أبديت فى المناقشة .
- ٩ - موعد انتهاء الاجتماع ، وتحديد الاجتماع القادم .

آداب المناقشة :

المناقشة شكل منظم لتبادل الحديث بين جماعة تهدف الى تبادل الأفكار والتجارب والخبرات والآراء لتصل فى النهاية الى قرار موحد ناضج أكثر تكاملاً .

والمناقشة تنقلب الى شبه محاضرة اذا انفرد واحد بين المجموعة بالكلام طول الوقت أو أغلبه . ومن ثم لا يمكن الوصول الى قرار ، وان

تم فهو قرار غير ناضج ، لأن نضج القرار يتأتى بالاحتكاكات الذهنية التي ترصع الرأي الفردى بجواهر خبرات الجماعة ليصبح على القيمة .

والمناقشة تختلف أيضا عن المناظرة ، لأن المناظرة تتم بين جانبيين يختلفان على رأى معين ، وكل منهما يؤكد وجهة نظره بكل ما أوتى من فنون الجدل ، ولو أخفى فى سبيل ذلك بعض الحقائق التي يخدم ابرازها وجهة النظر المضادة .

فالمحاضرة عمل فردى .

والمناظرة عمل جدلى شخصى ذاتى يتجاهل الموضوعية أحيانا .

والمناقشة عمل جماعى مشترك ، ومجهود انساني متعاون لكشف الحقائق ، وتوحيد الفكر ، وتحديد عمل موضوعى . . . فهي لذلك جديرة بالعناية وبضرورة ممارسة الأسس الديمقراطية فى كل مراحلها على حسب القواعد الأساسية الآتية : -

١ - احترام حق الآخرين فى حرية التعبير الكامل عن آرائهم .

٢ - اعطاء الفرصة لمؤيد واحد على الأقل للرأى المطروح لابراز جوانب التأييد .

٣ - اعطاء الفرصة لمعارض واحد على الأقل لتقديم أسباب التفنيذ .

٤ - محاولة تعديل الرأى بما يصقله أو يقرب وجهتى النظر .
للوصول الى رأى جامع أكثر اكتمالا وأقل احتمالا لمواطن الضعف .

٥ - التصويت على الرأى أو القرار قبل كل تعديل .

٦ - التصويت على التعديل قبل تعديل التعديل وهكذا .

٧ - اتخاذ القرار على حسب الأغلبية .

مسئولية مقرر الاجتماع عن المناقشة :

١ - تنظيم حق الكلام على حسب ترتيب طلب الكلمة .

٢ - منع المقاطعة الا فى حالات طلب الكلمة فى نقطة نظام حول احدى الحالات الآتية : -

(أ) طلب تصحيح .

- (ب) طلب زيادة ايضاح أو تفسير أو ضرب مثل •
- (ج) الزام المتحدث بالعودة الى الموضوع وعدم الخروج عنه •
- ٣ - تشجيع صاحب الاقتراح على توضيح رأيه وتدعيمه بالأسانيد والحجج •
- ٤ - فتح باب المناقشة حول الاقتراح بإعطاء الكلمة لمؤيد •
- ٥ - اتباع ذلك بمعارض •
- ٦ - تكرار البندين السابقين ان أمكن •
- ٧ - السماح بتعديل القرار الأصلي •
- ٨ - التصويت عليه •
- ٩ - السماح بتعديل التعديل حتى يتكامل الاقتراح •
- ١٠ - التصويت على تعديل التعديل •
- ١١ - صياغة القرار على أساس آخر تعديل مقبول •
- ١٢ - التصويت عليه •

بهذا ، وبهذا وحده ، تتوافر أرقى ضمانات الصراع الفكري الديمقراطي ، الذي يستخدم طاقات خلاقة مجددة مبدعة ، من ذكاء الأعضاء ، وآرائهم النامية ، وخبراتهم المتراكمة ، وتجاربهم المتنوعة - فتتضح الرؤية وتبدو الحقائق شفافاً نقية خالصة ، وتثمر الاجتماعات أثمن القرارات من أجل انجاز أنفع الأعمال التي تخدم الفكرة الاشتراكية العربية ، والشعب الاشتراكي العربي العظيم •

العمل السياسى
بين أمس واليوم

العمل السياسى هو الوسيلة الايجابية ، عقلية كانت أو حركية - لتحقيق المبادئ السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، التى تحتويها تفاصيل الخطة ، ويقتضيها بلوغ الأهداف العامة .

والعمل السياسى هو مادة نشاط أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى على مختلف مراتبهم فى التنظيم من أعضاء عاملين ، وقادة ، ودعاة ، ورواد ، وموجهين ، ومراقبين ، يمثلون ارادة الشعب وسيادته ويتعمقون فى ميثاق الأمة ومبادئه ، فتنعكس سماته على سجايهم وسلوكهم وأعمالهم اليومية ، فى أى مستوى ، كانوا . . ومن هنا كانت دراسة موضوع « العمل السياسى » أمرا ضروريا وهاما .

تعريفه :

لعل أدق تعريف للعمل السياسى ، بما قل ودل ، هو ما عرفه الدكتور حسين خلاف اذ قال : العمل السياسى هو الاشتغال بالشئون العامة للبلد .

ولذا فان اشتغال امرىء بأمور خاصة به وبوظيفته وحياته ومعيشته ، لا تعتبر أعمالا سياسية ، مهما كانت علاقتها بالمجتمع .

وللعمل السياسى مفهوم تقليدى ضيق ينحس فى سياق تصريف شئون الحكم وممارسة السلطة بطريقة مباشرة . . لكن هذا المعنى الضيق حال وبهت . وأصبح للعمل السياسى مفهوم كريم يتسع رحابه لكل من يمارس أعمالا اقتصادية وثقافية وعقائدية واجتماعية طالما هى أعمال وطنية وعامة . . بل ان هذا المفهوم الجديد يتسع لمن يحتلون كراسى المعارضة ، ويحملون أقلامها ، ولو لم يكونوا فى الحكم .

وبمعنى آخر ، فان العمل السياسى لم يعد مرتبطا بالسلطة أو الدولة وحدهما كما كان شائعا ، ولكنه أضحى يغطى كل الأمور العامة المتعلقة بكلتيهما ، والتى تستخدم أهدافهما سواء من حيث تنظيم وتدبير احتياجات المجتمع ، أو من حيث تنظيم العلاقات بين الافراد وحماية مصالحهم ، أو تنظيم العلاقات بينهم وبين الدولة ، أو بين المنظمات والجماعات المحلية ، أو بين الدولة وغيرها فى الخارج ، وما يتعلق بذلك كله من دراسات علمية نظرية وتطبيقية .

لمحة تاريخية :

لقد ظل العمل السياسى منذ فجر التاريخ الشغل الشاغل للمفكرين

والمصلحين والحكام والمحكومين .. فخلف لنا أعلام الفكر السياسى عبر ٢٥ قرنا من الزمان تراثا من الآراء والتجارب تستقى من النظريات السياسية عناصرها ، ومن الأعمال السياسية نماذجها .. ولكن أفضل عمل سياسى هو ما التزم بحقيقة هامة جدا تقيه الخلل والعجز والشطط والجمود .. وهى أن لكل أمة رأيا عاما مميزا وملامح شخصية ذاتية تتكون من تفاعل مجموعة من العناصر أهمها : -

- ١ - حصيلة تجاربها السياسية الخاصة ، وتأثيراتها التاريخية .
- ٢ - تراثها الاجتماعى والأخلاقى ، وقيمها الروحية والدينية .
- ٣ - تكوينها المورفولوجى وموقعها الجغرافى .
- ٤ - خصائصها السكانية والأنثربولوجية .
- ٥ - ظروفها الاقتصادية .

فمن الطبيعى أن تختلف أمزجة الأمم وتذوقاتها للمذاهب السياسية، ومن ثم تختلف درجات حماسها لأداء العمل الوطنى السياسى تبعا لمقدار تجاوبها مع النظرية السياسية السائدة ، وظروف الحكم القائم ، ونسب تركيب هذه الظروف ، ودرجة الحاج وضغط الأحداث السياسية .. كما يختلف نشاط العمل السياسى وانتشاره تبعا لنفس العوامل على مدار التاريخ فى الأمة الواحدة .

ولقد اقتصر العمل السياسى فى الجماعات الصغرى - أول الأمر - على رب العائلة ، وفى المجتمعات البدائية ، على رؤساء العشائر ، ثم رؤساء القبائل والكهنة ، مما لا يمكن اعتباره عملا سياسيا بالمفهوم الحديث ، ولكن ما يهمنى ملاحظته أن العمل السياسى بدأ فرديا استبداديا خلال العهود الموغلة فى التأخر والجهل والظلام .

ثم يطالعنا التاريخ بأن أول عمل سياسى منظم نام متطور عرفه العالم هو ما مارسه مصر الفرعونية منذ ٢٥٠٠ سنة ، بوساطة «الحورس» أى الملك ، الذى التزم بفكرة سياسية اسمها « الماعت » ومعناها الحكم بالأمانة والنظام والعدل والحق .

وبدأ منذ ذلك الحين - العمل السياسى - ينساب من قبضة الفرد الى حد ما ، اذ كان الفرعون يستعين فى الحكم بحامل أختامه ، وطبقة من الوزراء ، ثم رؤساء المدن ، فرؤساء القرى ، فمشايخ البلاد .. وهكذا اتسعت دائرة العمل السياسى وان لم يكن لأفراد الشعب جق فى مزاولته .

لكن حدثا هاما فى تاريخ مصر القديم ، قد أكدت نتائجه حقيقة سياسية بارزة وهى أن الشعب المصرى المعلم تتفجر طاقاته السياسية الكامنة ، ويستل سيوف العمل السياسى من غمدها حينما تشتد لوطاة على كرامته ، وحينما يشعر بالخطر ، ذلك أنه انتفض انتفاضة شعبية غاضبة عندما تعرضت البلاد لغزو الهكسوس ، فانتقدوا احتكار العمل السياسى لفئة خاصة ، وكان للشعب ما أراد ، فانتعش العمل السياسى واتسعت قاعدته الجماهيرية ، لكن لفترة قصيرة ، انتهت بدحر الغزاة . . تم عاد النظام الطبقي الجامد سيرته الأولى ، وتقلص العمل السياسى من جديد ، فصار وقفا على الفرعون ، والكهنة ، ونواب الملك على أطراف امبراطوريته الواسعة فى أثيوبيا وآسيا ، وخاصة فى عهد الرعامسة .

وحرم الاغريق العمل السياسى على العبيد والأجانب . . كان العبيد يمثلون نصف سكان المدينة ، وكانوا يقومون مقام الآلة والدواب والخدم فى حمل عبء الأعمال الحرفية والانتاجية اليدوية والجر والنقل والخدمات حتى لا يبقى للمواطنين الأحرار من عمل يعملونه الا السياسة . . أما التجارة والصناعة فقد اختص بها الأجانب النازحين من المدن المجاورة المقيمين بصفة دائمة ، وهؤلاء أيضا محرومون من العمل السياسى .

ان سقراط نادى بأن يتفرغ المواطنون الأحرار للعمل السياسى تاركين ما عداه من أعمال للرقيق . .

وأكد تلميذه أفلاطون أن العلماء الفلاسفة هم الفئة التى تعرف الاعمال الفاضلة وتجيد وسائل تحقيقها ، ومن ثم ينبغى قصر العمل السياسى عليهم . . بل انه قد خطط نظاما تربويا أوصى به لتخريج هذه الطبقة فى مشروع مدينته الفاضلة .

وأرسطو تلميذ أفلاطون ، نادى أيضا بتفرغ الفلاسفة ورجال المعرفة دون غيرهم لمزاولة العمل السياسى ، فلا يتصدى له السطحيون لانه يحتاج الى ثقافة ودراية ومعرفة وقدرة على تفسير الأحداث وتحريك الحوادث .

، ومما تقدم نخرج بالنتائج المستنبطة الآتية : -

١ - ان فكرة التفرغ للعمل السياسى قديمة وليست حديثة .

٢ - ان هناك فئات كانت تحرم وتعزل عن العمل السياسى لعدم توافر صلاحيات معينة فيها . . منها ما هو عقلى ، ومنها ما يتغلق بضمان سلامة الوطن والاخلاص له .

٣ - ان توسيع دائرة العمل السياسى بين الجماهير على مر الزمن هى القاعدة المنطقية الطبيعية التطورية المناسبة لروح الديمقراطية .

٤ - ان تسلسل التاريخ السياسى ينبىء بأن البقاء والنمو ، والازدهار للديمقراطية السليمة .

٥ - ان ارتفاع المستوى الثقافى والعلمى ، وكذا الشعور بالخطر من أهم عوامل انتشار العمل السياسى .

٦ - ان العمل السياسى بدأ فى خدمة ذوى السلطان ولكنه اتجه بصفة عامة - فى العصور الوسطى والعصر الحديث - نحو خدمة الشعوب التى تجعله من عملها اليومى وتهتم به ولا تطلقه لدخيل أو مستبد أو منحرف .

ونعود الى تسلسل التاريخ مع العمل السياسى فى ايجاز .. فنرى أنه كان حقاً لكل مسلم من رعايا الدولة الاسلامية التى امتدت من أقصى الصين الى أعالي جبال البرانس .. ذلك أن المثالية الاسلامية جعلت الفرد حجر الزاوية فى بناء الدولة .. فى الحكم والادارة والقضاء وجميع الأمور العامة .. ينقد ويتساءل ويطالب ويصحح ويعظ ما شاء متى شاء لمن شاء من الحكام والمحكومين دون أن يخشى فى الحق لومة لائم .

وفى العصور الوسطى تقلص العمل السياسى فى أوروبا ، وانكمش أمام نظرية الحق المقدس للملوك فاقتصر عليهم وعلى نفر من النبلاء والأمراء .. وكذلك احتكره رجال الكنيسة من أصحاب صكوك الغفران . ولم ينشط العمل السياسى بعد ذلك الا بتأثير عدة عوامل : -

١ - تعبئة الحواطر والبشر لتجريد الحملات الصليبية فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، واستخدام الصحافة لأول مرة فى فرنسا .

٢ - اختراع الطباعة فى القرن الخامس عشر فتطورت بذلك الحركات الفكرية ، وحركات الاصلاح الدينى ، والثورات .

٣ - انتشار وتحسن المواصلات والبريد فى القرن السادس عشر .

٤ - قيام الثورة الفرنسية وانتشار أفكار أعلامها فى أوروبا فى القرن الثامن عشر .

وننتقل الى العمل السياسى فى مصر ، بعد هذه الجولة فى أجزاء العالم المتحضر الأخرى وهذه الفرصة فى لجج التاريخ .. الواقع أن عبارة

« الشعب المعلم » التى وردت فى الميثاق تمتد دلالاتها الى فجر الحضارة البشرية التى نشأت على ضفاف النيل .. انها تحمل من بين معانيها البعيدة .. أن شعبنا هذا هو أول شعب سياسى على وجه البسيطة .. وهو بهذا ، وبحضارته العريقة .. وثقافته الموهلة فى الأزل يحمل من قدم حضارته وثقافته وتجاربه : كل مقومات الرأى العام المستنير والوعى القوى .. ولقد حلت به كوارث الغزو الواحدة تلو الأخرى . فكانت تفقده مقومات القدرة على العمل السياسى .. ولكنها لم تستطع بحديدتها ونارها وسنابك خيولها وجحافل جيوشها – أن تجرده من تفكيره السياسى الدائم المستمر .

وهذه مقدمة لا بد منها لتدرك أن الرأى العام السياسى كان قائما برغم جبروت السلطان سليم الأول وطغيانه حينما غزا مصر وأجهز على طومان باى عام ١٥١٧ .. فقد ظهرت زعامة شعبية أزهرية مستنيرة ، تستثير الناس ضد الخلافة العثمانية حتى أجلتها .. وحتما كان بين الشعب أفراد قادة فى عون هذه الزعامات من الوعاظ .

وفى عهد الماليك تجاذب هؤلاء المشايخ حبال العمل السياسى مع الأمراء فى اصرار وعناد جهرا ، وكان لهم عند الحكام مهابة ، وعند المحكومين تقدير .

وفى عهد الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ قام الشعب كله بعمل سياسى متصديا لبونابرت وكليبر ومينو يقودهم بعض رجال الدين والسياسة أبرزهم عمر مكرم .. وسجلوا صفحات من البطولة والمقاومة الشعبية حتى أجلوا الفرنسيين عام ١٨٠٢ ، وردوا الانجليز الى البحر فى رشيد عام ١٨٠٧ .

وكان محمد على كابوسا على العمل السياسى فى مصر .. استأثر الحاكم الدخيل به بعد أن نجح فى القضاء على الرأى العام المصرى ، وسيطر على الأعمال العامة بيد من حديد مستعينا بالفرنسيين الذين أطلق يدهم فى البلاد .

واقتردى به أبناؤه وأحفاده ، ففتحوا للصوص أوروبا وأفاقها أبواب الديار ، وأولوهم مراكزها الحيوية وأحلوا لهم ما حرموه على الشعب من حقوق .

وكانت ثورة عرابى أول زارة سياسية بعد هذا الثبات العميق الذى ظل حتى عام ١٨٨٢ ، وكانت زيارة جمال الدين الافغانى لمصر عام

تنشيط للعمل السياسى بين تلاميذه ومريديه ، فتعرضوا للعنف والسجن والتشريد والفقر .. ويبدأ التاريخ الحديث فى ذكر محمد فريد ، ومصطفى كامل ، وسعد زغلول وثورة ١٩١٩ .. الخ . ويذكر أسماء لهيئات وأحزاب ومنظمات .. منها السياسية والعمالية والدينية .. ولكن الطابع الغالب عليها هو السياسة من أجل الوثوب الى كراسى الحكم ، ولو كان الثمن تفتيت وحدة الأمة وتنازع أفرادها وجماعاتها وتقاتلهم .. ولو كان بمهادنة المستعمر ومخالفته .

وكانت قلة ضئيلة من الشعب تعمل بالسياسة حتى فى مجال الأحزاب .. وكان العمل السياسى الوحيد الذى تقوم به التكتلات الشعبية على أوسع نطاق هو : الهيئات فى شكل مظاهرات أو ثورات وطنية تنتهى دائما الى تسوية وزارية بين أحد أقطاب تجار السياسة مع الرأسمالية والاقطاع والرجعية والاستعمار .. وفيما عدا ذلك فان الشعب فى الأوقات العادية لم يكن يعمل من الأعمال السياسية الا الوقوف فى موسم الانتخابات دقيقة واحدة ، صندوق الانتخابات أمامه ، وذل لقمة العيش خلفه .. فيعطى صوته لنازف دمه .. أمره وآسره .. فالسادة أطراف الحلف غير المقدس كانوا يعتبرون السياسة مهنة وحرفة يحتكرونها ويورثونها لأبنائهم ويمنحون بعضها لأذنانهم ، لأنهم كانوا يهتمون بتسيير دفة الحكم نحو تحقيق مصالح ذاتية متحالفة متقاسمة ، هى مصالح القصر والاستعمار ، ثم الاقطاع والرأسمالية المستغلة التى تتكون منها أغلبية المجالس النيابية .

لكن كان لابد لهذه الأحزاب من لوائح ، وكانت كل برامجها تحتوى بين الأغراض على : الاستقلال ووحدة وادى النيل ، والاصلاح الداخلى ، ورفع مستوى الفلاح والعامل .. كان ذلك هو القاسم المشترك الأعظم فى برامج كل الأحزاب التى كانت قائمة فى مصر بدرجة توضح أن تعدد الأحزاب برغم تطابق برامجها انما يدل على أنها لم تؤسس بدافع الوطنية، وانما بدافع التصارع على الانفراد بالسلطة عن طريق تضليل الجماهير وتسخيرها وخصوصا أن هدفا واحدا مما سجلوه فى برامجهم لم يتحقق .

وفيما عدا ذلك فلم تنص برامجهم على أية رغبة فى تغيير اجتماعى أو سياسى أو اقتصادى أو فكرى مما كان يتسبب فى أن يزداد الفقير فقرا والغنى ثراء .

ومن واجبنا ونحن عمال سياسيون أن نتتبع أبعاد العمل السياسى فى تلك التنظيمات ، فنجد أنها جميعا : وفدا وكتلة ودستوريين وسنغديين

وغيرها - لم يمتد نشاطها الى القرى ، واقتصرت على المدن وبعض المراكز ،
فيما عدا الاخوان المسلمين .

ولم يكن يهتم منهم بتوسيع قاعدة العضوية النظامية أيضا
الا الاخوان المسلمون ، وما عداهم كان يعتمد في التمويل على تبرعات
طلاب الخطوة والجاه ، الى جانب الاشتراكات ، وكانت العاطفية نحو الحزب
هى حلقة ترابط الأعضاء ، أما الحزب نفسه الممثل فى محترفى السياسة
وكان مدار بحثه عن أى الطرق أقرب الى الوزارة .. عابدين أو قصر
الدوباره ؟

وعلى أى حال فان العمل السياسى فى هذه الحقبة من الزمن قد تمخض
بصفة عامة عن بعض نتائج ايجابية وكثير من النتائج السلبية .

أولا : النتائج الايجابية : يمكن حصرها فيما يلى بايجاز : -

- ١ - الاتجاه تحت تأثير الرأى العام نحو التخلص من الاحتلال .
- ٢ - استخلاص بعض الحقوق الشعبية البسيطة .
- ٣ - وضع بعض حدود للطغيان الملكى .
- ٤ - بعض الخدمات فى مجالات التعليم والصحة .
- ٥ - ايجاد الرأسمالية المصرية التى برغم جوهريها الاستغلالي أدت
الى بعض الفوائد من حيث زيادة الدخل القومى واستغلال الموارد وتشغيل
بعض الأيدى العاملة .

ثانيا : النتائج السلبية :

- ١ - أهملت الاحزاب والمنظمات خاق وحدة فكرية أو ايديولوجية .
- ٢ - تجاهلت واجبها فى القيام بخلق وحدة عمل ووحدة مصالح .
- ٣ - أدت الى ايجاد الفرقة والتفكك والأحقاد والمنازعات بين أبناء
الأمة الواحدة بل وبين أبناء القرية والعائلة الواحدة .
- ٤ - صبغت العمل السياسى بأخلاقيات ميكيا فيلية تسودها المناورة
والمداورة والغدر من أجل المصلحة والمنفعة الذاتية .
- ٥ - أدت الى سيادة التفكير السياسى الرجعى أو المحافظة وتجاهل
فكرة التغيير التقدمى .

العمل السياسى منذ قيام الثورة :

وحيثما قامت الثورة كان من الطبيعى أن يحدث تغيير كبير فى السياسة والاقتصاد والاجتماع وجميع المجالات . فالثورة معناها تغيير أوضاع قديمة فاسدة وإبدالها بأوضاع جديدة فاضلة . . وكان طبيعيا لذلك ان تتولى قيادة ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ - وحدها زمام العمل السياسى ممثلة فى جمال عبد الناصر ورفاقه ، وذلك لضمان انجاز التغييرات الاصلاحية . . وهاك الأسباب : -

١ - ان الوسائل الديمقراطية كانت ستعطل حتما تنفيذ الاصلاحات الضرورية والخطوات الثورية مثل قانون الاصلاح الزراعى وتأميم قناة السويس .

٢ - ان الرواسب الفكرية الحزبية والرجعية والاقطاعية والرأسمالية كانت تثير المخاوف من امكانيات ممارسة الديمقراطية السليمة .

٣ - ان البرنامج الانشائى للثورة كان أكثر من الفترة الزمنية ، وان الانجازات الجبارة من جهة ، والتصدى للمؤامرات الداخلية والخارجية من العناصر المضادة كانت لابد أن تمنح الأولوية فى المواجهة .

وبدأ العمل السياسى ينطلق بعد صدور القوانين الاشتراكية عام ١٩٦١ ، فانتشر بشكل لم يسبق له مثيل حتى أصبح فى كل قرية تنظيم سياسى هو الاتحاد الاشتراكى العربى ، وتنظيم نقابى للعمال الزراعيين كذلك فى كل حى ومؤسسة بالمدينة ، ولم يعد العمل السياسى مقصورا على فئة معينة من قلائل الرجال ، كما اشتركت فيه النساء .

وتغير نطاق العمل السياسى فاتسع من مجرد تصريف أمور الحكم كما كان قبل الثورة ، الى الاشتغال بكل الأمور . واختفت عبارة حكام ومحكومين ، فالكل سواء تربطهم أخلاقيات جديدة قوامها التضامن والتعاون ، والتكافل والاحترام بين الصغير والكبير « والساعى والوزير » ، والعمل من أجل المجموع . . العمل من أجل الضعيف حتى يشفى والجاهل حتى يتعلم ، والفقر حتى يغنى . . العمل من أجل الرخاء والسعادة العامة والمساواة بين الناس فى الحقوق . . العمل فى تآلف ومحبة من أجل الخير العام ، والتكاتف لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية فى عزم وصلابة وشجاعة وفاعلية واصرار .

وعلىنا أن نذكر أن العمل السياسى عمل وطنى من أهم خصائصه :-

- أنه شعبى يهدف الى صالح الجماهير .
- أنه عام لا يحتكره أحد .
- أنه دائم مستمر يمارسه العامل السياسى فى البيت والمصنع والمكتب والمسجد والمركبة .. فى كل مكان وفى كل وقت .
- أنه متطور بعمق الدراسة .
- أنه أخلاقى يتسم بالشرف والنظام والاخلاص والولاء لأفضل المبادئ وأكمل القيم .. قيمنا الاشتراكية العربية .

● العلاقة بين الدين والاشتراكية

يعتبر هذا الموضوع من أهم الموضوعات التي ينبغي على الدعاة أن يلموا بها جملة وتفصيلا ، لاشباع غرضين لا تقل - في رأيي - أهمية أحدهما عن الآخر وهما : -

١ - الحرص على الدين :

فنحن قوم نؤمن أعمق الايمان بالله ورسوله ، ونتمسك برسالات السماء ، وندرك تمام الادراك « أن الطاقات الروحية .. قادرة على صنع المعجزات » و « أن الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة ، كما أنها تسليحها بدروع من الصبر والشجاعة ، تواجه بهما جميع الاحتمالات وتقهر بهما مختلف المصاعب والعقبات » و « أن الحوافز الروحية والمعنوية هي وحدها القادرة على منح التقدم المادى أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد » وعلى هذا نص الميثاق .

ونحن من ناحية أخرى ، نؤمن بأن الاشتراكية هي المخرج الوحيد لهذا المجتمع من تخلفه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي .. من الفقر والجهل والمرض .. من الظلم والذل والأنانية .. من التحكم والتسلط والاستبداد .. من استرقاق الانسان واستعباده لأخيه الانسان .

وهذا يضعنا في موقف نحن فيه حريصون على ديننا ومقدساتنا حرصا ما بعده حرص ، ونحن كذلك على يقين بحتمية الاشتراكية وضرورتها للقضاء على المتناقضات والفروق الحادة التي أوجدها الاقطاع والاحتكار والرأسمالية المستغلة ، وكل ما كان يسود المجتمع من أثره وأنانية وقيم غير أخلاقية .. نحن نؤمن اذن أن الاشتراكية هي المصعد الى مستوى أفضل من الحياة الانسانية الرخية ، وآفاق أعز وأكمل من الآمال القومية والعلاقات الدولية .

فمن الطبيعي ونحن في هذا الموقف بين الدين الأصيل الأزلى الأبدى، وبين النظرية الاشتراكية الحتمية - أن نتساءل عن موقف كل منهما نحو الآخر ، وأن العلاقة بينهما وطيدة لتطمئن قلوبنا ، ونتيقن سلامة الخط الذي نسير فيه وشرعيته ، فنزداد يقينا وايمانا ، ونزداد قدرة على العمل وعلى الاقناع والدفاع .

٢ - التصدي لأعداء الاشتراكية :

ما من حركة اصلاح نشأت عبر التاريخ ، وعلى مر العصور ، منذ

عهد آدم الى اليوم ، فى أية بقعة من بقاع المعمورة – قد خلا الميدان أمامها من عناصر مضادة معادية لتقدمها الثورى . ولقد كانت وما زالت وسوف تظل العناصر المعادية لحركات الإصلاح فى كل مكان وزمان – تستخدم ما استطاعت من أسلحة مهما كانت دناءتها لتستعيد مواقعها المفقودة أو لتثب الى مستقر أحلامها وضالة غرامها فى الحكم . ومن بين أسلحتها التقليدية : المغالطة والتجنى على المفاهيم التقدمية بقصد تفكيك الرأى العام وتشكيك الجماهير وقضها عن النظرية الثورية الإصلاحية الجديدة ، بل ان التاريخ الروحى عامر بالمكائد والدسائس والمؤامرات والتشكيكات التى كان الرجعيون يحبكونها للأنبياء والمرسلين .

فليس غريبا أن نجد لنظريتنا الاشتراكية قادحين مقاومين . ولا عجيبا أن يتوسل أعداء الاشتراكية الى أحلامهم ولو بحشر الدين والزج به زورا فى المعركة ، وإيهام الناس بوجود تضارب بينه وبين الاشتراكية ، وليس من سقط الحسبان أن تتحالف فلول الرجعية والاستعمار والراسمالية والاقطاع فى ترويج هذه الفرية للنيل من قدر الاشتراكية العربية ، الأمانة على دينها ، بعد أن فشلت كل مؤامرات الحلف غير المقدس ، العدوانية ، سواء منها المؤامرات السافرة الممثلة فى العدوان الثلاثى المدحور ، أو المستترة التى يأبى الله الا أن تنكشف الواحدة تلو الأخرى وتذهب جفاء .

والواقع أن أسلوب التمسح بالدين من أجل الوصول الى أغراض سياسية – أسلوب تقليدى سهل معروف منذ القدم ، لم يزدده التقدم الا فاعلية ، ذلك أن أرباب هذا الأسلوب قد استفادوا من علم النفس السياسى ومن علم سيكولوجية الجماهير ، ومدى تأثيرها فى لفظ الدين من رهبة ورغبة فى الجماهير المتدينة والرأى العام المتدين . ولقد مارسه هواة الحكم الطغاة المتسلطون طويلا : منهم من عاش فى الوثنية ، ومنهم من يعرف الدين ولكنه يؤوله ، ومنهم من لا يملك من حقائقه الا القشور . كانت تعوزهم كل الحيل الوصولية ، فيلجئون الى وتر الدين من بين أعصاب الجماهير كوسيلة للتأثير على تفكيرهم ، واستثارة عواطفهم وغرائزهم ، سواء منها النبيلة أو الوضيعة ، للوصول بالمجتمع الى الحكم البيروقراطى ، يستغل الدين فى استعباد الشعوب ، باسم الذات المقدسة الحاكمة بأمر الله ، التى تدين له ولزمرته الرقاب بالولاء ، وتغض أمام طلعتة الأبصار وتنحنى الهامات ، فتعود بمقدسات الدين الى مسالك عصور الضلال والانحراف . وما الحلقات المظلمة من العصور الوسطى ،

ولا الأساليب الفاشية لبعض الجماعات السياسية المتدينة المعاصرة -
الا دليلا على ما نقول .

نحن والميثاق :

تزداد سرعة الدولة خطوا سديدا نحو الرخاء والمتعة والكرامة
والمجد ، بقدر توفيقها فى وضع خطة سياسية اجتماعية اقتصادية محكمة
مناسبة لأهدافها ، تخضع لظروفها الروحية والدينية والأخلاقية
والتشريعية ، وتعمل على اشباع الحاجات الاجتماعية لغالبية الشعب ،
وتعتمد على الاستغلال الأمثل للموارد المادية والفنية والبشرية . . هذه
الخطة يلتزم بتحقيقها التنظيم السياسى والجهاز التنفيذى خاصة ، وقوى
الشعب العاملة عامة ، فى كل مجالات العمل ، تطبيقا يتسم بالجماعية
والتناسق والحيوية والأمانة والشرف .

هذه الخطة التى جعلناها حصيلة معتقداتنا الروحية والفكرية
وتجاربنا الثورية ، وآمالنا البعيدة . هى الميثاق الذى اشتمل من بين
نصوصه مجموعة الأسس والمبادئ التى اعتنقناها وارتضيناها والتزمنا
بها حكومة وشعبا للوصول الى الغايات التطبيقية المرسومة ، التى تتبلور
آخر الأمر فى : تحقيق رفاهية الشعب ، ورعاية مصالحه وصيانة حرياته
وحقوقه الانسانية .

فهل فى الميثاق ما يشير من قريب أو من بعيد الى مجرد اغفال
لمقدساتنا الدينية ؟ .

أبدا . . لقد نص فى الباب الاوّل منه على أن الشعب المصرى
العظيم قد حقق انجازات الثورة الشاملة بفضل ضمانات توافرت لها
منها :-

« ايمان لا يتزعزع بالله وبرسله ، ورسالاته القدسية ، التى بعثها
بالحق والهدى الى الانسان فى كل زمان ومكان » .

وأشاد الباب الثالث من الميثاق وتفاخرو بأثر الاسلام فى ابراز
حقائق النضال المصرى المتفاعل مع المنطقة العربية منذ أقدم الأزمنة
فقال :

« كان الفتح الاسلامى ضوئا أبرز هذه الحقيقة وأثار معالمها ، وصنع
لها ثوبا جديدا من الفكر والوجدان الروحى . . وفى اطار التاريخ

الاسلامى ، وعلى هدى من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة والانسانية » .

وبعدها بقليل يعظم المسيح و « دعوة هذا المعلم العظيم » ثم هو ينور الى تجاربنا المرة مع الاستعمار المقنع بستر الدين تارة تهب عواصفه من أوروبا باسم الحروب الصليبية ، وتارة استعمارا عثمانيا تيولوجيا فيقول عن الشعب :

« كما وجدت أن الشعب المصرى يرفض الاستعمار العثمانى المقنع باسم الخلافة ، والذي كان يفرض عليه دون ما مبرر حقيقى تصادما بين الايمان الدينى الأصيل فى هذا الشعب وبين ارادة الحياة التى ترفض الاستبداد » .

واذا انتقلنا الى الباب السابع من الميثاق ، طالعنا ما يقطع الطريق على كل مضلل ، ففيه :

« ان حرية العقيدة الدينية يجب أن تكون لها قداستها فى حياتنا الجديدة الحرة .. » .

« ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان ، قادرة على هداية الانسان ، وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة » .

« ان رسالات السماء كلها فى جوهرها ، كانت ثورات انسانية ، استهدفت شرف الانسان وسعادته ، وان واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته » .

« ان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة ، وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية التى تستغل الدين ضد طبيعته وروحه ، لعرقلة التقدم ، وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السابقة » .

« لقد كانت جميع الأديان ذات رسالة تقدمية ، ولكن الرجعية التى أرادت احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها ، أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين ، وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها ، لى توقيف تيار تقدمه » .

« ان جوهر الأديان يؤكد حق الانسان فى الحياة ، وفى الحرية ، بل ان أساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان .. »

ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء ، يخط فيها أعماله باختياره الحر ، ولا يرضى الدين بطبيعته توريث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس ، ويحتكر ثواب الخير لقلّة منهم » .

« ان الله - جلّت حكمته - وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمل فى الدنيا والحساب فى الآخرة » .

بل ان الميثاق حينما تحدث عن التطبيق الاشتراكى ، وأهمية اتباع الوسائل العلمية لتعويض التخلف وحل مشاكل المجتمع ، ودفعه قدما الى الامام - نبه الى أهمية الطاقات الروحية النابعة من الاديان السماوية ، والى قدرتها على صنع المعجزات ، ومنح الشعوب أعظم القوى الدافعة ، وتسليحها بالصبر والشجاعة لتقهر المصاعب والعقبات ، ومنح التقدم أمثل المثل وأشرف الغايات .

وأخيرا وليس آخرا فان الميثاق حتى فى سياستنا الخارجية يلتزم بالدين ، ويقرر صراحة فى الباب العاشر :

« .. شعبنا .. يؤمن برباط روحى وثيق يشده الى العالم الاسلامى » .

« ان شعبنا يعتقد فى رسالة الاديان ، وهو يعيش فى المنطقة التى هبطت عليها رسالات السماء » .

« ان شعبنا يعيش ويناضل من أجل المبادئ الانسانية السامية »

« ان شعبنا يملك من ايمانه بالله وايمانه بنفسه ، ما يمكنه من فرض ارادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه » .

هاكم ميثاقنا .. مفعم بتأكيدات الايمان بالله ورسله ورسالاته ، لا نرضى بسواها بديلا بل اننا نتخذها قاعدة أساسية لامكانيات التغيير الثورى ، وطاقات محرّكة نعطيها الاولوية على العلوم الذرية فى تحريك الانسان نحو التقدم ودفعه الى صنع المعجزات .

أين فى الميثاق ما يريب ، أو ما يستشف منه أبهت تعارض بين الاشتراكية والدين ؟

لا شئ .. لا شئ .

ولكن اذا لم تستح فافعل ما شئت ، وهكذا يفعل المضللون الذين ينكرون الشمس وقت السمّت فى خلاء مكشوف .

أما تراهم يقولون : ان الاشتراكية ليست من الدين فى شىء ؟
لا بأس أن نناقش تلك القضية بعد أن خلصنا من أن الايمان بالدين هو
أهم المبادئ التى تركز عليها حياتنا وتقوم على أصولها فلسفتنا العامة .

الاسلام والاشتراكية :

لقد وضع الباب السادس من الميثاق حتمية الحل الاشتراكى لارساء
قواعد العدالة الاجتماعية التى تنادى بها الأديان السماوية عامة ،
والاسلام خاصة . ولقد كان المناخ الرأسمالى والاقطاعى لا يسمح لنبات
العدالة الاجتماعية أن ينمو ويعيش لتستظل به جموع الشعب من نير
النسخرة والحرمان والاستغلال وامتصاص الدم والدموع ، فكان لا بد من
قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، ولا بد من القوانين الاشتراكية المتتابة
فى مجالات الزراعة والصناعة والتجارة والمال وغيرها .

فهل فى الدين على ذلك من حرج ؟

أبدا .. أبدا .

فالاسلام دين الاشتراكية . قال صلى الله عليه وسلم « الناس
شركاء فى ثلاث : الماء والكلى والنار » .

✳ الاسلام جعل فى بيت المال حقا معلوما للمحتاج والسائل
والمحروم .

✳ الاسلام أقر حق الملكية، دون أن يجعل الملكية الفردية حقا مطلقا،
وانما جعل المالك وكيلا - فيما يملك - عن الجماعة التى ينتمى اليها ،
وما يملك الناس من مال انما هو مال الله .

قال تعالى : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

✳ أعطى للحاكم المسلم حق الاستيلاء على القدر اللازم منه لحاجة
الجماعة ، اذا دعا الداعى لصيانة مصالح المسلمين ، واصلاح أحوالهم ، ورد
خطر يهدد كيانهم .

✳ أباح الاسلام نزع الملكية الخاصة للمنفعة العامة .

✳ الاسلام دعا الى القضاء على الفوارق الشاسعة بين الثروات .

✳ الاسلام حض على التضامن والتكافل الاجتماعى واشار صالح
الجماعة على المصلحة الخاصة .

✳️ الاسلام أمر بايتاء ذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل .

✳️ الاسلام ينادى بالتعاون .

وفى هذه المعانى الاشتراكية النبيلة قال تعالى : —

« والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

وقال سبحانه : « ومما رزقناهم ينفقون » .

وقال جل جلاله : « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

وقال أعدل العادلين : « كونوا قوامين بالقسط » .

وقال رب العالمين : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا

بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » .

وقال أرحم الراحمين : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا

على الاثم والعدوان » .

وقال جلت حكمته : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم

درجات » .

ويجب ألا تفوتنا هذه المناسبة فنشير الى ما فى هذه الآية الكريمة

من توجيه للمسلمين الى الاقبال على العلم ، والاغتراف من مناهله ، والأخذ

بأسبابه ومناهجه العلمية لاصلاح أصول الجماعة .

هكذا أنزلت أشرف قاعدة اشتراكية أخلاقية اجتماعية اقتصادية ..

تنزيل من عزيز حكيم ترسى قواعد الاخاء والتعاطف والتعاون وعدالة

التوزيع .. مع ابراز الدور الهام للعلم والعلماء فى المجتمع .

وما خرجنا عن هذه القاعدة السماوية .

وما اشتراكيتنا الا تطبيق لمقدساتنا الروحية .

والمغرضون يدركون فى قرارة أنفسهم هذه الحقيقة .. ويعرفون

تماما أننا ملتزمون بجادة الدين .. لكن أحقادهم التخريبية وحوافز

الشر فى نفوسهم الملتهبة ، تدفعهم لاستخدام أخط وسائل الجدل وأخس

أساليب التشكيك والتزييف ، لتهييج خواطر الجماهير ضد الاشتراكية

التي تتلمس طريقها على هدى من الدين ، ومن بين هذه الوسائل أيضا

أنهم يستغلون احدى نظريات علم النفس ، وهى نظرية الاستجابة

الشرطية ، التى بمقتضاها ينفر الفرد أو الجماعة من شخص ، أو شيء أو فكرة - مهما كانت جودة هذا الشيء أو طيبة هذا الشخص ، أو فضيلة هذه الفكرة - طالما تحمل فى مظهرها بعض سمات فكرة أو شيء أو شخص منفر أو مكروه .

وعلى هذه الصورة يحاول المغرضون ربط اشتراكيتنا فى أذهان الجماهير باشتراكية أجنبية ، تنفرها جماهيرنا بطبيعتها وعقيدتها الروحية ، وكل ما يحمله وجودنا الحضارى من عناصر التراث الاجتماعى الذى يتوارثه الخلف عن السلف ، ويحفظه بين حنايا الضلوع مكان القلوب ، وتكتنزه فى الجماهير موضع العيون .

وشتان ما بين الاشتراكيّتين :

* اشتراكيّتنا العربية - كما وضحنا - تقدس القيم الروحية والدينية . . فى حين أن الاشتراكية الشيوعية تعطى القيم المادية كل الاعتبار ، ولا تبالى بالقيم الروحية ، حتى أن مؤسسها « كارل ماركس » قال : « ان الدين أفيون الشعوب » .

* وبناء على ايماننا بالدين فان اشتراكيّتنا تؤمن بالغيب ، على حين أن الاشتراكية الشيوعية لا تؤمن الا بما هو عقلى وما هو تجريبى ، واشتطوا فى النظرية التجريبية الى حد صياغة فلسفتهم فى ثوب شمولى يتسع لبحث الكون والطبيعة والانسان والمخلوقات وكيف وجدت .

أما نحن فلنا فلسفتنا الشمولية الأصيلة التى لا نحيد عنها ، موجودة فى قرآننا ، ولسنا فى حاجة الى تفسير جديد لأسرار الكون والطبيعة والمخلوقات .

* اننا فى صراعنا نتوخى السلام والصراع السلمى بين الطبقات عملاً بالمبدأ الدينى « ادفع بالتي هي أحسن » ولكنهم لا يجدون غضاضة فى القضاء على ٧٥٪ من المجتمع اذا كانوا غير شيوعيين ، حتى يخلو المجتمع للشيوعيين .

* اننا نقر الملكية الفردية والتوريث وهم لا يفعلون . وهناك الكثير من الفروق الشاسعة لكل باحث جاد فى بلوريتاريّتهم وديمقراطيّتنا . . . تجاهلهم للفرد وعنايتنا به . . . الخ .

ولكن الحاقدين مصرون على دعايتهم المغرضة ، وعلى اشاعة بعض المفاهيم الخاطئة ، الناشئة عن تفسير بعض المتدينين لمواقف دينية تفسيراً

مضادا مناقضا لطبيعة الامور ، سواء بفعل ضيق صدورهم وعقولهم
وتزمتهم وقصورهم ، أو بعوامل أخرى الدين منها ومنهم براء .

علمية الاشتراكية :

ومن هذه التفسيرات الانحرافية للدين ، انهم يزعمون أن الدين
والعلم متعارضان ، باعتبار أن الآخر لا يؤمن بالغيبيات ، ولا يبالي إلا بما
هو عقلي وما هو تجريبي ، وعلى هذه المقدمات الخاطئة يبتون نتائج خاطئة
مشيرين بأصبع الاتهام الى ما جاء بالباب السادس من الميثاق :

« ان الاشتراكية العلمية هي الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح
للتقدم » .

فما حقيقة المقصود بعبارة « الاشتراكية العلمية » ؟

هل ترون فيها أية اشارة الى النظرية المادية ؟ أبدا . ان هي الا تعبير
عن ضرورة التمسك بمناهج العلم في البحث والتحليل والتخطيط
والتطبيق في : تحليل المجتمع . . حصر موارده واحتياجاته العاجلة
والآجلة . . الكشف عن قواه الاجتماعية والاقتصادية والمادية والمعنوية
والبشرية . . اختيار الحلول الملائمة لمشاكله بالاسلوب المناسب لدرجة
الحاجتها . . وضعها في سلم الأولويات . . تحديد مراحلها الزمنية . .
متابعة خطوات التنفيذ لامكان تعديل الخطة على حسب ما يستجد من
ظروف . . ؟

هل هذه الا وسائل علمية ؟

وهل بغير هذه العلمية يمكن أن تتحقق الاشتراكية ؟

أو يريدونها « سبيللة » عشوائية ارتجالية ؟

لقد سبقنا كيف أن الله سبحانه وتعالى قد قرن الايمان بالعلم ،
وحض على الايمان وعلى العلم ، وجعله وسيلة للترقي والتدرج والطموح ،
تشجيعا لعباده المؤمنين على التوغل في دروبه والأخذ بأسبابه من أجل
التقدم الانساني . وذلك في قوله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين أوتوا العلم درجات » . ونضيف الى ذلك قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم أمرا الناس بالجهاد في سبيل العلم : « اطلب العلم ولو
في الصين » .

كيف يكون العلم اذن معارضا للدين ؟
أو كيف يعارض الدين العلم ؟
وهل يقوم العلم أو يهدف الا على والى قوانين ؟
وما أكثر القوانين الأزلية الأبدية فى القرآن الكريم ؟
ومن ذلك قوله تعالى ::

« والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك
القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » .
« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » .

« يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما
ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » .

أليست هذه قوانين علمية كونية واجتماعية تحفظ للكون وللمجتمع
التوازن والانضباط وتثبت قدرة الله ووجوده على الدوام ؟ اذن فعالمية
الاشتراكية لا تتعارض مع الدين بل ان الدين يحض على العلم سواء فى
الاشتراكية أو فى أى مجال آخر . والاسلام يدعو الى العلم ويرفع قدر
العلماء . قال تعالى :

« هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . وقال فى سورة
فاطر :

« انما يخشى الله من عباده العلماء » . وقرن العلماء بالملائكة فى
قوله سبحانه : شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم . وقال
تعالى : « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ان العلماء ورثة الانبياء » وقال : « من
سلك سبيلا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة » . وقال : « طلب
العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . وقال : « ان فضل العالم على
العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » .

وقال الامام مالك : « بلغنى أن العلماء يسألون يوم القيامة عما يسأل
عنه الأنبياء » .

هذا هو رأى الاسلام فى العلم : ولذا فالثورة تمسكا بالدين وطاعة

لأمر الله وسنة رسوله بإدركت الى نشر العلم بالمجان لجميع فئات الشعب، ونادى الميثاق باتباع الاسلوب العلمى فى كل أمور الدنيا والدين للتخلص من الجمود والتخلف ، واشاعة وعى المواطنين بحقوقهم المشروعة فى الحرية والمساواة والحياة الكريمة ، والقضاء على ظلم الانسان لأخيه الانسان ، وقطع دابر المحترفين تجار الدين الذين يشترون بآيات الله ثمنا بخسا ، ومحو كل أثر لتخريفاتهم وتخريفاتهم التى روجوها فى عقول العامة باسم الدين مستغلين ما رزح فيه المجتمع من جهل وأمية بفعل الاستعمار والاقطاع والاحتكار فهم الذين حرصوا على منع هؤلاء من العلم أن يتسرب الى صدور المصريين حتى لا يستفيقوا وينهضوا فى غضبة عظيمة وثورة عارمة .

لذلك حاربوا العلم فى كل شئ ، ولذلك يحاربون العلم فى الاشتراكية وكأنهم يعيبون على الورد حمرة وعبيره ونضرتة .

الدين والتقدم الاجتماعى :

لقد أرسل الله رسله ونزل كتبه رحمة بالعالمين من الظلم والاستعباد ، ومن الجهل والفقر والضللال ، وليسعوا فى مناكب الارض يعمرونها فتشيع فى الكون حياة سعادة وصلاح ورخاء ، على هدى من أنبل المثل وأفضل القيم تنزيل من عزيز حكيم ، يترجمها الانسان - خليفة الله فى أرضه ، الذى فضله على سائر المخلوقات - الى أعمال وجهود وبناء .. قال تعالى : «لقد أرسلنا رسلا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط» وقال تعالى : «أحل لكم الطيبات» وقال تعالى : «وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا» .

فكما أن الاسلام يحض على التنظيم واحسان تدبير الامور وأن يعد لكل شئ عدته فيما نسميه اليوم بالتخطيط العلمى ، أو ما يسمى فى المفهوم الاشتراكى توجيه الاقتصاد وفق خطة مركزية مدروسة - فان الاسلام يدعو الى العمل على دفع الحياة نحو ما ينفع الناس . لا رهينة ولا كهنوت فى الاسلام ، وانما حركة شاملة لتغيير وجه المجتمع وتطوره ليس الدين مجرد شعائر دينية ، وركعات وسجادات دون عمل أو شعور بالمسئولية فالله غنى عن عبادات من لا يعمل صالحا لنفسه وجماعته ..

وان حكمته الجليلة فى فرض العبادات هى أن يربى بنى آدم ، يهذبهم ويدربه ويعوده على خلال وسلوك ، ينفعه ويعده ليكون قوة من قوى التقدم فى المجتمع .. ان الشعائر والعبادات هى علامات الطريق للمؤمنين

المتحركين في طريق العمل الصالح والسعى الحثيث في سبيل التقدم أما القابعون المتزمتون الساكنون الى الصوامع والمعابد بلا عمل .. فهم عيال على غيرهم ، منعزلون في كآبة ، فان الاسلام يرفضهم لانه يرفض الجمود والعزلة والكآبة والضياع .. الاسلام يرى من الخمول العضلي والعقلي ، يرى من التواكل والاستكانة .

العمل في الاسلام :

ان اشتراكيتنا حينما جعلت أساسها الاول هو « أن العمل هو الأساس الرئيسي في الدخل وتوزيع عائد الانتاج » . انما ترجمت وطبقت مبدأ هاما تميز به الاسلام وألزم به . فهو دين العمل . قال تعالى : «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» .. «وقل اعملوا» .

وقال عليه الصلاة والسلام .. « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .. وقال : « يا بني هاشم .. لا يأتيني الناس بأعمالهم .. وتأتونني بأنسابكم» وقال «اذا قامت الساعة على أحدكم وفي يده سنبله ، واستطاع ألا تقوم الساعة عليه حتى يفرسها . فان له على ذلك أجرا» ..

«وقال من أمسى كالا من عمل يده - أمسى مغفورا له» وقال ممسكا بيد عامل ورمت يده من كثرة العمل : «هذه يد يحبها الله» .. فليس للانسان الا ما سعى .. ولقد كان لنا في رسول الله أسوة حسنة : يحفر الخندق مع أصحابه ، ويعمل معهم ، ويعيش كادحا مثلهم .

قال ابن الخطاب : والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد ، والله ما أنا ، أحق بهذا المال من أحد . والله ما أحد من المسلمين الا وله في هذا المال نصيب الناس على منازلهم في كتاب الله : فالرجل وبلاؤه في الاسلام «اشارة الى العمل» والرجل وقدمه في الاسلام (اشارة الى الايمان) . والرجل وحاجته (اشارة الى التكافل الاجتماعي) .

وبعد . أليست هذه اشتراكيتنا ؟ أليست هذه هي الكفاية والعدل؟

ايثار مصلحة الجماعة في الاسلام :

تقوم اشتراكيتنا أيضا على ايثار مصلحة الجماعة على صالح الفرد ، وأن يشعر الفرد بمسئوليته نحو الجماعة . وما ذلك الا تنفيذ لما أمر به الله ورسوله .. يخاطب الله المسلمين بقوله : «ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون» . ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ،

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ، وآتى المال على حبه ، ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب» . . وقال «وآتوهم من مال الله الذى آتاكم» .

وقال رسول الله : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استقلوا سفينة فكان بعضهم أسفلها وبعضهم أعلاها ، فصار الذين فى أسفلها لا يصلون الى الماء الا اذا علا من فيها أعلاها ، فقالوا : لو أنا خرقتنا فى نصيبنا خرقتا . . فلو تركوهم هلكوا جميعا ، ولو ضربوا على أيديهم نجوا ونجوا معهم » .

هذا هو الدين ، وهذه هى الاشتراكية . المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص تتكون من مجموعهم ، وان شكا عضو تداعى له سائر الاعضاء .

عوامل التحريف والتخريف :

اذا كانت الحقائق الدينية النورانية بهذا الوضوح والاشراق ، فما هذه العوامل التى تثير غبار الضلال وتحاول عبثا أن تحجب شمس الحق عن أبصار الناس وبصائرهم ليضلوا سواء السبيل ، ولا ينتفعوا بمكنوز دينهم ، وطاقاته الدافعة نحو العزة والقوة والتقدم والمجد ؟ .

منهم الآثمون الذين ابتلى بهم الاسلام فى كل حين . . اليهود ، والمؤتلفة قلوبهم : المراءون المنافقون ، والاستعمار ، ثم من أفقستهم الاشتراكية اليوم مراكز السيطرة الاقتصادية والسياسية على الأقوات والحريات وحلفائهم من الطامعين فى الحكم والتحكم فى رقاب الناس بالقتل والنسف يتذرعون بالدين ، ويحتمون فى قلاع الاسلام والاسلام منهم براء ، يلبسون جلال الحق ثوب الباطل لينالوا من الاشتراكية وهيئات .

ومنهم من يخطئ عن جهل بحقائق الدين . . وليس لهم من عذر بعد أن عملت حكومة الشعب على نشر رسالة الدين بكل الوسائل التعليمية . . والاعلامية الاذاعية والتليفزيونية . . والتوسع الازهرى الذى ملأ المدن والقرى والنجوع بل والعالم الاسلامى كله بالمتفقهين من أهل الذكر . . والمصاحف ، وكتب التفسير التى تعج بها المكتبات .

ومع ذلك فان الدين يعرف بالدين لا بأفكار الناس عنه ، ومحصولهم منه . . والطريق القويم الى حكم الله رسمه الله فى وضوح .

مصادر الاحكام الدينية :

المصدر الاساسى لحكم الله فى كل الامور هو القرآن الكريم . .
نحتكم اليه بذاتنا أو بمعونة أهل الذكر . . وتقضى أصول التفسير بالألا
نقطع نصا من سياقه . . أو نغفل عن مناسبته . . فالقرآن تبيان لكل شئ
انما بطريقتين :-

١ - النص الصريح المباشر :

فيما لا يقبل التبديل . . وما لا يتأثر بتغيير الزمان والمكان من أمور
وأحكام ، كالفلسفة الكلية ، والأوامر والنواهي ، وما يتعلق بالفضائل
والرذائل والحلال والحرام - على سبيل المثال .

٢ - الإحالة والإشارة الى مصدر آخر :

(أ) السنة : هى أولى هذه المصادر . قال تعالى : « ما آتاكم الرسول
فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .

(ب) الاجتهاد فى رأى بما يجمع عليه المسلمون لصالح الجماعة بشرط
ألا يتعارض مع كتاب الله ولا سنة رسوله . وفى ذلك قال تعالى
مامعناه : « أفلا يتدبرون » . . « أفلا يتفكرون » . . « وفى أنفسهم
أفلا يبصرون » .

روى عن النبى عليه الصلاة والسلام انه سأل معاذ قبل أن يوفده
الى اليمن : « اذا عرض لك قضاء فيما تقضى ؟ قال معاذ : بكتاب الله .
فقال النبى : فان لم تجد . قال معاذ أقضى بسنة الرسول . قال محمد :
فان لم تجد . قال معاذ : أجتهد رأىى ولا أقصر . قال الرسول . سر على
بركة الله » .

وفى حديث : « الحكمة ضالة المؤمن . فأنى وجدها فهو أحق بها »
وجاء فى صحيح البخارى : أن أبا بكر كان اذا ألم به أمر نظر الى كتاب
الله فقضى ، وان لم يجد يُنظر الى سنة الله فقضى ، وان لم يجد جمع رؤوس
الناس وخيارهم وسألهم عما اذا كان من بينهم من يحفظ شيئا عن النبى
فى هذا الامر . . فان وجد حمد الله وقضى . . وان لم يجد قال لهم :
« أشيروا على أيها الناس فما انتهوا اليه قضى به » .

تلك هى طرق الاحتكام الى الدين . ويعلم الله أن التذرع بالآية

الكريمة « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ليس الا تجميدا للاحتياط وسلا لتقدم الجماعة عن قصد أو جهل ، واستعمالا للآية في غير موضعها تلك الآية تتحدث عن أمم الطيور والحيوانات والنمل وما الى ذلك من خلق الله وسلطانة .. ولو صح المعنى الذى يريد المجددون أن تستخدم فيه ، لما كان هناك داع للسنة ، ولما أحالنا الله على الرسول في أمور ، والى التدبر والتبصر والتفكر فى أخرى .. حقا ان كتاب الله كامل ، ولا ريب فى انه سبحانه ما فرط فيه من شيء ولكنها ليست جميعا بالنص فالله جلت حكمته ترك الامور التى تتناثر بتغير الزمان والمكان وتطور البشرية وتغير علاقاتها الى عقول الناس وصالح الجماعة بشرط ألا تتعارض مع القرآن والسنة .

ان الله سبحانه وتعالى خالق الكون : بدأه وسواه . وقدر منتهاه .. وفيما بين البداية والنهاية تطوير وتغيير قدره . ومشاكل وقضايا ترى وتتجدد وتتغير باختلاف المكان والزمان .. ترك الجهاد فيها لاجتهادات الرجال فى اطار القيم الدينية والفضائل الروحية . والاوامر والنواهي الربانية .

الاسلام ليس قيادا على المسلمين يوقف انطلاقهم أو يحجر تفكيرهم .. ان هو الا طاقة خلاقة أنزلها الله نفحة من فيضه تستقر فى قلوب المؤمنين من عباده وعقولهم .. فيتغيرون ويصيرون أقدر أهل الارض على التغيير فى صلابة وعزم واصرار واحسان . وهكذا تمكنت فئة قليلة من الجياع الحفاة العراة سكان الجزيرة العربية أن تقوم بأكبر عملية تغيير سياسى اجتماعى أخلاقى فى التاريخ .. بالعلم والعمل والايمان .. بالعقل والجهد والنفس .. لخير البشرية ورخائها وسلامها وعمرانها على أعدل الاسس التى تنظم العلاقات الحميدة اجتماعيا واقتصاديا بين الانسان وأخيه الانسان بالعدل والحق .

♦ الرأي العام

سبق أن تحدثنا عن تجميع الجماهير وبيننا ان الغرض من جميعها هو خلق رأى عام مستنير قوى ، وان جوهر عمل الافراد القياديين هو أن يرسخوا فى أعماق الرأى العام جذور الايمان بالنظام الاجتماعى السياسى القسائم ، حتى يؤازره ، ويبذل كل المساعى فى دفع عجلة المجتمع نحو التقدم والنمو والازدهار والاستقرار ، وأن يدفع عنه فورا وفى كل لحظة أى عدوان مادي أو فكرى يتعرض له المجتمع من الداخل أو من الخارج ، وأن يكون هذا الدفاع تلقائيا ذاتيا قويا . . فما هو الرأى العام ؟

تعريف الرأى العام :

الرأى العام ظاهرة نفسية تلقائية عامة توجد حيثما يجتمع الناس مهما كانت كثافة المجتمع الذى يعيشون فيه . . يناقشون ويتجادلون ، وتحثك أذهانهم ، وتتصاول آراؤهم ، وتتجادل اتجاهاتهم ، حول حدث معين ، أو فكرة ما تمتزج بعواطفهم أو تتعلق بالمصالح والظروف المشتركة التى تربط الجماعة . فيتكون لهم فى النهاية رأى عام . وجدير بالذكر أن شقى الرأى فى تكوين الرأى العام هو الصراع التقليدى بين المبادئ والمثل من جهة والمصالح من جهة أخرى .

ونادرا ما يكون الرأى العام رأيا مطلقا ، ولكنه فى العادة ، وعلى الأصح ، رأى غالب أما « الرأى الدائم » الراسخ ، المعمر ، الثابت فهو ما يلتصق بالميراث الثقافى الاصيل للجماعة عامة ، وما يرتبط بالتراث الاجتماعى ، وخاصة ما يتعلق بالقيم الروحية والدينية .

أنواع الرأى :

وحتى لا يختلط علينا الامر ، علينا أن نستعرض أنواع الرأى حتى نميز بينها وبين الرأى العام :

١ - رأى الفرد : وهو نوعان :-

(أ) رأى صريح : تشجعه النظم الديمقراطية ، وتكفله تكامل الشخصية والشجاعة الادبية ، والتحرر من التبعية والضغط الاجتماعى والاقتصادية والسياسية والنفسية وغيرها مما تسبب المخاوف .

(ب) رأى كامن : ويتفشى فى المجتمعات الدكتاتورية والقبلية ، كما يتأثر بالضغط السالفة الذكر ، ويؤدى الى انتشار السلبيه والجمود

الاجتماعى ، وقد يؤدى استمراره وضغطه وانتشاره الى انفجار عدوانى ، أو الى زيادة نسبة العصائين فى المجتمع الى حد ما .

٢ - رأى الأغلبية :

وهو الرأى المتجمع من أكثر من نصف أفراد الجماعة . . . ولكل من الزعامة القوية والدعاية الناجحة أثر فى تكوين رأى الأغلبية . . . ومن ثم فليس من الضرورى أن يكون دائما على صواب ، لانه عرضة للتضليل والتزييف والتأثير والضغط ، بفعل عوامل كثيرة قد ترجع الى ضحالة ثقافية أو تبعية قبلية أو عائلية أو اقتصادية ، وغير ذلك من الضغوط التى تحتكم الى المصلحة والعاطفة والمشاركة والوجدانية والولاء للأفراد ، أكثر مما تحتكم الى العقل والحقيقة والمبادئ والمثل والتفرد الذاتى وحرية الرأى والتعبير .

ولذا كان رأى الأغلبية يتميز بقابلية للتعديل والتغيير والتحويل والتبديل . . . ولكنه يحتاج الى زعامة أرشد وأقوى وأحب وأوثق صلة بالناس ، وأقدر على الاقناع . . . ويحتاج أيضا الى دعاية أعم وأعمق أثرا ، وأشد نفوذا الى قلوب الناس وعقولهم من تلك الدعاية والقيادة التى أوجدته .

وهناك تتضح أهمية دور الدعاة المهرة قادة الرأى . . . وتبرز أيضا أهمية التعرف على قادة الرأى المضاد ، وأهمية دراستهم ودراسة أساليبهم فى الدعاية ، فان ذلك ضرورى لامكان اختيار أساليب دعاية أشد وقعا فى نفوس الناس . علما بأن تعبئة الرأى العام لا بد وأن تسبقه عملية تنقيته من الافكار المضادة .

٣ - رأى الأقلية :

وهو الكفة المقابلة لرأى الأغلبية ، أى انه رأى الاقل من نصف الجماعة ويتميز بالصلابة وصعوبة تعديله وتغييره وتحويله . . . والسر فى ذلك انه يصدر عادة عن أفراد أوتوا ثقافة وافرة ، وإيمانا عميقا، مستمدا من حقائق علمية ومبادئ طيبة أصيلة غالبا ما تستند الى القيم الانسانية العامة ، والسنن الروحية العريقة ، والمثل الوطنية الحقيقية . ولذا فانها سرعان ما تكتسب ثقة الرأى العام ، وتنجح فى مخططاتها على النطاق الذى يكتب لمبادئها أن تنتشر فيه . . . ومن مجموع هذه الخصائص القوية

الفاضلة التي تتكون منها شخصية رأى الاقلية ، نجدها لا تلين لضغط أو ارهاب . . ومصادق ذلك أن دعاة الاصلاح فى برلمان ما قبل الثورة كانوا يمثلون رأى الاقلية أمام الرجعية والاقطاع والرأسمالية والاستعمار . . وكان قادة الثورة أنفسهم أقلية فى مواجهة نفس عناصر الحلف غير المقدس فى الداخل والخارج . . ولكن الخصائص المذكورة أكسبتهم تأييد الرأى العام المحلى منذ اللحظة الاولى ، ثم الرأى العام العربى . . ثم الرأى العام الآسيوى والافريقى ، ثم الرأى العام العالمى ، حتى صارت مبادئ التحرر وتقرير المصير والتعايش السلمى ، والحياد الايجابى وعدم الانحياز ، وغيرها من المبادئ الانسانية الحققة هى أغرودة الرأى العام العالمى كله ، فتحول من رأى أقلية الى رأى عام كلى غالب .

ولذا فالنظم السياسية الديمقراطية السليمة تقيم أكبر وزن لرأى الأقلية تقديرا لأصالته وتتيح له أوسع الفرص لأداء دوره البناء فى تقدم المجتمع ، وحمايته من الانحراف ومن تطرف الرأى الغالب ، سواء كان الرأى الغالب ناتجا عن مركبات ثقافية أو أخلاقية أو اجتماعية تأخرية متوارثة عن عهود ونظم وظروف تأخرية ، أو كان ناتجا عن سيطرة سياسية متحكمة ذات دعاية قوية كما يحدث فى حالات الدول المحتلة أو الواقعة فى نطاق حوز القوى الاستعمارية وما تفرضه من مفاهيم تخدم غرضها وغرض أتباعها من المتحكمين .

٤ - الرأى الائتلافى :

وقوامه رأى عدة أقليات لا تستطيع الوقوف على قدميها منفردة أمام رأى الاغلبية ، فتلجأ - برغم اختلاف مبادئها ووسائلها - الى التحالف والائتلاف وتكوين جبهة مضادة لتجميع رأياها من أجل الوصول الى مصلحة مشتركة مثلما تفعله الاحزاب الضعيفة للوصول الى الحكم .

انه تكوين اصطناعى مؤقت كما نرى ، ولذا فان الرأى الائتلافى خلقة ضعيفة قصيرة العمر ، عاجزة عن الصمود لفترة طويلة أمام الرأى الغالب .

ومن أمثلة الرأى الائتلافى المعاصر ، ذلك الرأى الناشئ عن تحالف الأقليات المضادة للثورة العربية ، والاشتراكية العربية، والقومية العربية، والتي جمعتها المصالح المشتركة حول رأى يتلخص فى القضاء على ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ومبادئها ومنجزاتها ، وآثارها ، وقوانينها الاشتراكية ، ومكاسبها الشعبية بأية وسيلة .

هَذَا هو هدف الرجعية المدحورة ، والرأسمالية الموتورة ، وفلول
الاقطاع المسعورة وعصابات الاخوان المسلمين الحانقة الطامعة، والبعثيين،
والقوميين السوريين ، والمشردين من بيت حميد الدين .. وأتباعهم جميعا
من المأجورين أو المخدوعين .. كلها أقليات فى الوطن العربى الكبير ،
اثلفت لغرض هدام .

وعلى أى حال فان رأى الائتلافى يدخل فى تكوين عوامل نفسية
متعارضة ، ومصالح مذهبية متباينة ، لا تضمن له الدوام وانما على العكس
من ذلك نجده يتفكك بزوال الغرض من تكوينه وائتلافه ، وينتهى الى
صراع بين العناصر المؤتلفة .

٥ - رأى المتحد :

ويتكون من اتحساد القوى الشعبية العاملة كاملة ، على اختلاف
قطاعاتها وطبقاتها ومهنها ، فى وحدة وطنية شاملة يتركز رأياها ويلتف
حول مبادئ حقيقية بناءة ، من شأنها صنع التقدم الثورى والوقاية من
أخطار تحديات معينة ، ويختلف رأى المتحد عن رأى الائتلافى فى أن
الاول يتميز بالبناء ، والاندماج ، والاتحساد حول فكرة الخطة والعمل
والهدف ، كما يتميز بالاخلاص العام والمشاركة الوجدانية والعلاقات
المتكاملة فى خطوطها العريضة ، مما لا يوجد مجالا للانقسام ولا الصراع ،
ولا احتمالات التفكك .

٦ - رأى الساقق :

وهو أقرب ما يكون الى الاجماع ، ويحتاج تكوينه الى عنصرين
هامين هما : الاقناع التام الناشئ عن توسيع مجال الجدل الموضوعى الحر
والنقد الشجاع ، وكذا القيادة الوطنية الرشيدة .

٧ - رأى الجامع :

وهو ما يسمى باجماع الآراء . ويتميز بالأصالة والثبات والدوام
والقوة وبعدم قابلية التعديل أو التغيير مطلقا ، وهو يفترق عن رأى الاقلية
الطيبة من حيث أن رأى الاقلية الفاضلة هذا يتخذ خط سير متطورا الى
الامام ، فى حين أن رأى الجامع ثابت راسخ لا يتغير لانه يرتبط بتاريخ
الامة وتراثها الاجتماعى ، وضوابطها من عرف وعادات وتقاليده وقيم

زوحية .. وويل لمن يتغرض للرأى الجامع بمحاولة تعديل أو تغيير وخاصة فيما يتعلق بالدين .

أنواع الرأى العام :

عرفنا الرأى العام من قبل بصفة شاملة ، فاذا ما تأملناه بنظرة فاحصة محللة وجدناه ينقسم الى أنواع ثلاثة وهى :-

(أ) **الرأى العام النابه** : وقوامه قلة ضئيلة من الصفوة المفكرة الممتازة ، التى تختص ، بقدرات وامكانيات وسمات شخصية مذهبية ونفسية وحركية فائقة ، تجعلها فى مستوى الاحساس الصادق السريع بظروف الجماهير ، والانطباع بمشاكله ورغباته واتجاهات آرائه والقدرة على ايجاد الحلول المناسبة ، ومن ثم تحريك الحشود والكتل البشرية بعد جمعها حول رأى ، وتوجيهها فى خط سير موحد ، برأى عام موحد ، دون أن تتأثر هذه الصفوة ذاتها بأنواع الدعاية الاخرى .

(ب) **الرأى العام المستنير** : ويتكون من غالبية المتعلمين ، ولديهم من اطلاعاتهم وقراءاتهم قدرة على المقارنة والموازنة وربط الاحداث ، وتكوين رأى متعقل الى حد بعيد . كما أن لهم تأثيرا على مخالطيهم من غير المتعلمين وخاصة بالريف .. ويزداد حجم هذا النوع من الرأى العام تبعا لانتشار التعليم فى الامة ، وهذا يدعو الامة النامية الى مكافحة الامة لتوسيع اطار الرأى العام المستنير .

(ج) **الرأى العام المنقاد** : ويشمل السواد الأعظم من الجماهير الامة غير المتعلمة ، وهؤلاء يعجزون عادة عن تحليل القضايا العامة وربطها بالظروف الدولية بوجه خاص .. كما يقصر باعهم عن تناول الحقائق ، وأسبابها ، ونتائجها بعقولهم وتفكيرهم الذاتى دون شرح ومساعدة من الغير ، وهذا يحتم أن يتولى القادة الدعاة ايضاح الحقائق لهم وتسليحهم بالوعى ووحدة الفكر عن طريق الموضوعات التى تثير اهتمامهم وتتصل بحياتهم اليومية ، ويكون التأثير أقوى ، والاقناع أعمق ، اذا ما استند هذا الايضاح على حقائق المبادئ والقيم الروحية ، والمثل الاخلاقية ، والمعايير الانسانية .. لانهم بهذه الموارد أكثر تعلقا من غيرهم .. والواقع ان لهذه الخاصية ضررها ، وذلك أن تمسكهم بالقيم الدينية مع حرمانهم الشديد من

العلم يتيح للمضللين من محترفي الدين ومحرفيه ومستغليه في
الاغراض السياسية أن يخدعوا هذه الجماهير ويفسدوا الرأى العام
المنقاد .

وظيفة الرأى العام :

لقد أجمع جهابذة العلماء وأساطين السياسة منذ أقدم العصور -
على ان الرأى العام هو المصدر الاساسى للقوى الضابطة والطاقات المحركة
الدافعة بالشعوب خاصة والانسانية عامة نحو التقدم والتطور .

فالرأى العام هو الذى يكون الطرق الشعبية « الفولكلور » ويثبتها .
ثم يطورها الى تقاليد يحميها باستهجان الخارجين عليها واستحسان المتبعين
لها ثم يدعمها ويهذبها فتصير أعرافا تحكم سلوك الجماعة فيما بينها وبين
الجماعات الأخرى وفيما بين أفرادها والجماعات الداخلة بعضهم فى بعض .
ولا تلبث هذه الأعراف الشفاهية التى تكتسى ثياب الحكم والأمثال أن تصير
قوانين مكتوبة تحكم الجماعة ، أو الأمة ، أو المنظمة الإقليمية ، أو منظمة
دولية كهيئة الأمم المتحدة .

وهكذا نرى كيف أن الرأى العام يقوم بوظيفة ضابطة منظمة لسلوك
الفرد ، والأسرة والعائلة ، والقرية والمدينة ، والدولة ، وعدة دول ، ثم
العالم أجمع .

وهكذا يتبين لنا جبروت الرأى العام وسلطانه فى مختلف مستوياته ،
ومدى ما يتوافر له من قوة عملاقة توجه الأفراد والجماعات الصغرى
والكبيرة . فهو يمثل الارادة أو الرغبة العامة التى تفرض نفسها فرضا
لحماية كيان الجماعة ومبادئها وقيمها وتنظيماتها ، ولذا فانه يحتل المقام
الأسمى من عناية الجماعات والدول الديمقراطية الجادة . . ومعنى العناية
أن تكون ذات شقين :

(أ) الحيلولة دون اعوجاج الرأى العام أو انحرافه سواء بفعل الجهل
بطبائع الأمور ، أو دس مفاهيم خاطئة مضللة . . وهذا يستدعى تثقيف
الرأى العام بيد ، وتنقيته وتطهيره من الشوائب والمفاهيم الغريبة الضارة
باليد الأخرى .

(ب) اطلاق حرية الرأى والتعبير والنقد الشجاع البناء الهادف
لصالح الجماعة وخيرها .

والرأى العام لكى يصل الى هذه القوة وهذا الشباب القوى المتمثل

فى شكل أحكام عامة ملزمة من جانب الجماعة ازاء المشاكل الجارية والأمر والعلاقات والحوادث والظروف المختلفة ، يمر بمراحل متعددة ، ويتخذ خط سير صاعدا ، وأطوارا نامية تتدرج نحو الاتساع والضخامة من حيث الكيف والكم .

فهو يبدأ عادة بومضة فكر بناءة أو هدامة ، تنبعث شرارتها فى ذهن فرد خير أو شرير . ثم تتحول الى وجهة نظر يجمع لها صاحبها المبررات والأسانيد . . وفى كلتا الحالتين تقابلها وجهات نظر معارضة وأخرى مؤيدة . . ويحتدم النقاش والجدال . . وتلعب وسائل الاقناع دورها ، وأساليب الجدل الأعيبها ، وامكانيات القياديين مداها . . . سواء كان ذلك فى ميدان مكشوف أو فى الخفاء ، وسواء كان مواجهة فى الاجتماعات والندوات والمقابلات ، والنشر أو بالإشاعة والحرب النفسية من طرف يعمد الى التخفى هربا من مقارعة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان .

وعلى أى حال فان الاقناع ينتهى آخر الأمر بامتلاك أحد الطرفين لناصية الراى العام عن طريق ظاهرة التفشى والانتشار ، وعلى أساس تشابه وتمائل وجهات النظر الذى يصل بالراى الى حد الاتفاق ، واتخاذ موقف جماعى حيال أمر معين . . قد يكون هذا الموقف تجاه مشكلة اقتصادية أو مبدأ سياسى أو تغيير اجتماعى ، وهنا تزداد احتمالات النقاش والجدال والصراع . . أما تجاه المبادئ الأخلاقية والروحية على وجه الخصوص فان الراى العام الاصيل كفىل بتطبيق معايير ومقاييس ومواجهة الراى الدخيل ودحره الا فى الحالات التى يستغل فيها الدين بطريق التزييف والتحريف وخلق الميدان أمام المضللين من الدعاة المهرة المزودين بالقدر الكافى من الدراسة والبحث ، وغيرها من أسلحة التصدى والمخزون الكافى لتزويد الجماهير بأكبر مثونة من الاقناع ليحتفظ الراى العام بأصالته ونقاوته وقوة الزامه وفعاليته وقدرته على الصمود والتقدم ليخط صفحات مجيدة فى سجل التاريخ .

ويقع عبء هذا على كواهل القيادات الرشيدة . . فواجب الشخص القيادى أن يفتح لجماعته أبواب التعبير الحر ، وأن يهتم باللحظ والتلميح قدر اهتمامه باللفظ الصريح وأن يسد الثغرات الفكرية ويضمد الجراح التى تصيب الراى العام من سهام المتجنيين عليه ينقيه من معكراته ، وينظفه من مفسداته ، ويدحض الإشاعات والمفاهيم الرجعية التى تلقى لاصابة الراى العام بالضعف والخور ، أملا فى أن يتقاعس ويتقاعد فى منتصف طريق التنمية ، ويتخلى عن ثورته ومبادئها والاستمرار فى انجاز

خطتها .. والدعاة قادة الرأي العام لا يقتصر عملهم في تدعيم الرأي العام وتكثيله لمساندة الاتجاهات الثورية على مجال معين .. فمجالهم كبير يبدأ بشئون الاسرة ، وشئون الوظيفة ، وشئون المهنة ، والمحافظة على المثل والمبادئ والقيم ، والارتقاء بالانتاج وبالفن ، وبكل ما ينفع الامة والشعب من الفرعيات ، تماما كما يهتمون بالمجالات المحلية والدولية العامة سياسيا واقتصاديا .. فقد رأينا كيف أن الرأي العام يبدأ من فرد وينتهي الى أن يملأ العالم كله ، في فترة زمنية معينة او الى الأبد .. وهو أينما كان وفي كل زمان يحكم على الفكرة أو السلوك أو الانتاج بالجودة أو الرداءة : ومهمتنا هي اعطاء الرأي العام أضبط المقاييس والمعايير والموازن الصحيحة الحقيقية ليستخدمها في الحكم على ما يلقى اليه من افكار ، وما يبدو له من سلوك ، وما يؤديه أو يعرض عليه من انتاج - حكما صحيحا - بالجودة أو الرداءة .

لمحة تاريخية عن الرأي العام :

وقد ظل الرأي العام هو الهدف الأساسي الذي توجه اليه الدعوة وتعنى به الدولة منذ أقدم العصور :

في الصين :

عرفت الحرب النفسية كسلاح دفاعي وهجومي منذ ٢٥٠٠ عام تقريبا ، وحرك كونفوشيوس الرأي العام ضد ظلم الأباطرة استعبادهم للشعب .

وفي مصر الفرعونية :

هب الرأي العام غاضبا لينفض عن أرضه غزاة الهكسوس وانهيشين ، ويجبر الفرعون على بسط المزيد من الحرية السياسية للحكام من أبناء البلد .

وفي صدر الاسلام :

اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بتوجيه الرسالة الى الرأي العام .. دعاه ورباه ، وهدبه وهداه . والاسلام في حد ذاته حينما يجعل الحكم بيعة انما يشير الى وجوب احترام الرأي العام .. وان قول أبي بكر الصديق بعد توليته الخلافة : « اني قد وليت عليكم ، ولست بخيركم »

فإن رأيتموثى على حق فأعينوثى ، وإن رأيتموثى على باطل فقوموثى ،
أطيعونى ما أطعت الله فيكم ... » هذا القول يحمل كل معانى تقديس
الرأى العام وتعظيمه ، والاعتراف بأهميته فى توجيه التاريخ .

وفى عهد الرومان :

قبل ذلك - عرفوه بأنه صوت الشعب أعلى صوت .

وفى العصر الحديث :

عرفه ميكيافيللى فى كتابه الامير بأنه « صوت الشعب ، وصوت
الشعب من صوت الله » .

وعرفه فنسكيو :

« بالروح العامة »

وصوره روسو :

« بالارادة العامة » .

وقال عنه وليم تمبل :

انه دعامة الحكم ، ومصدر السلطة ونفوذها ، ومنبع القوة ، اعنى
قوة للمحكومين ، فهم الكثرة ، وأما القلة الحاكمة فلا نفوذ لها بغير قوة
الرأى العام .

واعتبره لوك :

أحد القوانين الثلاثة التى تسوس البشر ، وتضبط حركات
الانسان وهى : القوانين الالهية ، والقوانين المدنية ، وقانون الرأى العام .

لقد صارت عبارة « الرأى العام » مصطلحا دوليا عالميا بعد الثورة
الفرنسية ، وصارت له قوته وحسابه فى ميزان القوى ، وفى تقدير فاعلية
التغييرات السياسية والحركات العالمية وشرعيتها .

وقام الرأى العام فى مصر بأعمال بطولية حتى فى أشد حالات
افتقاره الى القيادات الناضجة ، حين ذاك كان يخلق هو القيادات ويرفعها
على الاكتاف ، ويسير فيما يشبه القيادة الجماعية مستهينا بالموت
مزدريا الحديد والنار فى مظاهرات وثورات عزلاء تارة أو مسلحة بالفئوس

والحجارة .. فى دنشواى ودمياط ورشيد وغيرها ، ... وهكذا ناوأ التدخل الاجنبى ، وكان له أكبر الفضل فى الفاء المحاكم المختلطة والامتيازات الاجنبية ، كما قام من قبل بطوفان التحرر من انواع الاستعمار العثمانى والفرنسى والانجليزى المتعاقبة .

وفى النهاية آزر ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحماها وأيدها فى الاطاحة بالملكية ، وتبديد الاقطاع ، والعصف بالرأسمالية المستغلة ، والقاء الاستعمار الى اليم مرتين فى تاريخ الثورة ، واعترفت الثورة الاشتراكية الديمقراطية بعظمته وبقدرته على حماية مكاسبه وبأنه السلطة العليا فى كل مستوى ، حتى ان قانون الاتحاد الاشتراكى قد نص على أن المؤتمر الشعبى على أى مستوى هو أعلى سلطة سواء فى الوحدة الأساسية أو فى المركز أو القسم أو المحافظة أو المؤتمر القومى .

تعبئة الراى العام :

ذكرنا أن مهمة العضو القيادى هى تنقية الراى العام ، وتسليحه برفع مستواه الفكرى ، وضمه فى تكاتف وتكاتف ، وتوجيهه نحو المسالك الحركية التى تخدم أهداف المجتمع ، مع المحافظة على درجة حماسه وتماسكه .

لكن هذه العملية نفسها - عملية التعبئة - تتضمن عدة عمليات لا تقل احداها أهمية عن الأخرى .

فلكى أقنع الناس ، لابد أن أشدهم وأجذبهم الى مناقشة فعلية مفتوحة .

ولكى يشتركوا فى النقاش بفاعلية ، لابد أن يكون موضوع المناقشة محورا لأهتماماتهم .

ولمعرفة ذلك ، لابد من الوقوف على ألوان الفكر والعمل والمعيشة السائدة بينهم .. والمشكلات ذات الأثر المباشر عليهم ، أى لابد من تحليل ظروفهم الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ومعرفة القوى البشرية والمعنوية التى يمكن الاستعانة بها فى عملية التوعية والتبصير وخاصة القادة المحليين ، ومعرفة القوى البشرية والمعنوية التى يجب أن يعمل حساب وجودها كعوامل معطلة لعملية التعبئة .

وهكذا نجد أن الراى العام نفسه هو البداية كما هو النهاية ، أى أنه أساس وضع أى برنامج أو خطة لتعبئته ، ولذا فان الخطوة الاولى

هي قياس اتجاهاته . . وتحديد عوامل التأثير عليه وتنشيطه وتحريكه ، وعنصر تكوينه ، والانماط والاساليب التي يظهر بها ، والانعكاسات المختلفة الناجمة عن مؤثرات حقيقية قائمة فعلا أو مؤثرات مصنعة أساسها الوهم أو التضليل أو سوء التفسير بقصد أو بغير قصد . . .

كل هذه الدراسات ضرورية لنجاح عملية التعبئة ، وبدونها لا يمكن تعديل اتجاهات الرأي العام وتعديله وصقله وتغذيته بما يناسب اهتماماته ويشفي غليل تساؤلاته . . بدون هذا التحليل لا يمكن ضمان سلامة الرأي العام من نقص الحقائق أو تعرضه للآراء المندسة المفرضة التي تسعى لتلوينه وتشكيكه وتفتيته وتفكيكه .

قياس الرأي العام :

ان قياس الرأي العام يشمل قياس أبعاده الاربعة وهي :

١ - المصدر - ٢ - النوع - ٣ - الكم - ٤ - الاتجاه .

١ - أهمية قياس مصادر الرأي العام :

مصادر الرأي العام في مجتمع ما هي جمهوره سواء كان هذا المجتمع ضيقا كالحي ، والقرية ، والمجتمع المهني والترفيهي ، أو كان متسعا يشمل جماعات متباينة الخصائص ، ومن المحتم على دارس الرأي العام أن يتنبه الى أن هناك عوامل تؤثر بطريق مباشر على مظهر وجوهر الرأي العام وعلى صدق النتائج التي يحصل عليها من عملية القياس نوعا وكما . ومن هذه العوامل .

(أ) ان الجمهور المتجانس من حيث العنصر والدين والجنس والنوع والمستوى الثقافي والاقتصادي والاجتماعي ، يعطي نتائج قياس على أعلى درجة من الصدق .

(ب) ان تباين المراكز الثقافية والاجتماعية والاقتصادية يؤدي من ثم الى اختلاف الموضوعات التي تهتم كل فئة كما تؤدي أيضا الى وجوب استخدام أساليب دعوة مختلفة تتناسب مع المستويات الثقافية المختلفة .

(ج) ان تأثير الجمهور بالايحاء يؤدي الى اعراض عن ابداء الرأي ، أو ابدائه باقتضاب مع حبس الحقائق ، أو الادلاء بآراء فجأة ، ومن

ناحية أخرى فان مثل هذا الجمهور يسهل قياده وتبصيره باستخدام وسائل الاعلام التى تعتمد على علم النفس .

(د) الضغوط والسلطات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقبلية والدينية والعنصرية والإدارية لها دخل كبير فى تشكيل الرأى العام وتلوينه باثلون الذى يريده له رعوس هذه الضغوط . . وتحديد هؤلاء الاشخاص ضرورى البدء باقناعهم أولا ، والا فمن اللازم تحرير الافراد من ضغوطهم ، واتباع وسائل قياس أكثر وصولا الى صدق البيانات مع احتساب احتمالات الخطأ .

(هـ) معرفة مدى ما عليه أصحاب الافكار المعارضة من ثقافة ونفوذ على الجماعة ، ومعرفة أساليبهم فى قيادة الرأى سواء بالجدل الشكلى أو التشويق أو التضليل أو التعويق أو الارهاب — هذه المعرفة تفيد الداعية فى وضع البرنامج المناسب .

٢ - أهمية قياس نوع الرأى العام :

تفيد معرفة نوع الرأى العام فى تحديد الموضوعات التى تشغل بال الجماهير ، وحشد الحقائق اللازمة لاقتناعه ، ومن ناحية أخرى فان هذه المعرفة هى الصوت الذى ينبه الدولة الى رغبة جماهيرية تحتاج الى حل ، وهذا هو الأساس فى التنظيم والتشريع واصدار القرارات وانشاء المشروعات ، وتشكيل مواد الاعلام ، وتحديد أنسب وسائلها الكفيلة بالقاء الأضواء على انظلال التى تغتور المفاهيم أو تجنح بالميل .

٣ - أهمية القياس الاحصائى للرأى العام :

القياس الاحصائى للرأى العام فى موضوع معين ، يبرز قيمته ، وقدرته ، ووزن ثقل الحاحه . . ويترتب على ذلك أن يوضع فى دوره على سلم الأولويات بالنسبة لغيره من الموضوعات . . ومن ناحية أخرى فان القياس الاحصائى للرأى العام حول فكرة أو اشاعة معينة فى وقت واحد يمكن أن يحدد خط سير الفكرة أو الاشاعة واتجاهها على حسب كثافة شيوعها بالنسبة لعدد السكان وخصائص أخرى : منها حالة المجتمع من حيث الاتصال أو الانعزال عن غيره من المجتمعات .

٤ - أهمية قياس اتجاه الرأى العام :

والقصود هنا تتبع خط سير الرأى العام لكشف العناصر

المؤثره ذات الفاعلية فى توجيهه وتحريكه نحو هدف بناء أو هدام فيتسنى الاستفادة بالأولى فى عملية التعديل والقيادة ، ويمكن وقاية الراى العام من الثانية ومن أساليبها المضادة .

والواقع أن عملية تحديد خط سير الراى العام مكمله لمعرفة وقياس الأبعاد الثلاثة السابقة . وهذا يدعونا الى القول بأن الداعية الماهر هو الذى يستطيع ان ينكش الراى العام المستتر بلباقة وكياسة ، والراى العام المستتر هو ما يتردد وينتشر لكن عن طريق الهمس .. وبرغم ذلك فانه يكون قوة مكبوتة متراكمة تحتشد فى نطاق المؤثرين والحاقدين والخارجين على القانون والمخدوعين .. ومن المخدوعين ضحايا التأثير بالايحاء الذين يتميزون بسرعة التصديق .. وهنا ينبغى على الداعية أن يتيح للراى المستتر فرصة الظهور ثم لا يلبث أن يصاوله فوراً بالمناقشة المقنعة .. ولذا يلزم أن يكون على درجة عالية من الاطلاع وسعة الأفق والاقناع ودقة التعبير ، حتى لا يجنى نتيجة عكسية .. ذلك أن تفجير الراى المستتر يحوله من حالة السكون والركود الى حالة الحركة والتفشى كالوباء المعدى الخطير .. ويرى الدكتور احمد الخشاب أن وسائل تصريف الراى المستتر وتغييره هى : -

(أ) المواجهة المكشوفة ، دون تحرج ، بمثابة كشف الغطاء عن الوعاء لايجاد مسالك عدة لأفكار محبوسة تفلئ .. وهذا من شأنه أن يساعد على وزن هذه الأفكار ، وتحديد القوى والمذاهب والمعتقدات الباعثة لها ، واختيار الأساوب الأمثل لمواجهتها .

(ب) اتاحة الفرصة لجانب محدود من هذه الأفكار أن تبحث بصورة موضوعية فى اجتماعات موجهة منظمة ، تتاح خلالها الفرصة لفريقين أن يتجادلا " أحدهما مؤيد والآخر مفند ، فيتم بذلك تصحيح الجانب المطروق من الأفكار الخاطئة .. وهكذا .

(ج) مناقشة الموضوعات المقابلة للأفكار المستترة ، بأساوب غير مباشر ، وخاصة الحساسية منها المتعلقة بالأمن القومى .

وسائل قياس الراى العام :

هناك وسائل عدة لقياس الراى العام تختلف باختلاف طبيعة الجمهور كما ذكرنا من قبل ، وتختلف كذلك باختلاف الموضوع المراد قياسه .. فلا يمكن مثلاً أن نستخدم طريقة استمارة الاستفتاء فى مجتمع

ريفي تسوده الأمية ، كما ينبغي ألا نستعمل نفس الطريقة في الموضوعات الحساسة .

ومن أبجديات قياس الرأي العام بصفة عامة أن يكون السؤال مفهوما واضحا سهل الاجابة ولا يمس جوانب شخصية أو ذاتية تثير الشعور بالقلق والصد والحذر والنفور والكف عن الاجابة .

وكقاعدة عامة يجب الالمام بها - أن أفضل توقيت لدراسة الرأي العام هي قياسه بعد اثرته ، وأنه يظل ساكنا حتى يحركه ظهور عامل جديد يدعو الى النشاط والانفعال في مناقشات واحتكاكات ذهنية تجعله في حالة فوران ودينامية .. حينئذ يمكن قياسه بالاساليب الآتية :-

١ - استطلاع الرأي :

أو الاستفتاء ، ويسميه البعض استبياناً .. وهو عبارة عن استمارة تتضمن سؤالا أو أكثر في صيغة خاصة ، عن رأى الأفراد في مشكلة أو موضوع معين ، أو الاستفسار عن أهم ما يشغل تفكيرهم .. ولا ينفع هذا الأسلوب الا في المجتمعات المثقفة .

٢ - عرض البحوث والمشروعات :

ان عرض مشروعات القرارات والقوانين ، والبحوث والدراسات : يؤدي الى اثاره ردود فعل توضح موقف الرأي العام منها .

٣ - جس النبض :

وهذه الطريقة تصلح لقياس الرأي العام في حالة سكونه ، وحيث يستحسن ابقاؤه على حاله . ولكنها طريقة يشترط فيها أن تخلو من عنصر المفاجأة وأن يعتمد فيها على القادة المحليين من نفس البيئة ، فغيرهم لا شك ستواجههم الجماعة بحذر ، ويتعذر بعد ذلك الوصول الى الحقيقة .

٤ - الاتصال الشخصي المباشر :

بالافراد والجماعات في حلقات النقاش والندوات التي يتاح فيها أكبر قدر من الحوار الحر سواء في البيوت أو النوادي أو أماكن التجمع العادية الأخرى .

ه - تجميع الشائعات :

بطريقة وصفية كمية ، ومعرفة مصادرها المادية والمعنوية .

بعد جمع البيانات والمعلومات عن قياس الرأى العام نوعا وكما واتجاهها ومصدرا - تأتى عمليات الفرز والتبويب والتصنيف والاحصاء النهائى ، ثم عملية تحليل الرأى العام ، وعملية وضع خطط الدعوة والتعبئة تبعا للبيانات المتقدمة ولامكانيات التجميع ومراكز التجميع والتجمع .

ومن الواضح أن عمليتى التحليل والتخطيط تحتاجان الى خبرة وتخصص وكفايات عالية .. ولذا تتولاها عادة ادارة مركزية متخصصة فى الدولة أو فى التنظيم السياسى أشبه ما تكون بذلك الجزء من المخ الذى يسمى التلاموس .. يستقبل كل اشارات الحس والوعى والادراك والشعور عن طريق الشعيرات العصبية المنتشرة فى جميع أجزاء الجسم ، يجمعها على هيئة تنبيهات ، ثم لا يلبث أن يرد على أعضاء الجسم المختلفة بما يجب عليها أن تفعله من سلوك كرد فعل للآثاره .

ومن ألزم الضروريات أن يكون هذا الجهاز المركزى على جانب عظيم من السرعة فى التحليل والرد بالخطه وليس معنى هذا أن يلجأ اليه القياديون فى كل صغيرة من الأمور ، فهناك واجبات عادية لا تحتاج الى عناء ولا استفسار ، وانما يرجع اليه فى الأمور غير العادية والطارئة والتي لم تدخل بعد فى اطار التجربة العامة أو التجربة الفردية بالنسبة لقائد الرأى .

ومن هنا نرى أن التجربة والتدريب وتراكم الخبرات فى التنظيم السياسى عامة ، ولقائد الرأى خاصة ، تؤدى - على المدى البعيد - الى غير مركزية فى التوجيه السياسى ، والتصرف السياسى ، والعمل السياسى ، على جميع مستويات التنظيم الواحد .. فى جو من حرية العمل وتلقائيته تتكاثف تبعا لحالة وحدة الفكر القائمة ، وتفاهة التيارات المعارضة .

((قيادة الرأى))

قائد الرأى فى المجتمع الديمقراطى الحديث انسان تبلورت فيه ارادة الجماعة ، وأوتي من ارهاف الحس بالأمها ، وتوافرت له من

جمعية العقل ، وكمال الادراك وصفائه ، وقوة الالهام ونقائه ، وسعة الاطلاع ، وسرعة الحركة . . ما يجعله ضمير الجماعة ، وعقلها المفكر ، والطاقة المحركة لها بوحى من خواطرها ، واذعان لالحاح احتياجاتها ، اتجاها بها نحو أهدافها ورغباتها السوية .

أطوار وصنوف قيادة الرأى :

ظلت قيادة الرأى تكبو تارة وتحبو أخرى ثم تستقيم متأثرة بمراحل التقدم الحضارى وتخالفه ، وظروف المجتمعات وما تحكمها من نظم وضوابط وأنماط حضارية .

استأثر بها السحرة والكهنة فى المجتمعات المتأخرة البدائية ، ولا يزالون فى بعض بقاع من العالم حيث يسود التخلف والوثنية .

وتولاها « الفقراء » الزاهدون هواة الألم والعذاب وقوة التحمل بين بعض شعوب آسيا الجنوبية .

وفلاسفة الفضلاء مستودعات العلوم الانسانية والعملية فى الحضارة اليونانية .

والقديسون والقساوسة فى العصور الوسطى الأوربية .

والأئمة الجامعون بين أمور الدنيا والدين فى الدولة الاسلامية .

والسيد الارستقراطى الاقطاعى قبيل الثورة الفرنسية .

وچار العلماء واختلفوا فى سر القيادة .

فنسبها بعضهم الى ضخامة الجثة لغرض الهيبة ، متجاهلين ضرورة توافر تبادل الثقة والاحترام ، والتأثير والتأثر ، والاقناع ، والتعاطف والمشاركة الوجدانية بين القائد والجماعة كشرط أساسى لنجاح القيادة واستمرارها ، فما كان نابليون بدينا . وما كان ديلفوس النمساوى وهتلر الالماني الا أقرب الى الأرض من أقرانهما .

وحصرها البعض فى الذكور دون الاناث ، حتى أثبت التاريخ السياسى والتاريخ الفكرى أن المرأة لا بد أن تتساوى بالرجل بعد أن أثبتت جدارتها وكفايتها للقيادة فى مجالات مختلفة ، التاريخ يروى لنا بطولات نسائية أقربها الى الذهن وأوضحها فى التاريخ ، أم المؤمنین عائشة ، وجان دارك ، ومدام كورى ، وجميلة بو حريد ، وغيرهن .

ونسب البعض قيادة الرأى العام الى طاقة مغناطيسية يتمتع بها الاشخاص القياديون ، تجذب الجماهير وتؤثر فيهم ، وتشل حركتهم ، وتطوع ارادتهم ، فلا يستطيعون الا تقليد القائد ، والالتزام بأمره ، مسلوبي الارادة .. ألا ما أسوأ هذا الفهم الأرستقراطي السلبي الهزيل الذى يجرد الرأى العام من قوته العظيمة ؟ .. ان هذا الرأى يطابق ما ينادى به البعثيون وأشباههم من الفاشيين زورا وتعاطفا - بأن الجماهير ليست الا كتلا من الدهماء والفوغاء ، تحركهم الغرائز والشهوات ولا يتميزون فى التعبير عن البغاوات .

ورأى البعض أن تسند الى كبار السن كما فى المجتمعات القبلية .

ويصر بعض المتزمتين الطبقيين على أن تختص بالقيادة أسر معينة أو طبقة اجتماعية كما كان الحال فى الهند وفرنسا وفى مصر قبل الثورة ، وقد يكون معيار القيادة هو المال كما كان الحال فى الجاهلية حيث يقود الجماعة أغناها مالا وأكثرها ابلا أو خيلا كما كان فى التركستان أيضا .

طبيعة قيادة الرأى :

١ - تتجه قيادة الرأى من أسفل الى أعلى .. فالقائد يستمد زعامته أصلا من جماعته ، وهو من صنعها : ثقفته ، وعلمته ، وطبعته بمشاعرها وعكست عليه مشاكلها ، وأكسبته أساليب التعبير عنها ، وكل ما توافر له من قدرات أهله للقيادة .

٢ - تتميز العلاقة بين القائد وجماعته بالتداخل والترابط ، والتضامن والتعاون ، والتعاطف والتآلف ، والا انقطعت صلته بالجماهير وعاش فى فراغ لا يصلح فيه حتى لقيادة نفسه .

٣ - هناك التزام تلقائى ممتع بين القائد وجماعته ، يقضى عليه بأن يصون حقوق الجماعة ، ويدافع عنها ، ويعبر بشجاعة عن آرائها ، وهم فى نفس الوقت ملزمون بالسير معه فى الطريق الجمعى الذى يحدده لصالح الجماعة .

صفات قائد الرأى :

بالإضافة الى ما سبق ذكره فى الفصل الاول - يجب أن يدرّب قائد الرأى نفسه على اكتساب ما قد ينقصه من الصفات الآتية ليضمن النجاح لنفسه وجماعته : -

١ - المحافظة على صحته عامة ، وقوة أعصابه خاصة ، ليستطيع تحمل مشقة العمل من ناحية ، وتحمل الصدمات من ناحية أخرى في هدوء دون اضطراب .

٢ - دقة تحديد الهدف وتوضيحه لجماعته ، وتوجيههم نحو تحقيق الغايات من أسهل السبل وأقصرها .

٣ - الحماس الذاتي والقدرة على تحميس الناس على أسس تحصيلية منطقية مع اضاءة فكرة الاخلاص والتضحية بالنفس والنفيس من أجل المثل ، والمجتمع بما يضمه من أهل ومقدسات وأمجاد .

٤ - خاق جو الزمالة والصداقة والمحبة والاخاء بينه وبين الجماعة وبين أعضائها بعضهم مع بعض .

٥ - المحاولة المستمرة للوصول نحو الكمال الخلقى ، والبعد عن الابتدال في الأقوال والأفعال والسبق إلى تنفيذ الواجب ، لنشر القدوة الحسنه بن الجماعة ، واشاعة الفضائل حيثما وجد .

٦ - المهارات المهنية ، وسعة الامام بأصول مهنته خاصة ، وما يتعاق بها من مهن ، لكيلا تقوم قيادته على جهالة .

٧ - الحزم والحسم والعزم ، والبعد عن التردد والخوف والوجل ، واستبعاد انفعالات المجاملة والخجل ، حتى لا يصاب بالعجز والهزيمة وضالة القيمة .

٨ - الذكاء والقدرة على سرعة التفكير والتدبير والموازنة والمقارنة والاستنتاج ، والانصاف بسعة الحيلة وبعد النظر ، والحرص والحذر . . كلها لازمة لتجنيب الجماعة وقائدها حرج المأزق ولحل المضلات وتذليل الصعاب .

٩ - دقة التعبير ، وصحة التصوير ، وتوضيح الرؤية ، وتبديد الغموض بالوسائل المناسبة للمستوى الثقافي المحلي السائد ، التي تضمن عمق التأثير .

١٠ - قوة الايمان بالمبادئ والعقائد ، والاستبشار بأنها ستصل حتما بالجميع الى مستقبل مشرق زاهر ، والعمل الدائب على تأكيد هذا الايمان في الجماعة ، والحذر من التراخي ، فان عدواه تنتقل من الزعيم الى الجماعة وتلقيهم في ظلمات التشاؤم والقنوط والشك في العقائد والمستقبل والقائد .

١١ - انتهاج السبيل الشخصى العصى . والاعتماد على النفس فى بناء شخصيته وتنميتها وصقلها بالدراسة المستمرة والإطلاع الواسع ، مع تدريب مواهبه من عامة الجوانب الممكنة ، وعدم اغفال التخصص فى موضوع نافع يفضله على غيره .

١٢ - استغلال وقت فراغه فيما ينفع دعوته ورسالته .

١٣ - . رسم خطة عمل معينة مبنية على تركيز الجهود والفاعلية وسرعة الحركة والقدرة على كثافة علاقاته بجميع الجماهير فى أقرب وقت .

١٤ - محاسبة النفس بين الآونة والاخرى ، أى ممارسة نقد الذات لتأديبها وتهذيبها وتعديل أساليب التفكير والسلوك الى ما هو أكمل .

آفات القيادة :

وأخيرا فان قيادة الرأى تستلزم الحذر من الآفات الآتية : -

(أ) الاعتماد فى عملية الاقناع على الإيحاء والابهام .

(ب) اللجوء الى التحذير وأساليب الغموض والابهام .

(ج) الاتصاف بالنفعية والوصولية .

(د) محاولة الضغط والقهر والتسلط والاستبداد بالرأى .

(هـ) اتباع أساليب الاغراء الكاذبه ، والتشويق العاطفى المجافى للواقع وللحقائق .

(و) الانزلاق الى سلوك ينافى الذوق العام والخلق الكريم ، ويجافى قيم الدين القويم .

« الديمقراطية السليمة »

و

« الديمقراطية الزائفة »

هناك سجل حاد ، قائم بين المفكرين السياسيين . . دائم الى ماشاء الله . حول فكرة « نظام الحكم الامثل » وظل هذا النقاش يدور حول ثلاثة نظم عامة ، أيهما أفضل ؟ : -

١ - حكم الفرد :

أى الدكتاتورية . وتعنى سيطرة انسان واحد . ملكا كان . . أو امبراطورا . . أو زعيما ، على كل ماعداه من بشر فى مجتمعه . . يتقلد سلطات لاتعد ، واردة لاتعارض ولا تحد ، تعود بالدولة الى صورتها البدائية الاولى ، حينما كانت الجماعات الانسانية المتأخرة تعيش على شكل عشائر وبطون يغشها الجهل وتنتابها الحيرة والخوف فتسلم قيادها لفرد آمر ناه حاكم قاض ، هو القانون ، وهو القائد ، وهو القضاء ، وهو القدر .

والحقيقة أن البشرية بدأت تتخلص من هذا النظام الاستبدادى المطلق فى عهد الاغريق والرومان حيث كانت الدولة صغيرة المساحة . قليلة السكان ، تقتصر على مدينة كاثينا أو اسبرطه مثلا . . ولكن قيام الاسكندر المقدونى بتكوين الامبراطورية الاغريقية ، قضى على استقلال المدينة ، وفصل الفرد المواطن تدريجيا عن الدولة وعن حق المساهمة فى الحكم واقتراح القوانين ونقد الحكام . فانطفأت شعلة الديمقراطية التى كانت قد بدأت تشع من اليونان يغذيها الفلاسفة بأفكارهم ، وبدأت فلسفات فردية غريبة تظهر وتنتشر .

الأبيقوريون ينادون بأن يمتنع الفرد عن الاشتغال بالسياسة ، وأن ينصرف الى تحقيق رغباته الروحية والمادية والثقافية لتحقيق سعادته .

والرواقيون يفصلون بين الأخلاق والسياسة وينادون بالأنانية ، وأن يعمل الفرد لمصلحته الشخصية بعيدا عن السياسة فى ظل فكرة « الاخاء العالمى » .

ومجد الرومان الامبراطور ، على أساس ان الشعب قد وكله بلا رجعة ولا حق فى الثورة مهما شذت أعماله . . وبرر « شيشرون » ذلك الرأى بمنطق ملتو ظاهره ديمقراطى وباطنه دكتاتورى . . وأوجب « سينيكا » شيخ الفلاسفة الرومان - « على المواطنين طاعة الحاكم المطلق مهما طغى وبغى » وكان معاصرا لنيرون .

وترددت أقوال كهذه كثيرة تؤيد دكتاتورية الفرد . . سلفيوسى

يقول « الامبراطور سيد العالم » وبراكتون يقول « القانون هو الملك » وميكيا فيللي يقول « ليس على الحاكم أن يكون عادلا مشرعا . . بل رجل حرب وسياسة ، رجل قوة ومكر ، وغدر وخيانة وبطش ، لا يتقيد بمبادئ الدين والآخلاق والانسانية ولا العرف والتقاليد ، ينكل بمن يعترضه ، ويقضى على معارضيه ، والا فشل فى الحكم » . . واذا تحدث عن السيادة الشعبية ، فان ميكيا فيللي يقول : « انها سلطة غير واعية الى حد لا يتيح لها أن تكون قادرة على ممارسة سلطاتها ممارسة فعالة »

وليس غريبا أن نجد « هريز » الانجليزى يعضد طغيان الحاكم المستبد ويستحثه على أن يقابل أصوات المعارضين بالقتل والنفى ، ولا عجباً أن « منتسكيو » الفرنسى الثائر ، وهو أحد أعمدة الديمقراطية - يتورط فى تجريد الديمقراطية من فاعليتها بقوله : « ان اشراف الشعب على الهيئة التنفيذية ، وصمة فى جبين الدولة » . . فهذا الرأى يمتعن سيادة الشعب ويجعل حريته و ارادته مجرد حبر على ورق ، طالما أن دوره فى الحكم يقف عند حد اختيار حكامه دون أدنى حق فى متابعة أعمالهم وتصرفاتهم .

أما الغريب فهو أن نجد بين ظهرانينا من يقومون بدور حمار الاسفنج ، وينقلون اليها مثل هذه الأفكار التى لا تتناسب مع قيمنا الروحية وتقاليدنا وظروفنا ونفسية الشعوب العربية ، بل من المؤسف أن يعيش بين صفوفنا من يناصر العداء لحربة الشعوب ، وحقوقها فى السيادة وفى الحرية الديمقراطية . . أمثال « ميشيل عفلق » ومن لف لفه من البعثيين . . فقد نعت الشعب بأنه عفوى ، سطحي ، عاطفى ، غوغائى ، قطيع . . وضل عفلق بعد ذلك فى متاهة يمجّد الفرد ويقسّس ديكتاتوريته ، تارة بقوله « انه أهم شيء » ، وتارة أخرى ينادى بحكم دكتاتورية الطبقة فيقول : « نحن نمثل مجموع الأمة الذى لا يزال غافيا . . فنحن نمثله » .

ومن فضل الله على الديمقراطية أن الرأى العام على مختلف مستوياته: المحلية والاقليمية والعالمية ، قد نبذ الى غير رجعة فكرة الحكم الفردى ، ولم تعد للأمم عليه احتمال أو اقبال الا فى ظروف استثنائية ضرورية طارئة تقبل فيها حكم الفرد المستنير العادل الرشيد حتى تنقشع السحابة ويزول الخطر عن الجماعة .

٢ - حكم الطبقة :

واختلف المفكرون فى أى الطبقات أحق بالحكم ؟ ورأى أفلاطون أن تكون طبقة الفلاسفة ، وفى مكان آخر أجاز الحكم الارستقراطى الذى تسيطر

فيه طبقة صغيرة من الأغنياء ، ولعله كان أول من وصم الحكم الديمقراطي الشعبي الشامل بأنه « حكم غوغاء مصيره الى زوال » .

أما أرسطو فأيد حكما طبقيا من نوع آخر ، حكم أوليجاركى تسيطر فيه الطبقة الوسطى التى تمثل الاعتدال فى الثروة والسيطرة . وكانت نتيجة اقرار حكم الطبقة الواحدة أن ظهرت لكل طبقة مبرراتها فى الأحقية بالحكم فظهرت أنواع الحكم التيقراطى أى حكم الطبقة الدينية التى تستمد سلطتها من الحق الالهى المقدس ، واستغلت الدين فى العصور الوسطى أسوأ استغلال . وتلتها طبقة الاقطاع من النبلاء والأشراف تستأثر بالحكم والنعم ، ولا تترك للغالبية العظمى من الشعب الا الذل والجوع . وأدى ضغط الطغيان الى انفجار الثورة الفرنسية عن أسس العدالة والحرية ، والاخاء والمساواة وعن انتشار مبدأ روسو القائل : « بأن الارادة الشعبية العامة هى الجهاز الذى يتيح تحقيق العدالة ، وأنه اذا انتقلت السلطة النهائية من يد الشعب ، فان الادارة التى تعبر عن نفسها حينئذ ارادة لا تمثل الا مصلحة فردية خاصة » .

٣ - حكم الشعب :

وهو المقصود الحقيقى من كلمة الديمقراطية . فالديمقراطية أصلا لفظ لاتينى يتكون من مقطعين : « ديموسى » بمعنى شعب ، و « كراتوسى » بمعنى سلطة . أى حكم الشعب . وجاءت فى الميثاق على أدق ما يكون المعنى : « حكم الشعب بالشعب لصالح الشعب » . وهو بذلك مرآة لقيمنا الروحية وتقاليدينا وأخلاقنا ونفسية عروبتنا .

ان الاسلام يأمرنا باتباع الاسلوب الديمقراطى فى الحكم وذلك فى قوله تعالى فى سورة آل عمران : « وشاورهم فى الامر » . وفى سورة الشورى : « وأمرهم شورى بينهم » . وفى حديث شريف : « ما خاب من استشار » . و « ما استغنى مستبد برأى » و « ماهلك أحد عن مشورة » و « استعينوا على أموركم بالمشاورة » وقول رسول الله أيضا : « واذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وقوله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان أو أمير جائر » . وقال تعالى فى المساواة : « انما المؤمنون اخوة » وقال سبحانه : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » . وفى نفس المعنى قال رسول الله : « ان الناس سواسية كأسنان المشط » . وقال فى خطبة الوداع : « ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وادم من تراب .. ليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى .. فضل الا بالتقوى .. » .

ولعل في هذا ما يفسر لنا أصالة ديمقراطيتنا من جهة ، ويفسر للعالم أننا نستند الى حكمة الـهية بانفة منبثقة من ديننا الحنيف .

وحينما نقدم للعالم ديمقراطية سليمة ، لا هي ديمقراطية سياسية فحسب كما في الغرب ، ولا هي ديمقراطية اجتماعية فحسب كما في الشرق ، فكل منهما ديمقراطية عرجاء تسير على ساق واحدة ، وكلاهما لا يحقق مبدأ السيادة للشعب .

أما ديمقراطيتنا السليمة فتعتبر أن كلا من الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية يمثلان جناحي طائر الحرية ، لا بد من تلازمهما معا ليظهر وينطلق الى العلا ، أى أن العدالة الاجتماعية .. الاشتراكية .. لا بد لها كضمان لحرية الرأي والتعبير المتحرر من الخوف وذل لقمة العيش ، لنستخلص حكما ديمقراطيا سليما .

الديمقراطية التقليدية :

الديمقراطية كما عرفها العالم ثلاثة أنواع أهمها النوعان الآتيان : -
١ - ديمقراطية مباشرة : ومعناها أن يشترك الشعب كله في الحكم ، أو على الأقل في توجيه دفته ، فاذا به شعب من حكام محكومين في نفس الوقت . وقد اتبع ما يشبه ذلك في العصر اليوناني القديم ، في مدينتي أثينا واسبرطة على وجه التحديد .. ففي أثينا مثلا كان « المؤتمر العام أو الكيسيا » يضم كل مواطن بالمدينة بلغ سن العشرين وكان المؤتمر العام هذا هو السلطة التشريعية العليا التي تصدر أو تلغى القوانين ويعقد ١٠ مرات سنويا . أما الهيئة التنفيذية فكانت عبارة عن « مجلس الخمسمائة » الذي يشكل بانتخاب ٥٠ مواطنا من كل قبيلة من قبائل المدينة العشر . ومن الواضح أن قلة عدد السكان وصغر مساحة الدولة التي كانت تنحصر في مدينة ، كان يسمح بقيام مثل هذه الديمقراطية ، مهما كانت مناقشات المؤتمر غير جدية أو ذات فاعلية في تقرير السياسة العامة للدولة . وهذا النوع من الديمقراطية أصبح متحفيا في ذمة التاريخ ، يستحيل تطبيقه على نفس النمط لعدة عوامل أهمها ما ذكرناه .

٢ - ديمقراطية نيابية : وهي ديمقراطية التمثيل النيابي عن طريق انتخاب الشعب لوكلاء عنه في توجيه دفة الحكم . وتتركز هذه على دعامتين :

(١) ان النائب يمثل الشعب بأكمله ، وليس الدائرة التي انتخبته وحدها . وهو اذ يمثل الشعب بأكمله ليس لدائره أو شخص منها أن يحاسبه على مصالح الدائرة .

(ب) ان البرلمان مستقل تماما بعد انتخابه عن مجموع الناخبين طوال مدته ، وليس للشعب خلال هذه المدة أن يحاسبه أو يطالب باقصاء نوابه بعضهم أو كلهم وما عليه اذا حادوا أو قصروا الا أن يحذر انتخابهم في المواسم التالية .

خصائص الديمقراطية الزائفة :

الديمقراطية الزائفة ديمقراطية نيابية تنفصل عن الجماهير مجرد تشكيل البرلمان ، ويفقد الشعب حقه في متابعة نوابه أو محاسبتهم ونوحيهم .

ويبدو زيفها أوضح في المبدأ الذي ينادى به معتنقوها وهو « ان الديمقراطية مسألة عقيدة وإيمان ، وليست مسألة خبز وزبد » . أي أنها لا تفنى ولا تسمن من جوع ، ولا تؤمن من خوف . . فهي ليست مسئولة عن رعاية مطالب المواطن الاجتماعية من علم وعمل وعلاج وسكن ، ولا عن حل مشاكله الاقتصادية والمهنية كمشاكل العمل وظروفه وأجوره وساعاته ، ولا مراقبة أسعار السلع وحماية الانتاج والحد من الاستغلال والاحتكار في مجال الصناعة والزراعة والتجارة والمال .

وهي تستند في ذلك على المذهب الفردي الحر الذي يتمثل في مبدأ : « دعه يعمل دعه يمر » الذي اقتضاه تنشيط التجارة أيام أن كانت الحرف اليدوية هي السائدة في الصناعة ، ولم تكن طاقة البخار ثم الكهرباء قد فجرت الثورة الصناعية التي أدت الى تركيز رأس المال في أيدي قليلة على حساب افلاس رعوس الاموال الصغيرة واغلاق المصانع المتواضعة وتحول أصحابها الى عمال لدى كبار الرأسماليين .

ونتيجة لعمليات التنافس والمضاربات ظل العامل الفقير في الحقل أو في المصنع يزداد فقرا ، والاقطاعيون والرأسماليون يزدادون ثراء ويقل عددهم . . ومن مصلحة الطرفين أن يصل الى الحكم لحماية مصالحهم . ولكن الاغنياء أقدر بمالهم وجاههم وسلطانهم . . انهم يستطيعون شراء الاصوات وتزييف الانتخابات وتخويف الناخبين من عبء الارض أو رقيق الآلة . . وهكذا كانوا دائما يمثلون الاغلبية في المجالس النيابية ، وهكذا عرفوا كيف يحافظون على مكاسبهم

ويضاعفونها من عرق الفلاح ودم العامل ودموعهما معا .. وهكذا احتفظوا بمبدأ « دعه يعمل .. دعه يمر » .. فى التجارة والصناعة والزراعة .. بمعنى ألا تتدخل الدولة فيها ، وهذا هو معنى الحرية فى الديمقراطية الزائفة .. أن تغل الحكومة يدها عن تنظيم الاقتصاد ، لتطلق يد الاقلية الثرية الرأسمالية الاقطاعية ، فى اغتصاب الاقوات واستعباد الاغلبية الساحقة العاملة تقدم جهدها ورمقها بأبخس الاثمان للقلة المسيطرة دون أن يكون لها حق فى المطالبة بحقوقها المهضومة ، وهى مع ذلك مضطرة تحت تأثير الخوف من التشريد والتنكيل - الى انتخاب جلاديه ومصاصى دمائها .

هذه هى الحرية فى الديمقراطية الزائفة ، حرية القلة فى استعباد الكثرة ، حرية مهیضة الجناح ، لا جناح اجتماعى لها يعطيها توازنها وعدلها .

فلو أن الشعب أعطى الحكومة حق توجيه الاقتصاد بما يمنع استرقاق الانسان وظلمه لأخيه الانسان ، ولو انه كان للديمقراطية السياسية ، ديمقراطية اجتماعية تتمثل فى الاشتراكية لتوافرت ضمانات حرية الرأى والتعبير ، ولاختفت الضغوط الاقتصادية ، فتحققت الديمقراطية الاصلية . وهذا هو ما يفسر لنا حتمية الحل الاشتراكى للقضاء على احتكار المال للحكم واستعباده للشعب ، وتسخير وتخويله لقوى الشعب العاملة ، فلا حرية سياسية بلا حرية اجتماعية ، ولو رجعنا الى روح نصوصنا الدينية لزددنا يقينا من أن المساواة السياسية والاجتماعية وجهان لعملة واحدة هى الحرية .. هى سيادة الشعب .

الديمقراطية الزائفة تحتضر :

لنا أن نتصور كيف كانت خيبة أمل جنود الحربين العالميتين الاولى والثانية ، حينما عادوا من ميادين القتال ، يطالبون بالاعالة والعلاج والمأوى والعمل ، فيفاجئون بالخرافة التقليدية : « ان الديمقراطية عقيدة وايمان وليست خبزا وزبدا » . وهم على فقرهم وقصر باعهم عاجزون عن الوصول الى الحكم لتغيير هذه الديمقراطية الزائفة التى تفرض على الشعوب أن يكونوا وقودا لحروب تشعلها الرأسمالية ، دون أن يكون لها أى حق من الحقوق الانسانية .

فكان لا بد للشعوب أن تكفر بديمقراطية باطلة عاجزة ، وكان لا بد لها من البحث عن وسائل أخرى للحكم .. فماذا حدث ؟ تمخض البحث عن أسلوبيين كل منهما أكثر شرا من الآخر :

١ - فى ألمانيا ، تم التسليم بعد الحرب الاولى ، بحكم الدكتاتور الفرد المستبد الذى تمثل فى الحكم النازى . . . وبعد الحرب العالمية الثانية استسلم الشعب الى الانحلال والتفكك السياسى الذى فرضه عليه الاحتلال . . . ولم يعد يهتم بالسياسة .

٢ - فى المعسكر الشرقى ظهرت بعد الحرب الاولى دكتاتورية طبقة البروليتاريا .

وتعبث الديمقراطية الزائفة فى دول الغرب وفى الدول الواقعة تحت تأثيرها . . . كالسوس تعمل على هدمها مهما بدت مزدهرة ، فسوف تتمخض الايام عن كبوة لا تستفيق منها . . . فيها هى أمريكا - الولايات المتحدة الامريكية . . . التى يبلغ تعدادها ٢٠٠ مليون مواطن ، يحكمهم ٦ ملايين يهودى ، يواجهون سياستها السوداء نحو العدوان والدمار والاتجاه الى الحروب ، يقودونها بوازع نفسانى لا شعورى ، أساسه الاسقاط والتعويض - للسير على الخط الذى وصل بهتلر ودولته الى الفناء .

وليس أدل على ذلك من أن « جونسون » رئيس الولايات المتحدة الحالى قد صرح لبعض العرب قبيل انتخابه بأنه مؤمن بعبادة قضية العرب ، ولكنه يقيم الوزن الاكبر لعدد الاصوات التى سترفعه الى كرسى الرئاسة ، وهى يهودية بالطبع ، لان اليهود هم ملوك المال فى أمريكا ، والمال وحده هو صاحب الكلمة وصاحب الحكم فى الديمقراطية المزيفة .

ديمقراطية ما قبل الثورة :

ولعل أقوى صفة منيت بها الديمقراطية الزائفة هى التى نالتها من مصر الثورة . . . كانت قد غرست فى مصر بدستور ١٩٢٣ ديمقراطية من نفس النموذج الذى كفرت به الشعوب الاخرى . . . بل كان أسوأ مثل . . . ديمقراطية كفلت حرية كل من هب ودب فيما عدا الشعب :

● حرية الاستعمار وجنوده وأعوانه من الخونة المصريين ، وكان من الخطأ أن نتصور - كسعد زغلول - أنه يمكن أن تقوم ديمقراطية سليمة بدون اجلاء الاستعمار عن أرضنا الطيبة ، وتطهير صفوفنا من طابوره الخامس .

● حرية الاقطاع الذى يرث الارض ، ويستعبد ما عليها من ثمر وبشر

فى حشو خزائنه بالذهب وحمله على الاكتاف الى صناديق الانتخابات
ثم كراسى الحكم • فكان لا بد من قوانين الاصلاح الزراعى لاسدال
الستار على تلك المأساة •

● حرية الرأسمالية فى احتكار موارد الثروة واستنزافها قسمة مع
الاستعمار نظير اطلاق يدهم فى الحكم والاستئثار به وتوجيهه لمصالح
الحلف غير المقدس شأنهم شأن الاقطاع فكان لا بد من قوانين يوليو
عام ١٩٦١ الاشتراكية •

● حرية الرجعية والنفعية والوصولية من أذئاب الاستعمار والاقطاع
والرأسمالية لاضعاف الجيش وجعله وسيلة لقمع الشعب متى ارتفع
له صوت ثائر ينادى بالاصلاح وبالعدالة الاجتماعية ، فكان لا بد
من تقوية الجيش ماديا ومعنويا ليرتفع الى مستوى الواجب الوطنى
نحو الديمقراطية السليمة فى الداخل والخارج •

● حرية الاحزاب فى تفكيك وحدة الامة ، وتفتيت الرأى العام واثارة
الضغائن والاحقاد وتوارث الثأر جيلا بعد جيل ، فكان لا بد من
الغاء الاحزاب وضم قوى الشعب العاملة فى وحدة واحدة ، فى تنظيم
سياسى واحد يشمل العمال والفلاحين والجنود والمثقفين والرأسمالية
الوطنية •

وبذلك تتوافر جميع الضمانات الحقيقية لايجاد الديمقراطية
السليمة • ولذلك جاء ترتيبها فى التنفيذ آخر مبادئ الثورة الستة
كما نص عليها الميثاق فى الباب الاول منه •

أما ديمقراطية ما قبل الثورة ، فلم تكن الا ديمقراطية الشعارات
الدستورية الرنانة الجوفاء ، دكتاتورية فى مسوح ديمقراطية ، الشعب
رصيده فى البرلمان أصفار .. لاضداد لجراحه ، وما هى الا مظهر من
مظاهر المدنية ، ومكياج التهريج السياسى والاعتصاب الاجتماعى الذى
تزاوله الدكتاتورية الطبقية •

خصائص الديمقراطية السليمة .

بعد الايضاح الماضى يمكننا أن نحدد معالم الديمقراطية السليمة فى
النقاط البارزة الآتية :-

١ - الديمقراطية الاجتماعية - أى الاشتراكية - شرط أساسى

لوجود الديمقراطية السياسية متحررة من أى ضغط. للاقطاع أو رأس المال المحتكر المسيطر .

٢ - لا حياة للديمقراطية مع وجود الاستعمار أو نفوذه أو أذنا به .

٣ - لابد للديمقراطية من جيش يؤمن الشعب ويحمى الحرية من أى ضغط خارجى .

٤ - لابد للديمقراطية من اختفاء الحزبية التى تصرف الشعب عن الأهداف العامة الى أهداف ذاتيه فرعية ، ومسالك جانبية تستهلك طاقاته ، وتبدد جهوده ، وتشغله فى معارك داخلية عن مواجهة التحديات الخارجية المتمثلة فى العدو المشترك ، والتحديات الداخلية المتمثلة فى معركة الانتاج لحل المعادلة الصعبة .

٥ - ديمقراطيتنا تكفر بحكم الفرد وحكم الطبقة أى طبقة .. وفى ذلك قال الميثاق : « ان عمق الوعى الثورى أبى أن يسلك سبيل دكتاتورية عسكرية » .. وقال : « ان العمل الوطنى كله ، وعلى جميع مستوياته ، لا يمكن أن يصل سليما الى أهدافه الا بطريق الديمقراطية » .

٦ - ان النقد والنقد الذاتى البناء هو عماد الديمقراطية السليمة وهو العامل البديل للمعارضة ، الذى يقوم مقام الاحزاب ويلغى ضرورتها فى نظم الغرب .. وفى ذلك قال الميثاق : « ان ممارسة النقد والنقد الذاتى يمنح العمل الوطنى دائما فرصة تصحيح أوضاعه وملاءمتها دائما مع الأهداف الكبيرة .. ان أية محاولة لاختفاء الحقيقة أو تجاهلها ، يدفع ثمنها فى النهاية نضال الشعب » .

والنقد والنقد الذاتى من أفضل القيم التى تميز بها الاسلام .. قال أبو بكر : « أطيعونى ما أطعت الله والرسول » .. وقال عمر ابن الخطاب : « أخطأ عمر وأصاب امرأة » .. وقال أيضا : « الحمد لله الذى جعل من المسلمين من يقوم عمر بحد السيف » .. فالنقد اقرار لمبادئ الدين الحنيف والتزام بها .. وضمانات حرية النقد مكفولة واحتساب احتمالات الخطأ فى النقد مقدرة ضمانا لايجابية النقد وظهور القيادات المؤمنة البناءة ، فالشريعة الاسلامية تقول : « من اجتهد وأصاب فله أجران . ومن اجتهد وأخطأ فله أجر » .. وضمانات الحرية فى الميثاق كثيرة :

« ان الحرية للانسان الفرد هى أكبر حوافزه على النضال .. ان

العبيد يقدرّون على حمل الأحجار . . أما الأحرار فهم وحدهم القادرون على التحليق الى آفاق انجوم . . الانسان الحر هو أساس المجتمع الحر » .

٧ - « ان الديمقراطية السليمة بمفهومها العميق تزيل التناقض بين الشعب وبين الحكومة حين يحولها الى اداة شعبية » . . معنى ذلك ان ديمقراطيتنا تتجه الى أن تكون أداة شعبية ذات سلطة فوق الحكومة، تهدف لتطويرها لتكون في خدمة الجماهير وليست متعالية عليها أو منعزلة عنها .

٨ - تقوم ديمقراطيتنا على تحالف قوى الشعب العاملة على أساس الأشخاص والعناصر لا الأحزاب . ومن ضماناتها ما يأتي : -

١ - مبدأ حماية العمال والفلاحين بشرط حصولهم على ٥٠٪ على الأقل في كل المجالس .

٢ - منح المجالس الشعبية سلطة فوق سلطة الأجهزة التنفيذية :

٣ - تكوين الجهاز السياسي .

٤ - تطبيق مبدأ القيادة الجماعية .

٥ - زيادة فاعلية التنظيمات الشعبية والتعاونية والنقابية .

٦ - فرض المفاهيم الثورية على الحدود التي تؤثر في تكوين المواطن الثائر وخاصة في مجال التعليم والتربية ، ومجال تعديل القوانين واللوائح حتى تصبح مرآة صادقة تعكس صور وآمال المجتمع الجديد .

وأخيرا فان الديمقراطية السليمة بأجلّ صورها الممكنة تتحقق في مؤتمرات الاتحاد الاشتراكي العربي وفي الوحدة والمؤسسة الجماهيرية ، حيث تتجمع القاعدة الشعبية قطاعات تتحول الى مجالس أمة وبرلمانات ، بها لكل مواطن نزيه رأي حر ، واردة حقيقية ، ينقد ويوجه ويراقب أجهزة الحكم والادارة والانتياح . . وتصدر القرارات فتأخذ طريقها متجمعة نحو التنفيذ تعبيرا عن مجموع الارادة الشعبية .

هذا وقبل أن نختم الحديث عن الديمقراطية ، أحب أن أنوه الى أن طابع الديمقراطية السليمة الصادر عن الثورة العربية بدأ يأخذ طريقه الى التطبيق في المنظمات الدولية : الاقليمية والعالمية ، وبدأت تواجه في

عناد ضغوط القوى الاستعمارية العسكرية والسياسية والاقتصادية .
بمبادئ الحق والعدل وعدم الانحياز والتعايش السلمى ليزداد عدد
المتحررين من سيطرة القوى المستعمرة المتحكمة فى المنظمات الدولية .
ومازال أمامنا الكثير لتحقيق الديمقراطية السليمة محليا ودوليا ،
وعمداد النجاح فى هذا وعى الدعاة الاشتراكيين وصلابتهم وإيمانهم
وطموحهم .

◆ مشكلة التنمية الاقتصادية

ما من دولة نامية تحررت من الاستعمار حديثا ، الا ونواجه مشكلة التنمية الاقتصادية .. والجمهورية العربية المتحدة احدى هذه الدول التى نجابه المشكلة فى عزم واصرار لتوسع نطاق التطبيق الاشتراكى الى أبعد مدى .

ويختلف ثقل وزن المشكلة تبعا لحجم موارد الدولة : ان كثرت مواردها وكانت قيمة هذه الموارد مرتفعة .. خفت المشكلة .. وان قلت الموارد وانخفضت قيمتها .. زادت المشكلة تعقيدا .

ومن المؤسف أننا دولة من النوع الثانى .

ولكن هل يشبط هذا من همتنا .. أو يفل من عزيمتنا ؟

وهل تدعونا قلة مواردها الى التخاذل والتعاس ، والقعود على رصيف الحياة ، نقنع من الغنيمة بالتفرج على مواكب الدول تتسابق نحو التقدم ونحو التنمية ؟

الجواب لا . شهد الله أننا خير أمة أخرجت للناس ، ويشهد التاريخ لنا فى الماضى والحاضر ، بأننا الطاقات البشرية انعمت على سجلات العجائب وأنجزت المعجزات .. وسوف تكون فى مستقبلنا أكثر صلابة ، وأكثر تصميمًا لنعوض ما فات ونلحق بالركب .. ثم نحوز قصب السبق ، من أجل رفاهية الشعب ورخائه وحرية .

وتتلخص مشكلة التنمية فى موازنة الموارد بالاحتياجات .. مع احتساب الاحتمالات وتقدير الحد الأمثل للانعاش الاجتماعى المتدرج ، وتنفيذه تحقيقا للكفاية والعدل وإقالة المجتمع من وهدة التخلف .

التنمية هى أن نشبع بمواردها المحدودة - احتياجات الأنفاس التى تتردد حاليا .. بالإضافة الى ما تلده البطون من أفواه وأجسام وعقول تتطلب المزيد من الغذاء والكساء والعلاج والعلم والمأوى والعمل .

وهذا يقتضى المزيد من الحيز والمنازل والمدارس والجامعات والمصانع والمستشفيات والمطابع والمواصلات ، والخدمات من كل نوع فى كل فرع .

والجيل الوليد لا يقنع كالجيل التليد بالقليل .. انه يريد أن يستمتع بالعدل والكفاية أيضا طبقا للمبادئ الاشتراكية التى رضع لبانتها .

ولهذا نجد أن كل تقدم فى التقدم يولد من المشكلة مشكلة . حقا انها مشكلات لا تقل خطرا عن مشكلات التخلف ، ولكنها حلوة المذاق،

للجهود التي تبذل في مواجهتها طعم أشبه بالجهد الممتع الذي يحس به الرياضي .. ويتميز بحتمية الحصاد ، وبأن لكل مجتهد منها نصيبا عادلا .

ان التنمية في الحقيقة ما هي الا معركة ضد التخلف .
ومما يزيد المعركة ضراوة وقسوة وصعوبة أن تبدأ معركتنا ضد التخلف من التخلف ذاته .

التخلف واقتصاد ما قبل الثورة :

اقبلت الثورة تحمل لواء العدالة الاجتماعية .. وتبشر الملايين من المحرومين بمجتمع الكفاية والعدل .. يحدوها الامل بأن تلحق مصر في ٣٠ عاما على الاكثر بالدول التي سبقتنا ١٠٠ عام في مجالات التقدم والقوة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . ورفع مستوى المعيشة للشعب .

وكان لابد لذلك من قاعدة اقتصادية تبني عليها صرح التقدم والتنمية المقصودين .. لابد من موارد تستثمر .. فماذا وجدت ؟ هل نذكر ؟

وجدت الشئون الاقتصادية في حالة من الاضطراب والفوضى والانحيار .. لا سياسة اقتصادية مرسومة لتواجه الزيادة المطردة في عدد السكان . المشروعات الزراعية والصناعية والتجارية مهياة للنفع الخاص لا العام .. بعض الموارد قد استنزفت وبعضها معطل دون اعداد للاستغلال .. الارتجال والفردية والانعزالية هي الطابع السائد على مظاهر الحياة الاقتصادية العامة في البلاد .. لا سياسة مرسومة للقطن الذي كان عماد الثروة الرئيسى للبلاد ومصدر دخلها من الاسترليني .. كما وجدت اسرافا وفسادا واستغلال نفوذ ضاربا أطنابه في كل مكان .. وتضخما في المصروفات العامة بفعل نهب الاقطاع وسلب الاحزاب وتوابعه .. وميزانية مختلة تلاشت منها الاحتياطات الحرة .. وعجزا قدرة ٣٨ مليون جنيه في الميزانية العامة للدولة .. وديونا نشأت عن حرب فلسطين .. هذا عدا ما تلا ذلك من تهريب العناصر المضادة للاموال وما دبره الاستعمار وأذنا به من مؤامرات مصرفية ومالية لعرقلة التقدم ، والابقاء على خصائص التخلف التقليدية في مصر والتي تتلخص فيما يلي : -

- ١ - ركود الانتاج وضعف الخدمات كما وكيفا .
 - ٢ - الظلم الاجتماعى • وعدم اتاحة عدالة التوزيع .
 - ٣ - سيادة المصالح الطبقية • والانتفاعات الفردية • وامنياراتها .
 - ٤ - اشاعة التواكل والسلبية والارتجال فى أساليب العمل والحياة .
 - ٥ - ما يترتب على ذلك من جهل وفقر ومرض وذل وصراع .
- ولقد كان هذا التخلف حالنا ، وذاك ما يراد لنا ويراد الى اليوم بنا . . فهل تتغلب ارادتهم ؟
- لا . . هم يريدون ، والشعب يريد ، ولا بد أن تتغلب ارادة الشعب ، لأن ارادة الشعب من ارادة الله .
- وماذا يريد الشعب ؟
- يريد الاشتراكية . . وبمعنى أوضح « الكفاية والعدل » وبتحليل أوسع :

أولا - الكفاية :

هى زيادة الانتاج عموما من السلع والخدمات ، بالحجم ، والدقة ، والسرعة ، والجودة ، التى تشبع حاجات الجماهير وأذواقهم ، وبالقدر الذى يفى بمستلزمات مضاعفة الدخل فى الفترة الزمنية المحددة . . وهذا بالطبع يحتاج الى عنصرين هامين : -

١ - موارد

٢ - سلوك

١ - أما الموارد : فهى كما رأينا محددة : -

(أ) ثروة زراعية بعثرها الارتجال ، من رقعة زراعية لا تمسها يد الاصلاح بزيادة ، ذات تربة مجهدة ، وفلاح جائع متداع مريض ذليل ، يستخدم نفس الادوات الزراعية التى كان يستخدمها شعب مينا وخوفو ورمسيس .

(ب) ثروة معدنية متواضعة أغلبها من محاجر وأقلها من مناجم وآبار .

(ج) صناعات تحويلية ضعيفة متضاربة يعوزها التخطيط التكاملى .

(د) قوى محركة أغلبها معطل .

(هـ) قناة تتسرب رسوم العبور فيها الى لندن وباريس .

هذه هي مواردنا في ساعة الصفر المطلوب منا أن نستثمرها في انتاج سلع وخدمات جيدة تشبع رغبات الشعب وأذواقه بما يرضه عن قرون الحرمان وكأنما المطلوب أن « نخلق من الفسيخ شربات » على رأى المثل ... اذا كان ولا بد فلنجرّب العنصر الآخر ، وهو السلوك .

٢ - السلوك : وهو على نوعين :

(أ) الاجبارى : على شكل وسائل قاسية فرضتها دول أخرى مضطرة لتجتاز مرحلة الانطلاق ، وتخفف من حدة مشكلة التنمية .

ونعرض من هذه الوسائل :

١ - فرض تحديد النسل .

٢ - تحديد الدخل السنوى لكل فرد خلال سنوات التنمية .

٣ - الحد من الحريات العامة المتعلقة بالانفاق .

٤ - أساليب دومية أخرى .

لكن ثورتنا ومبادئها وقادتها وشعبها يأبون أن تكون وسائل الدم والجبر والاكراه ، محاور عملية تقوم من أجل سعادة البشر ورفاهيته وهذا الاياء ادعى الى تحكيم المنطق ، وتأكيد الشعور بالمسؤولية لدى الافراد والجماعات .. اذن لا بد من ايقاظ سلوك تلقائى يعتمد على ضبط النفس ، والحوافز القومية الجماعية ، والشعور بمسؤولية الفرد نحو نفسه وأهله وذويه وقومه ووطنه ، والايمان بأن تلقائية السلوك الاشتراكى مهما كانت ضغوطه الذاتية ، أمتع ألف مرة من وسائل قد تضطر الدولة لاملأها علينا اذا تمادى أغلبنا في سلبيته وعدم احساسه بالواجب الاجتماعى .

(ب) التلقائى : ويتلخص السلوك التلقائى فيما يلى :

١ - مضاعفة كل فرد لجهد فى رفع كفايته الانتاجية .

٢ - اهتمامه بخفض نفقات تكلفة ما ينتجه وما يستطيعه مما

لا ينتجه .

- ٣ - الاستفادة من كل لحظة في وقت العمل لصالح الانتاج .
- ٤ - مراقبة نفسه ودفعها الى تخفيف حدة الاستهلاك في كل شيء .
- ٥ - مقاومة الاسراف في ذاته وفي مجالاته العملية والمعيشية .
- ٦ - الادخار ما أمكنه .
- ٧ - تنظيم النسل والدعوة اليه .

والا فان طريق الكفاية يصبح حلما بعيد المنال ، ويصبح الامل العريض في ايجاد مجتمع الرفاهية والرخاء والاستقرار الاقتصادي والنفسى مجرد أغرودة عذبة المني ، طالما لا تتناول اليها الجهود .

ثانيا : العدل :

والشق الثاني من الاشتراكية الذي يريده الشعب هو العدل . . جوهر قيمنا الروحية والخلقية وروحها . . والعدل في مجتمعنا وطبقا لمبادئنا شق الاشتراكية الثاني وهدفها . . والعدل مرتبط أشد الارتباط بالكفاية ، الكفاية مقدمة وسبب . . والعدل نتيجة الكفاية . . نتيجة التنمية والتقدم . . فنحن لا يمكننا أن نتصور عدلا يقوم بدون عدالة في توزيع السلع والخدمات وهل تتم عدالة التوزيع بدون القدر اللازم من هذه السلع وتلك الخدمات ؟ ان وجود مادة التوزيع بوفرة شرط أساسي للتوزيع نفسه ، والا عدنا لحالة ما قبل الثورة نوزع لا شيء ، ونقول « المساواة في الظلم عدل » وغير ذلك من المفاهيم الحرمانية الجوفاء التي لا تنسجم مع طبيعة الثورة وجوهر الاشتراكية .

لقد وصلنا اذن الى أن التنمية هي باب العدل ، وأن التقدم الاقتصادي هو كلمة السر الموصلة الى رحاب الاشتراكية ، وأن التقدم والاشتراكية صنوان لا وجود لاحدهما بدون الآخر ، كما أنه لا وجود للاشتراكية مع التخلف .

ان سحق التخلف يحتاج منا في المرتبة الاولى - الى ايمان قوى بالوطن ، وبحق المواطنين ، في أن تتجه أعمالنا جميعا لخيرهم ومصالحهم .

ان سحق التخلف يحتاج أيضا الى جهود جبارة منظمة مقننة في عمليتي تخطيط الانتاج وتخطيط التوزيع . . ثم ان نجاح أية خطة يتوقف على مدى المساهمة الجماعية التي يبذلها الشعب في تدعيمها

وتعلية بنيانها وحفنها بالجهود والامكانيات من كل نوع .. وخطتنا
جديرة بكل تأييد ومساندة وبذل ، لانها تقوم على فلسفة اجتماعية ذات
أهداف فاضلة وغايات نبيلة .

فلسفة الخطة :

نركز خطة التنمية أصلا على الفلسفة الاشتراكية العلمية العربية
التي تعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص بين الجميع .
وتتميز خطتنا بأنها تعمل وفقا للمبادئ الآتية : -

١ - العمل من أجل المجموع :

أى مجموع ؟ المجموع العددي ، أو المجموع الفئوى ؟ .. ان
البشر يتفاوتون فى الامكانيات والقدرات والخصائص العقلية والعضلية
والنفسية ، كذلك فى الظروف البيئية وما يترتب على ذلك من خيرات
ومكتسبات علمية أو مهنية .. وظروف اقتصادية .. ومن ثم فان
اهتمامات الناس وتطلعاتهم واحتياجاتهم تختلف بين فرد وآخر ، وبين
فئة وأخرى ، تبعا لما تقدم من اختلافات فى الظروف - مما يجعل
التخطيط من أجل المجموع العددي أمرا مستحيلا وخاصة فى مجتمع
تباعد فيه الفواصل بين الطبقات وقدراتها واحتياجاتها حتى لتصبح
مصالح وتطلعات طبقة ظلما وعبودية لغيرها من الطبقات . لذا فان
التخطيط الموضوعى الذى نسير عليه يضع احتياجات الطبقة التى هى
أقل عددا ، وأكثر ثراء متأخرة فى سلم الاهمية ، ويقدم عليها احتياجات
الأكثرية الفقيرة ، تحقيقا للعدالة الاجتماعية .

٢ - الالتزام بالقيم الروحية والضوابط الاجتماعية :

لسنا فى حاجة الى تكرار القول بأن الاشتراكية هى أساس الخطة
وهدفها ، وأن الاشتراكية نفسها سلوك دينى قائم على العدل الذى
هو جوهر الاديان ، وهدف الشرائع وغاية القوانين ، وقصد الاعراف
والتقاليد ، وغيرها من الضوابط الاجتماعية النبيلة التى تحكم خطة
التنمية ، تماما كما تحكم سلوك أفراد مجتمعنا الذى يعتز أيما اعتزاز
بترائه الدينى والثقافى والحضارى .

فالالتزام بالدين وما يمت له من السنن والضوابط الاجتماعية
المذكورة بصلة هو الطابع الأصيل اللازم للخطة ، سواء فى التمويل

والانفاق ، أو فى الانتاج والخدمات ، والحديث فى ذلك يطول ، ويتسع ليصل الى أن كل قرش يرد الى خزانة الدولة خلال ١٠٠٪ سواء من الخارج أو الداخل لا أثر فيه لاغتصاب أو استعمار أو تجارة محرمة ، ومن المعروف أن دولا تاريخية أو معاصرة ، اعتمدت فى مصادر إيراداتها بصفة أساسية أو ثانوية على القرصنة والنهب والدعارة والقمار وغير ذلك من المحرمات . . . ولعل مما يثير الطبقة التى هى أقل عددا وأكثر ثراء أن خطة التنمية استلزمت أن تتضمن الحد من الاسراف ومن ثم منع تسرب أموال الشعب لتنفق على موائد الميسر فى باريس وحجور غوانى فينيسيا والريفيرا .

ان الاسراف الوحيد الذى نبسط يدنا به هو فى حشد شباب المسلمين من مشارق الارض ومغاربها . . والانفاق على عشرات الالوف منهم ، بعوثا اسلامية . . فى معاهد الازهر ليعرفوا حق المعرفة أصول دينهم ، ثم يعودوا الى أوطانهم أكثر ما يكونون قدرة على نشر دين الحق . . والحق أن مصر ذاتها بل العالم كله - لم يعرف حكومة اهتمت بواجبها نحو التبشير بالرسالة المحمدية بنفس السعة والدرجة والتنظيم والاغداق - الذى تفعله حكومة الثورة . . سواء بالبعوث الوافدة . . أو المرسله . . أو بوسائل الاعلام البصرية والسمعية . . أو بنشر المسجلات وملايين المصاحف وتوزيعها على أقطار الارض .

وما يقال عن التمويل والانفاق . . يقال عن الانتاج وعن الخدمات . . وما التعليم والعلاج والمرافق والاسكان والنقل والمواصلات ، والاعانات والمساعدات . . ما هى الا تطبيقات لاشاعة الرخاء ، وتنمية القيمة الجوهرية للانسان الذى فضله الله على سائر المخلوقات ، وأمر برعايته والاحسان اليه .

٣ - التحديد الزمنى الأمل :

لقد روعى فى تصميم خطة التنمية الاقتصادية أن تتم مضاعفة الدخل فى عشر سنوات اعتبارا من عام ١٩٦٠/١٩٦١ دون اللجوء الى اجراءات عنيفة تتضمن أى نوع من الحرمان بالنسبة للطبقة التى طال أمد حرمانها . وعلى العكس من ذلك ، راعت الخطة أن يوزع العائد من الخطة بالعدل أولا بأول على هيئة فائض أرباح سنوية للعمال . . أو تحسين فى نظام الاجور وحدودها الدنيا . . أو فى شكل تأمينات وخدمات اجتماعية وتجنب ما يلجأ اليه الغير من خطط قصيرة المدى . . ضيقة الافق . . لا تصل الى

استئصال علل التخلف . . الا بمقدار ما يصل اليه الاسبرين من تسكين وقتي يقصد به مجرد الضحك على ذقون الشعب وتعبئة تأييده فى لحظات معينة . . أما خطة التنمية المصرية فقد جمعت بين الحسنيين ، قصر المدى : لان البطون الجائعة ، والأيدى العاطلة ، كان لا بد من اشباعها وتشغيلها بعد حرمان وبطالة . . وبعد المدى : لحل مشكلات التخلف حلا جذريا وبالبعدين معا يتوافر كل من البناء والعلاج معا .

٤ - الاستغلال الأمثل للموارد :

ومما يزيد الاعتزاز بخطتنا ومساندتها - أنها تستغل كل خردلة من مواردنا المادية . . وكل أداة من الادوات الفنية ، وكل خلية من قوانا البشرية - استغلالا أمثل نافعا لخير الناس واسعادهم . . وتطور المجتمع ، سعيا لاقامة المجتمع الديمقراطي الاشتراكى على البنيان ، وطيد الاركان . . فالخطة قائمة على موازنة متوازية بين القوى الثلاث : المادية ، والفنية والبشرية .

الموارد المادية :

يتم التحكم فيها بقصد الكفاية الاستهلاكية المحلية لسد ثغرات الحرمان من المواد والسلع والخدمات ذات الأولويات بالنسبة للسواد الأعظم من الشعب . . ثم تصدير ما يفيض . . أو ما يمكن الاستغناء عنه ، للحصول على نقد أجنبى وسلع أهم وأنفع .

وعلا على استغلال القوى البشرية استغلالا أمثل لصالح التقدم والانتاج ، جرت دراسات دقيقة متشعبة سكانية من حيث توزيعات النوع والسن والعمل ، وصار توزيع المنشآت والمشروعات الصناعية والعلمية والصحية والاقتصادية والتعاونية طبقا لهذه الدراسات وتلك الاحصائيات وطبيعة الأقاليم : ريفية أو حضرية ، زراعية أو صناعية ، مزدحمة أو أقل كثافة . . الخ . . هذا ونحن نستعين بالحلول التجريبية المحلية والعالمية .

وبالرغم من توالى التحديات الخارجية التى يقيمها حولنا الاستعمار وأعوانه ، والتحديات الداخلية التى تتمثل فى مواريث التخلف من جهة ومشاكل التقدم المتجددة من جهة أخرى ، فقد أمكن الخطة أن تقف صامدة بمختلف عناصرها .

الانتاج القومى : من سلع وخدمات ، يندفع الى الامام بقدر ما تقدم ،

وتمتصه الأسواق الداخلية والخارجية أولاً بأول ، وتطلب المزيد ، برغم أنواع الحصار الاقتصادي ، والمنافسة الدولية في الأسواق الأفريقية التى تبديها إسرائيل ومن خلفها الاستعمار .

الدخل :

أى فائض الانتاج يتزايد تدريجياً ، برغم ما يقدم للشعب العامل من تحسينات اقتصادية ، وما يطرأ على المنشآت من توسع .. ويمكن أن يتضاعف الدخل بمضاعفة بذل الجهد ورفع الكفاية الانتاجية ، ومحاربة الاسراف ، وخفض تكاليف الانتاج .

الاستهلاك :

وما أدراك ما الاستهلاك .. ؟ الاستهلاك هو آفة الدخل العارضة .. ان كل زيادة فى الاستهلاك يقابلها نقص فى الدخل .. ومعنى ذلك أن تضخم الاستهلاك يؤدى الى انقراض الدخل .. والحق أن مجتمعنا قد تمادى فى الاستهلاك ، ولكى يرتفع دخل الفرد ، والدخل القومى ، لابد من تخفيف حدة الاستهلاك بدرجة كبيرة .

الاستثمار :

الذى هو استعمال المدخرات فى مشروعات التنمية ، يحتاج أول ما يحتاج الى وجود المدخرات نفسها .. واذا كنا نستخدم جزءاً كبيراً من الدخل فى الاستهلاك ، وآخر فى رفع مستوى المعيشة ، فماذا يتبقى من استثمارات لاقامة مشروعات التنمية ؟ قد نلجأ الى القروض .. ولكنها ليست بالحل الدائم والمأمون .. ان الحل الطبيعى أن نخفف كما قلنا من الاستهلاك ، فينمو الدخل ، وتتوافر للأفراد مدخرات يساهمون بها - بأى شكل - فى عملية الاستثمار .

أهداف خطة التنمية :

لو قلنا ان أهداف الخطة هى الكفاية والعدل بالشرح الذى شرحناه لما كان ذلك راوياً لكل عطشان .. ان العدالة الاجتماعية بمفهومها التطبيقي لخطة التنمية الاقتصادية الاجتماعية المصرية تبدو فى المنجزات التالية : -

١ - إيجاد فرص العمل لكل عامل :

فقد وجدت اشتراكيتنا العمل ، وجعله الميثاق حقا وواجبا وشرفا . . ولم تعمل الخطة على توفير فرص العمل فحسب ، ولكن بشروط مرضية ، وبأجر مساو للعمل يكفل للعامل ولأسرته عيشة كريمة وحدا أدنى من الحياة لا ينزل عن مستواه ، وليس فيه اجحاف لما حصل عليه من علم أو خبرة أو قدرة . . وقد راعت الدولة تحسين ظروف العمل . . وحماية العامل من البطالة فأمنتها ضدها - صناعيا كان أو من عمال التراحيل . . غير أن ضمان المحافظة على المستوى الطيب من العمالة يحتاج الى جهود كبيرة لا بد أن يلتزم بها الشعب نفسه . . فالمعروف أن زيادة السكان لا بد أن يقابلها زيادة فى المصانع وغيرها من المنشآت الاستثمارية ، حتى يمكن استيعاب هذه الزيادة السكانية الجديدة وإيجاد فرص عمل لها وحمايتها من البطالة . . هذا ويعود بنا مرة أخرى الحديث عن ضرورة رفع الكفاية الانتاجية لمضاعفة الدخل وتخفيف حدة الاستهلاك للحصول على مدخرات يمكن أن نقيم بها تلك المصانع والمنشآت الاستثمارية الضرورية .

٢ - عدالة توزيع الدخل القومى :

ان رفع دخل الأفراد من الدخل القومى هو غاية الخطة ، والأهم هو أن يكون هذا التوزيع عادلا ، ومادة ذلك هو دخل العمل والانتاج . وأرجو ألا يتطرق الى الاذهان أن وسيلة ذلك هى رفع الحد الأدنى للأجور واجابة المطالب الاقتصادية المتكررة . . أبدا . . ان الحقيقة التى يجب أن تتأكد فى عقول الجماهير ونفوسهم وقلوبهم هى أن أية زيادة فى الأجور لا تقوم على أساس زيادة فى الانتاج تؤدى الى ضعف القيمة الشرائية للعملة ، وأن زيادة الانتاج مع بقاء الأجور كما هى ، يؤدى الى ضعف قيمة السلع ورخص ثمنها .

اذن فمن الضرورى أن يسير رفع الاجور فى خط مواز لزيادة الانتاج من السلع والخدمات ، وهذا يتطلب أن يسعى كل فرد منا الى زيادة . . انتاجيته ورفع كفايتها وجودتها ودقتها . . يستوى فى ذلك ما يصدر منها الى الخارج لتستطيع منافسة الأسواق العالمية الأجنبية ، وما يستهلك منها فى الداخل ليغنى عن الاستيراد . . وتستوى أيضا فى ذلك السلع أو الخدمات .

هذا هو الأساس الطبيعى السليم الوحيد لزيادة الدخل القومى ودخل الأفراد ، والاحتفاظ بقيمة العملة المحلية والضمان لعدم اختفاء الصغير منها

والا فان الكارثة لن تكون ضعف القيمة الشرائية للنقد المحلى فقط ، وانما
نصبح عاجزين عن الاستثمار والتوسع فى العمالة ، فتنشر البطالة مبتدئة
بضعاف الانتاجية ، والشباب المبتدىء ، وكبار السن ، وخريجى الجامعات
والمعاهد والمدارس الجدد .

ومن صور تحقيق عدالة توزيع الدخل التى تمت بمصر سواء قبل
الخطه الخمسية أو خلالها ، وما يستهلك بالطبع قدرا من الدخل ، ويقلل
من إيرادات الدولة ويؤثر على الاستثمار . . ما يلى : -

١ - تحديد الملكية الزراعية ، وتوزيع الأراضى على الزراع المعدمين ،
وغير ذلك مما قضت به قوانين الاصلاح الزراعى ، والاعفاءات المتوالية
للزراع من بعض الديون والاستحقاقات الخاصة بالدولة .

٢ - خفض سعر الفائدة ، وخاصة على القروض والائتمانات التى
تمنح لاقامة المشروعات الصناعية .

٣ - فروق أسعار السلع الضرورية التى تدفعها الحكومة للمحافظة
على أسعارها الحالية كما يحدث فى السلع التموينية من قمح وذرة ولحوم
وورق وغيرها .

٤ - فرض الضرائب التصاعدية تبعا لارتفاع الدخل ، مع اعفاء ذوى
الدخل المحدودة من الضرائب .

٥ - اصدار التشريعات الاجتماعية والاقتصادية الاشتراكية
كتشريعات العمل ومجانية التعليم ، وقانون تخفيض اجار المساكن ،
والتأمينات الاجتماعية ضد المرض والعجز والشيوخوخة وأمراض المهنة
والبطالة . . . الخ .

٦ - توجيه رؤوس الأموال والأيدى العاملة نحو الأعمال النافعة
للشعب ، بالشكل الذى يؤدى الى زيادة العمالة فى القطاعات المختلفة ،
والى زيادة الاستثمارات العينية والنقدية الجديدة ، والى تنمية الكفاية
الانتاجية بانشاء معاهد ومراكز التدريب والدراسة والمران ، مما يؤدى من
ثم الى رفع مستوى معيشة الطبقة العاملة تبعا لما يحصلون عليه من فرص
التدريب والعمل .

مشاكل التنمية

تلك هى بعض ملامح خطة التنمية : فلسفتها ، وأهدافها ، دعائمها . .
عمل مدروس ، جاد ، يحتاج الى عمل تنفيذى ، لا يقل عنه جدا ويقظة وحرصا .

فان التنمية نفسها تتمخص عن مصاعب ومشاكل جديدة ، تحتاج الى وعى كامل بها وسيطرة تامة عليها ، وكما قلنا فى البداية أن مشاكل التنمية مشاكل عامة ، واجهتها كل الدول فى مستهل خططها للتقدم ، تستوى فى ذلك الدول الشيوعية والرأسمالية والاشتراكية . وأهم هذه المشاكل ما يلى : -

١ - مشكلة السكان :

ذلك أن التنمية من أكبر عوامل زيادة عدد السكان ، مما يؤدي الى التهام حصاد خطة التنمية أولا بأول ، مالم يكن هناك ضبط .

٢ - الاختيار والمفاضلة بين أنواع القطاعات :

أى ترتيبها فى جدول أولويات التنفيذ على مدار الخطة ، طبقا لفلسفة الخطة وأهدافها الاجتماعية ، واحتياجات الأغلبية الشعبية ، وطبقا لظروف الأمة الاقتصادية والسياسية ، هذا وان اجادة ترتيب سلم الأولويات مع وعى الشعب به يؤدي الى التفافه حوله وحماسه الايجابى فى تنفيذه .

٣ - زيادة الاستهلاك :

وذلك ينشأ من زيادة القدرة الشرائية للأفراد تبعا لزيادة العمالة ، ورفع الأجور ، وارتفاع مستوى معيشة الطبقات المحرومة ، وهذا يؤدي الى استنفاد جزء كبير من الدخل القومى ، والى ضعف قدرة الأفراد على الادخار ، والى نقص رموس الأموال المستثمرة ، والى رفع الأسعار .

٤ - رفع الكفاية الانتاجية :

وقد سبق الحديث عنها .

• - موازنة المدفوعات :

وسيأتى الكلام عنها بعد .

أولا : مشكلة السكان :

تتميز المجتمعات المتخلفة - كأغلب الدول الافريقية والآسيوية ، وبعض دول أمريكا اللاتينية - بتزايد فى عدد السكان أكثر مما تزيد به نسبة الدخل القومى والانتاج ويترتب على ذلك بالضرورة تدهور

مستوى المعيشة . . ذلك لأن هناك سباقا جبارا يحدث بين زيادة الانتاج باستخدام موارد محدودة ، وبين زيادة السكان بشكل غير معقول .

وفي مصر أكدت الاحصائيات أن تعداد السكان بلغ ١٩ر٩ مليون نسمة عام ١٩٤٩ . ثم ٢٨ مليونا عام ١٩٦٣ .

وقياسا على ذلك يمكن أن نتوقع ما أكدته الخبراء من أن تعدادنا سيصل الى ٣٣ر٩ مليونا عام ١٩٦٩ . . وهناك سببان لهذه الزيادة : أولهما : ازدياد معدل المواليد بمقدار ١ر٢ في الألف عنه عام ١٩٤٩ ، وثانيهما : أن نسبة الوفيات قد قلت بمقدار ٦ر٥ في الألف . . بفضل مشروعات الرعاية الصحية التي نشرتها الثورة في الريف والحضر ، وبفعل ارتفاع مستوى المعيشة لدى السواد الأعظم من الطبقات العاملة التي كانت محرومة ، ولزيادة العمالة ، وانتشار التعليم والتبصير والارشاد الذي تشعه وسائل الاعلام الحديثة .

ولقد بلغ معدل المواليد في بعض الدول ضعف معدل الوفيات ، حتى ان معدل المواليد في احدها بلغ ٤٢ في الألف في حين ان معدل الوفيات ٢٠ أو ٢٢ في الألف ، فيكون الفرق الصافي زيادة ٢٠ في الألف من عدد السكان .

ولا تقابل هذه الزيادة في المواليد أية زيادة تذكر في موارد المجتمع المتخلف . . وبنوع خاص نجد أن الأرض عاجزة عن أن تسابق بطرحها ما تطرحه بطون البشر من المواليد . مهما قام التوسع الأفقي أو الرأسى في الزراعة على قدم وساق ، علما بأن الأرض تقل انتاجيتها وتشينخ بمرور الزمن ، فانها تحتاج الى جهد كبير من رى وصرف وتسميد للحيلولة دون استنفاد قواها الانتاجية .

وهكذا يزداد التخلف تخلفا . . والفقر عوزا . . والحرمان يؤسا . . مالم تقم عملية التنمية بموازنة الانتاج مع حجم النسل . . ومقدار ما يوزع بعدل من سلع وخدمات على الأفراد .

آثار عملية التنمية :

تزداد دخول الأفراد عامة ، ويحصل البعض - ممن لم تكن لهم دخول - على أجور نتيجة لازدياد فرص العمل . . فماذا يحدث ؟ .

١ - زيادة معدل الزواج ومن ثم زيادة معدل المواليد . فتتفاقم مشكلة السكان .

٢ - زيادة الخدمات تتضمن زيادة وجودة الخدمات الصحية والتعليمية،
فينقص معدل الوفيات ، ويتراكم عدد السكان ، وتتعدد المشكلة .. فما
هو الحل ؟

علاج مشكلة السكان :

التصحيح :

ان تضخم عدد السكان لا يعتبر مشكلة اذا كانت الدولة غنية
بمواردها الطبيعية الزراعية والصناعية والمعدنية ، الا اذا افتقرت الى رءوس
الاموال اللازمة لاستغلال هذه الموارد وتشغيل الطاقات البشرية من
سكانها .

وعلى ذلك فان طرق العلاج فى هذه الحالة هى :-

١ - الاستغلال الأمثل لمواردنا الزراعية والصناعية والمعدنية
والبشرية وما يتعلق بالطاقات المحركة . وهذا هو أسلوب الخطة فعلا .

٢ - التوسع فى الصناعات الاستهلاكية والتحويلية لامتصاص
الطاقات البشرية الجديدة وزيادة الانتاج والدخل ، والاكتفاء الذاتى المحلى
من هذا النوع توفيراً للعملات الصعبة .

٣ - تدبير رءوس الاموال اللازمة للاستثمار ، مع تفضيل المدخرات
الشعبية عن القروض الاجنبية ، تدعيماً للاقتصاد الوطنى .. وصيانة
للاستقلال السياسى .. وهذا هو الدور المقدس الذى يجب أن يستقر فى
موضع الايمان من قلوب الشعب وعقولهم .

٤ - اكساب الطاقة البشرية مهارات وخبرات عالمية لتصبح هذه
الطاقة مصدراً من مصادر الدخل القومى سواء فى الاسواق العلمية والفنية
الخارجية فى آسيا وافريقية والدول العربية ، أو فى مجالات الانتاج
الداخلية .

٥ - انشاء صناعات قوية تعتمد على تنظيم القوى العاملة وتدريبها
تدريباً عالياً ، يكفى لاضافة صناعات جديدة مهما كانت موادها الاولى
كلها أو بعضها مستورداً ، وفى هذه الحالة يكون العمل نفسه سلعة
ومصدراً للدخل .

مما تقدم يتضح أن التصنيع هو أهم الحلول الضرورية لمشكلة السكان .

تنظيم الأسرة :

يعتبر تنظيم الأسرة من مشكلات التقدم الصعبة التي تحتاج الى تغيير كامل في سلوك الفرد عن اقتناع كامل وإدراك لحقيقة المشكلة وأبعادها ، وذلك يستغرق جهدا ووقتا طويلا .

ومن الخطأ أن يبذل أى جهد فني في تنظيم النسل دون أن يتم إقناع المواطنين بأهميته . والا ضاعت الجهود والاموال هباء . . وأسفرت عن نتيجة عكسية مثلما حدث في الهند نتيجة العناد ورد الفعل المضاد . . والتبصير هو واجب الدعاة والقادة الاشتراكيين ووسيلة الإقناع بالمناقشة الشخصية المباشرة .

ثانيا - مشكلة أولوية القطاعات :

رأينا كيف أن الضرورة أوجبت أن نتجه بكل قوانا نحو التصنيع ليزداد الانتاج أكثر من المعدل الذي يزداد به السكان ، والا فان مستوى المعيشة يتدهور . . لكن . . هل معنى هذا أن نهمل الزراعة ؟

أبدا . . فان إهمال الزراعة يؤدي الى فشل كل الجهود التي تبذل في التقدم الصناعي . فالدول الصناعية التي لا تعتمد على الزراعة كانت قد ضمنت لنفسها ولشعوبها مزارع في مستعمراتها تمدها بالمواد الغذائية والمواد الزراعية الأولية اللازمة للصناعة .

أهمية الزراعة :

الاهتمام بالزراعة لا يقل ضرورة عن الاهتمام بالصناعة لما يأتي :-

١ - تنمية = زيادة دخل = زيادة سكان = زيادة استهلاك عام، ومن المواد الغذائية .

والزراعة هي المصدر الرئيسي للغذاء الانساني من نبات وحيوان .

٢ - نمو الصناعة يتوقف على المواد الأولية ، وعلى استيراد الآلات والسلع الوسيطة . والاستيراد يعتمد على الصادرات المحلية . ومن الواضح

أن صادراتنا الأساسية في بداية خطة التنمية ، لا يمكن إلا أن تكون زراعية على الأغلب ، لافتقارنا الى فائض ذي قيمة من الموارد الطبيعية المعدنية .

٣ - الصناعة تعتمد في كثير من أنواعها على المواد الأولية الزراعية .

وسائل تنمية الزراعة :

وكما ان الزراعة تمثل القطاع الاقتصادي الأهم والأكبر من الدخل القومي المصري ، فهي تمثل أيضا نوع العمل الذي يقتات منه ٦٦٪ من المصريين وهم أهل الريف الذين يتكدسون في مساحة لا تبلغ أكثر من ٢٤٪ من مساحة الجمهورية العربية المتحدة ، بمعدل ٧٠٦ من الافراد في الكيلومتر الواحد على طول وادي النيل والدلتا ٠٠ ذلك ان المساحة الكلية لارض مصر ٢٢٨ مليون فدان ، لم يزرع منها الا ٦٨ره ملايين فدان حتى عام ١٩٥٢ .

وتقديرًا لأهمية الزراعة تجرى تنميتها في الخطة على الأسس الآتية:

١ - التوسع الأفقي :

ويعنى زيادة الرقعة المزروعة عن طريق الاستصلاح ٠٠ وقد اقتضى ذلك دراسات كثيرة جرت وما زالت تجرى غيرها في هيئات متكاملة كثيرة منها : وزارات الري والزراعة والاستصلاح الزراعي ، ومجلس الانتاج ٠٠ وهكذا أمكن اضافة ما يقرب من نصف مليون فدان من الاراضى التى لم تستغل بعد .

ولقد خصص للتوسع الأفقي ٢٦٩٦٦ مليون جنيه من الاستثمارات لمشروعات الري والصرف ، واستصلاح الاراضى على طول الوادى ، والوادى الجديد ، والصحارى والساحل الشمالى بمعدل ١٧٥ ألف فدان سنويا ، ويتضمن ذلك تدبير ٢ مليار متر مكعب من الماء ، ويدخل من بين هذا المبلغ ٧٧٤ مليون جنيه لاستثمارات السد العالى وتعويضاته ومشروع تحويل الحياض الى رى مستديم . والمعروف أن السد العالى سوف يمكن من أن تمتد الارض الزراعية الى ٧٩ر٧ ملايين فدان .

٢ - التوسع الرأسى :

وهو زيادة غلة الفدان وانتاجيته انتاجا عاليا ٠٠ ويأتى ذلك عن طريق التنظيم الزراعي العلمى الدقيق ٠٠ وتعمل وزارة الزراعة على أن

يصل انتاج الفدان الواحد مرة ونصف مرة مما يعطيه الفدان فى الدول
الآخري .

وذلك يقتضى الاستفادة من كل أساليب الزراعة الحديثة من تسميد،
واستنباط سلالات تقاوى ممتازة ، ومبيدات تحمى النبات من الآفات ،
ونشر آلية الزراعة ونظمها التى تضاعف الانتاج وتقلل التكلفة وترفع قيمة
المحصول وتحسن التربة .

وقد أدت هذه الجهود بالفعل الى زيادة غلة الفدان بنسبة ٤٪ فى
القطن و ٣٦٪ فى القمح ، و ١٧٪ فى الشعير ، و ٥٣٪ فى الارز ، و ١٢٪
فى الذرة الرفيعة ، و ٧٪ فى القصب بالاضافة الى تحسين زراعة الخضر
والفاكهة وزيادة مساحتها ، وتنويع الانتاج وتوجيهه الى المحصولات التى
تحقق ربحا أوفر ، وبما يوازى الاحتياجات الصناعية والتجارية .

ولذا فان الخطة قد رصدت ١٢٢ر٤ مليون جنيه للتوسع الرأسى
لمشروعات الصرف العام . والصرف الحقلى ، وتعديل طرق الري وغيرها .

٣ - تنمية الثروة الحيوانية :

والثروة الحيوانية - فيما عدا البحرية منها - ملتصقة بالزراعة ،
والعناية بها أمر حيوى لا من الناحية الغذائية العامة وحدها ، ولكن
بالنسبة لتدعيم اقتصاديات الفلاح ولضاعفة قدرته على الانتاج الزراعى
فى جو مشبع بالثقة والانتعاش الاجتماعى .

ولذا عنيت الخطة بتزويده بالسلالات الممتازة من الماشية والدواجن،
ونشر الوحدات البيطرية لحماية هذه الثروة من الآفات والأمراض .

٤ - تطور الفلاح :

ان تطبيق العلوم الزراعية على الارض لا يعتبر فى حد ذاته مشكلة
كبيرة . . الأعوص منها هو عملية تطوير الفلاح ذاته ليصل الى مستوى
ادراك ما يعود عليه من فوائد نتيجة لتطبيقه أساليب التقدم الجديدة .

ولقد ظلت الارض ملكا يستأثر بها ، ويتهاذاها ، ويتوارثها الحكام
الطغاة وأذئابهم وأنصارهم جيلا بعد جيل منذ عهد الولاة الاتراك ، ثم
محمد على وأبنائه ولم يكن يتسرب منها الى الزارعين الحقيقيين الا قدر
يسير بشق الأنفس .

وكان الملاك لا يهتمون بتطوير الزراعة علميا وفنيا وآليا ، لان ذلك ينتقص من ايراداتهم شخصيا ، ولا يرون فيه الا مصلحة الزارع نفسه وراحته عضليا ، فى حين أنهم يحصلون على نفس الايراد من الارض بقصر الفلاح وارهاقه وتسخيـره والحجز على ماشيته دون ما حاجة الى شراء الآلات الزراعية وما تحتاجه من وقود وصيانة وقطع غيار .

اذا أضفنا الى ذلك ان الفلاح ظل محروما من التعليم الفعال ومن وسائل التبصير والارشاد الاعلامية ذات التأثير المباشر فى تطويره اتضح لنا انه معذور فى جموده ، وانه يلزم لاقناعه مجهود ضخم يسير جنبا الى جنب مع وسائل التنوير العلمية والتربوية والدعائية التى دخلت القرية بطرق مختلفة . وأهم هذه الجهود هى ما يقدم الدليل والبرهان الملموس على امكان حصول الفلاح على انتاج مضاعف وربح أوفر من استخدام بذرة أو سماد أو آلة أو طريقة خصبة فى الزراعة تختلف عما ورثه عن آباءه وأجداده من أساليب وأنماط اطمأن اليها وقنع بها ، ولم يعد من السهل أن يتحول صاغرا عنها الا بالدليل المادى . وهذا دور القياديين . مهمتهم هى اعطاؤه القدوة وحوافز التقليد والمنافسة العملية المبنية على أصول علمية وفنية زراعية جديدة .

اهمية الصناعة :

مما يدعو الى الفخر أن جمهوريتنا العربية قد حققت تجربة رائدة فى مجال التخطيط الصناعى الاقتصادى لم يسبقنا اليها غيرنا . فالدول التى سبقتنا فى مجال التنمية بدأت تقدمها باختيار واحد من الاسلوبين التاليين :-

١ - بعضها بدأ بالصناعات الصادرة الى الاسواق الخارجية كإنجلترا .

٢ - والبعض ركز على الصناعات الثقيلة كدول المعسكر الشرقى مثلاً .

فما تجربتنا ؟

نحن ما ركزنا على هذه ولا تلك ، وانما على الصناعات الاستهلاكية للسوق المحلية ، ولقد أثارت تلك التجربة الفريدة اهتمام خبراء الاقتصاد العالميين الاجانب . واعتبروها نموذجا ثالثا فى عالم الاقتصاد . نبعت ضرورتها من الرغبة الثورية الملحة فى تجنيد التقدم لصالح الشعب واشباعه بعد طول حرمان برفع مستوى استهلاكه .

وهناك حقيقة أخرى : وهى أن عدالة التوزيع كانت تتطلب زيادة
الاستهلاك • وزيادة الاستهلاك تتطلب استيرادا من الخارج • ولم يكن هذا
مستطاعا ولا مرغوبا فى الوقت نفسه فكان لا بد من تصنيع السلع
الاستهلاكية محليا •

وحقيقة ثالثة : هى ان اقامة الصناعات الاستهلاكية والصناعات
الثقيلة معا أمر يحتاج الى رؤوس أموال ضخمة لم تكن تتوافر لنا •

وحقيقة رابعة : هى ان الصناعات الثقيلة تحتاج الى نوع من الفنيين
على قدر عال من الخبرة والكفاية لم يكن قد تم اعدادهم بعد •

لهذه الظروف مجتمعة تعين علينا أن نتجه بكل قوتنا نحو التصنيع
الاستهلاكي ، فنجحنا حتى لم تعد هناك سلعة استهلاكية صناعية هامة
لا تنتجها المصانع المصرية • ولم يلحظنا ذلك عن اقامة توازن بين الصناعات
الاستهلاكية وبين وضع قاعدة ثابتة للصناعات الثقيلة •

وبلغت تكاليف المشروعات فى الخطة الخمسية الاولى ٥٩٩ مليون
جنيه تقريبا ، فأقيم ٧٣٣ مشروعا تشمل الصناعات البترولية ، والتعدينية ،
والكيماوية والدوائية ، والغذائية ، والغزل والنسيج ، والمعدنية
الاساسية ، والهندسية ، والصناعات الريفية ، والتدريب المهني ••
والعملية ، والصناعات التكميلية ••• الخ •

وهذا من شأنه أن يؤدي الى زيادة فى الدخل القومى قدرها ١٩٠
مليون جنيه ترفع من نسبة مساهمة الصناعة منه الى ٢٨٪ بدلا من ١١٪ •
وترتب على ذلك اننا استغنيانا عن استيراد سلع كانت تستنفد قدرا كبيرا
من ميزان المدفوعات ، بل أصبحنا نصدر السلع نفسها لدول كانت
تصدرها لنا ، كالغزل والمنسوجات • أصبحنا نصدرها الى انجلترا
والولايات المتحدة وسويسرا وكانوا هم تجارها •

نتائج التصنيع الاستهلاكي :

ولقد عادت خطة التنمية فى هذا القطاع على المجتمع بفوائد عدة
أهمها :-

١- تدعيم المركز الاقتصادى القومى وصيانتة من الانزلاق الى
التبعية الاجنبية وضغوطها على توفير جزء كبير من النقد الاجنبى •

٢ - تحقيق عدالة توزيع الدخل وفرص العمل ، بزيادة العمالة ، وزيادة الاجور ، وتوزيع أنصبة الارباح والمزايا العينية مما يرفع مستوى معيشة العمال .

٣ - تدعيم المركز السياسى للجمهورية العربية المتحدة فى المجال الدولى ، وفى ذلك قال الميثاق :-

« ان الصناعة هى من الدعامات القوية للكيان الوطنى ، وهى القادرة على الوفاء بأعظم الآمال فى التطوير الاقتصادى والاجتماعى » .

الصناعات الثقيلة :

الصناعات الثقيلة هى التى تنتج الآلات ، وقطع الغيار ، وسيارات الركوب والنقل ، والجرارات ، والمضخات الآلية ، وما شابه ذلك ، وكذا السلع الوسيطة : كالأسمنت ، والفوسفات ، والمنجنيز ، والسماذ ، والكيماويات .

أهمية الصناعة الثقيلة :

انها ذات ضرورة ملحة فى المرحلة الثالثة من الخطة للأسباب الآتية:

١ - الصناعة الاستهلاكية تحتاج الى سلع وسيطة ، وإلى آلات لانتاجها ولا يمكن أن يطول اعتمادنا فى هذه الآلات والسلع الوسيطة على الخارج فيتعرض اقتصادنا وتصنيعنا لتقلبات العلاقات الدولية وأهوائها واهتزازاتها ، فهى تدعم التحرر الاقتصادى .

٢ - الاعتماد على استيرادها يلقي عبثا ضخما على ميزان المدفوعات .

٣ - الصناعة الثقيلة طاقة هائلة لامتنعاص أكبر قدر من الأيدى العاملة ، وضمان الامان من البطالة .

٤ - الصناعة الثقيلة وسيلة لاستغلال الطاقة البشرية المحلية التى يتم تدريبها فى الحصول على قدر أكبر من العمالة الصعبة عن طريق ما يضيفونه الى المادة من جهد وخبرة .

٥ - الصناعة الثقيلة تمكن من استغلال الموارد التعدينية المحلية المعطلة .

٦ - الصناعة الثقيلة قيمتها التجارية عالية ، وأرباحها سخية .

٧ - الصناعة الثقيلة تخدم تطور وتقدم الانتاج الزراعى .

٨ - الصناعة الثقيلة تتميز بأنها غير قابلة للاستهلاك المحلى . . ولذا فان عائدها من النقد الاجنبى أغزر من الاستهلاكية .

٩ - انتاج الآلات والسلع الوسيطة للصناعات الاستهلاكية محليا يؤدي الى المحافظة على المستوى المعقول للأسعار والى انتظام الانتاج .

ومن هذا ومن غيره ، كانت اقامة الصناعات الثقيلة أمرا حيويا جديرا من الشعب بالمساهمة والمساندة وبذل التضحيات ، والوقوف بصلاية أمام ما قد يثار من تقولات مفترية للهمم .

ومن ذلك ان البعض قد يروج لفكرة استمرار الاستيراد من الخارج، طالما ان الآلات وقطع غيارها هناك أرخص مما سوف يكلفنا ذلك فى الفترة الاولى من التصنيع الثقيل .

ان هذه مغالطة واضحة . . وتعويق خبيث لا يتقول به الا كل عدو لهذا البلد وتقدمه وشعبه . . قيل ذلك لألمانيا عام ١٨٤٠ حينما لم تكن فى العالم دولة تصنع الآلات وقطع الغيار غير انجلترا . . فلو أن ألمانيا أبهت لهذه المغالطة لما صارت على هذا النحو من الشهرة الصناعية . . وقيل لروسيا فأشاحت عنه . . وها هى ذى اليوم صاحبة الانتصارات فى سباق الفضاء وغزو الكواكب .

ما من شك أن كل خلق يبدأ ضعيفا ويتكلف كثيرا فى بدايته . . ومع النمو والتقدم والاستمرار تزداد الخبرة . . وتقل التكلفة ، بازدياد الكفاية الانتاجية ويعلو صرح التقدم .

ومن المدهش اننا نتخذ من تأخرنا فى التصنيع ميزة لصالحنا . . ذلك اننا حينما نبدأ التصنيع الثقيل ، نطبق آخر ما وصل اليه العلم والفن الآلى الحديث من وسائل فنبدأ بفن انتاجى حديث يعوض جزءا من ضعف الكفاية .

مشكلة الكفاية الانتاجية :

تعريفها :

الكفاية الانتاجية هى انتاج نفس السلعة بكمية أقل من المواد الأولية ، ومن الآلات ، ومن وقت العمل ، وبمعنى آخر فان الكفاية الانتاجية

هى استخدام نفس الآلة ونفس المواد الأولية ونفس وقت العمل فى انتاج وحدات أكثر من السلع . وبمعنى ثالث هى زيادة الانتاج بنفس التكاليف ، أو خفض تكاليف انتاج الوحدة من السلع والخدمات .

وسائل توفير الكفاية الانتاجية : تعتمد على اتباع ما يأتى :-

١ - التعليم والتدريب الفنى المتخصص عن طريق مراكز التدريب والبعثات .

٢ - تقويم العمل وتقويم العمال ووضع العامل المناسب فى العمل الذى يناسب ما اكتسبه من خبرة وعلم وما درب عليه من أعمال .

٣ - نشر الوعى العملى والشعور بالمسئولية .

٤ - حسن توزيع القوى البشرية العاملة على حسب الاحتياجات الفعلية للقطاعات .

٥ - تحليل العمل واختصار الحركات التى تستهلك جهد العامل ولا تدخل فى طبيعة التشغيل .

٦ - تحسين ظروف العمل من اضاءة وتهوية وغير ذلك .

٧ - تنظيم عمليات نقل العمال من قسم الى آخر ومن مؤسسة الى اخرى .

٨ - ازالة أسباب الشكوى والخلاف وما يؤدى الى تراخى العمال .

٩ - تحقيق التفاهم المتبادل بين العمال والادارة .

١٠ - الدقة فى تطبيق خطوات الترقى .

١١ - صيانة الآلات وادارتها وضبطها .

١٢ - التوجيه العلمى الصناعى للعمل على حسب آخر المكتشفات العلمية .

١٣ - الاهتمام بالصحة البدنية والعقلية والنفسية للعمال .

١٤ - الرقابة السليمة على المواظبة وعلى حسن استخدام العمال للآلات والمواد الخام والوقت .

١٥ - حسن استخدام الآلة وعدم تعطيلها عدة مرات فى اليوم ليطول عمرها وعمر قطع غيارها .

أهمية الكفاية الانتاجية :

من الاهمية بمكان أن نتذكر المعادلة الآتية :-

تقدم أو تنمية = استثمارات + كفاية انتاجية .

فان الاستثمارات وحدها لا تصنع التقدم .. فاذا صادف الاستثمارات انخفاض فى الكفاية الانتاجية أدى الى خسارة وافلاس .. والكفاية الانتاجية هى التى تحقق خفض التكاليف وزيادة الانتاج فيترتب على ذلك ما يأتى :-

١ - تخفيف الضغط على ميزان المدفوعات بسبب خفض استيراد المواد الأولية .

٢ - زيادة رفاهية الافراد بزيادة المنتج من السلع .

٣ - امكان زيادة الاجور تبعاً للزيادة المطردة فى الانتاج ، فقد سبق أن قلنا ان أية زيادة فى الاجور لا تقوم أصلاً على زيادة معدل الانتاج - تؤدي الى تضخم .. لانها تعتبر زيادة أجر بلا مقابل ، وبمعنى آخر فان زيادة الاجر دون زيادة فى الانتاج تضيف عبئاً على سعر التكلفة ، وهكذا ترتفع أسعار السلعة فى النهاية ، وتصبح زيادة الاجر لا قيمة لها ، ويكون سبب الغلاء هو العمال ضعاف الانتاجية .

٤ - بناء على البند السابق فان رفع الكفاية الانتاجية يؤدي الى خفض أسعار السلع والخدمات .

مشكلة ميزان المدفوعات :

كانت مصر قبل الثورة - فى الماضى المتخلف - يعتمد ميزانها التجارى من حيث الدخل على زراعة القطن . وكانت تستورد بقدر ما يسمح ميزان المدفوعات عن هذا السبيل وكان ميزان المدفوعات مستريحاً بل كان يحقق فائضاً فى بعض السنوات .

وتفسير ذلك بسيط : فالبطالة ، وضعف العمالة ، وقلة الاجور ، وضعف الصناعة وجمود مشروعات العمران ، وانخفاض مستوى المعيشة

بوجه عام - كان من شأنه أن يقلل حجم الواردات الا فيما يتعلق باحتياجات
البذخ للقلة الضئيلة التى تملك الارض والمال والحكم والسيطرة .

وقامت الثورة ، وبدأت خطة التنمية ، فاستوردت الآلات الضخمة ،
والآلات الوسيطة والمواد الأولية ، فزاد حجم المدفوعات فى بداية الخطة
لمواجهة زيادة حجم الاستيراد من أجل زيادة الانتاج الاستهلاكى . . يضاف
الى ذلك عامل آخر وهو ان عملية التنمية لا تعطى ثمرتها فورا . فالاستيراد
يتبعه انشاء المصانع . . ثم تشغيلها عاما وعامين وثلاثة حتى يتم التوازن
بين قيمة الانتاج وقيمة المدفوعات . . ثم يبدأ بعد ذلك فى التعويض
واستمرار زيادة الربح . . أى ان ما يدفع فى استيراد الآلات يظل معطلا
فترة من الزمن حتى يؤتى ثماره وفوائده من الانتاج الذى يصدر الى الخارج .

ولذلك فانه ما من دولة بدأت فى التنمية الاقتصادية الا وواجهت
عجزا فى ميزان المدفوعات يضطرها للاقتراض من الدول الاخرى مهما كانت
مدخراتها الداخلية مدعمة . . ومن هذه الدول انجلترا ذاتها . . فبرغم
ما كان لها من مستعمرات وما تتمتع به من مدخرات فانها لجأت الى
الاقتراض من هولندا . . وتكرر العجز فى ميزان المدفوعات بالنسبة
لانجلترا وفرنسا وألمانيا عقب الحرب العالمية الثانية فاضطرت الى
الاستدانة وظلت هذه الحالة قائمة حتى عام ١٩٥٤ .

وسائل تحسين ميزان المدفوعات :

يتم ذلك باحدى الوسائل الآتية أو كلها مجتمعة :-

١ - تغطية العجز عن طريق القروض الاجنبية الطويلة الاجل ، على
أن تسدد بعد اعتدال التشغيل من فائض الانتاج . . ولكن هذا الطريق
غير مأمون تكتنفه الضغوط الخارجية وتموجات العلاقات الدولية .

٢ - تنفيذ خطة تقشفية مبنية على تخفيف حدة الاستهلاك بالدرجة
التي تجعل المستهلك = المنتج ، والوارد = الصادر . . على أن يتطور
ذلك بحيث تكون الصادرات أكثر من الواردات لتحقيق الرفاهية والرخاء
للشعب .

٣ - زيادة الكفاية الانتاجية عامة ، من الانتاج الذى يصدر للخارج
خاصة حتى يصمد أمام المنافسة الاجنبية فى الاسواق .

٤ - زيادة المدخرات • ولهذا علاقة كبيرة لا بميزان المدفوعات وحده
• • ولا بالاستثمارات ، ولكن أيضا بالمحافظة على المستوى اللائق للأسعار •

الادخار وأثره على الأسعار :

الادخار لا ينصب على اقتطاع جزء معين من الدخل الشهري للفرد
وايداعه في المصرف مثلا • • ان الادخار الحقيقي معناه تخفيف حدة
الاستهلاك بالشكل الذي لا يجعلنا نستنفد كل دخلنا • • أو كل ما تنتجه
وما نستورده • • وبهذه الصورة يبقى فائض للتصدير والحصول على
عملات واقامة استثمارات • • ومن ناحية أخرى توفر قدرا من النقد الذي
نلقيه اليوم في بالوعة الاستيراد •

ولا يقتصر هذا النوع من الادخار (تخفيف حدة الاستهلاك) على
الفرد في منزله وانما ينبغي أن ينطبق به سلوكه في عمله وفي كل ما يتصل
به من مجتمعات وهيئات • • وبالنسبة لكل المواد والسلع ، وضروب
الاسراف • متمثلا قوله تعالى :

« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد
ملوما محسورا » •

ويدخل في الادخار وتخفيف حدة الاستهلاك ، ومجاربة الاسراف -
مكافحة الاهمال والتبديد • • ولأهمية هذا العنصر الأخير نشير الى ان
الدول المتقدمة كانت تعد الاهمال والتبديد جريمة وخاصة في حالات
الحرب والطوارئ • • ولذا فان « الشئون العامة لقوات الحلفاء » خلال
الحرب العالمية الثانية ، كانت تتخذ لذلك شعارا يواجهك في كل مكان
بالمصانع والمكاتب والمعسكرات ، على الجدران •

ان المجتمع بفعل عوامل تخلفية كثيرة يعج بعادات استهلاكية سيئة
مدمرة لاقتصاديات الأسرة والعمل ، ومن ثم على الدخل القومي يعود أثرها
الضار • • وذلك يحتاج الى وعي • • استهلاكي كبير يؤدي الى مدخرات
كبيرة تلقائيا •

هذا الوعي الاستهلاكي يشمل الغذاء والكساء والافارة والمياه
والأواني والأثاث ومواد النظافة والكماليات والمكيفات والوقود ، والمواد
الأولية في المصنع والمكتب ، ووسائل النقل والآلات ، وكل شيء •

ويشمل أيضا كيفية الاستهلاك تماما كما يشمل كمية الاستهلاك • •

فالعناية بالسلعة كالألة والملبس والأثاث والسيارة وأنواع الأجهزة المنزلية والمكتبية والمصنعية وغيرها - يطيل عمر المادة ويوفر على المرء عبء شراء غيرها ، ومن ثم يخفف ذلك من ميزان المدفوعات ، وتضاف قيمتها الى حساب الأرباح والاستثمارات وزيادة الانتاج .

ولنا أن نتصور مقدار الفائدة التي تعود على المجتمع وعلى الدخل القومي وعلى الأفراد لو أن كل أسرة ، وكل هيئة ، أمكنها أن تحلل مصروفاتها ، وتحدد استهلاكاتها الضرورية فعلا ، وتستبعد عناصر التبذير والاسراف والائتلاف والاهمال .

ان ذلك يؤدي قطعاً الى زيادة في الاستثمار وقلة في الاستيراد . ومن ثم الى زيادة في الانتاج والتصدير ومضاعفة في حجم الدخل القومي بالقدر الذي يتم به تخفيف حدة الاستهلاك .

وهناك معنى آخر لزيادة الانتاج وهو زيادة العروض من السلع والخدمات . ومن ثم وعلى حسب قانون العرض والطلب - تنخفض الأسعار .

ويمكن بلورة الايضاح السابق في المعادلة الآتية : -

تخفيف حدة الاستهلاك = زيادة المدخرات = زيادة الاستثمارات =
زيادة الانتاج = زيادة العرض = زيادة قيمة العملة = رخص الاسعار .
وأى طرفين منهما يصلحان معادلة سليمة .

هذا هو الطريق الى التنمية والتقدم . . هذا هو الطريق الى الحفاظ على قيمة الأجور ، والوصول الى مستوى معتدل من الأسعار . . هذا هو طريق الرفاهية والاستمتاع بالعدالة الاجتماعية . . وبغير سبيل تخفيف حدة الاستهلاك وادخار الناتج عن ذلك ، لا يمكن للأفراد في هذه المرحلة من الخطة أن يتيحوا لأنفسهم الاستفادة مما تبسطه لهم الدولة من فرص العدالة الاجتماعية .

ان مجانية التعليم ، وتخفيض أجور المساكن ، وزيادة العمالة ، ووضع حد أدنى للأجور . . وكل التحسينات المشابهة في دخول الأفراد ، كانوا يستهلكونها بشراهة دون أن يدخروا منها للزمن وأخطارهم ، وللمساهمة في الاستثمارات . . فكانت التنمية عكسية بفعل زيادة الاستهلاك والتمادي في المطامع والتطلعات الكمالية .

ان واجب الشعب كله . والدعاة الاشتراكيين بوجه خاص هو نشر الوعيين : الاستهلاكى ، والادخارى .

❖ قصة الاستعمار والصهيونية

لو تصفحنا الميثاق لوجدناه يركز دائما على ضرورة القضاء على الاستعمار . . فمبادئ الثورة الستة : المنصوص عليها في الباب الأول منه مثلا ، أولا : « القضاء على الاستعمار وأعوانه » .

كذلك الباب التاسع المتعلق بالوحدة العربية ، والباب العاشر الذي يرسم سياستنا الخارجية أيضا ، جعل « الحرب ضد الاستعمار والسيطرة » أول أهدافنا في المحيط الدولي .

وقد يتساءل متسائل . . ألا يكفي أن دحرناه ، وفي البحر عن أرضنا طردناه وألقيناه ؟

لماذا نتعقبه بالصيحات والضربات أينما اختفى في كل ركن من أركان العالم وزواياه ؟

لماذا نحشد له القوى العربية ، والجامعة الأفريقية ، ومجموعة الدول الأفريقية والآسيوية ، ودول عدم الانحياز ، ورابطة الشعوب الإسلامية ، وضمير الأمم المتحدة ، كلها - حول مبدأ القضاء على الاستعمار ، نكشف أقنعتة المتعددة وصوره المتجددة ونقودها في صراع عنيف مستمرة ضده ؟

الرد في غاية البساطة وله عناصر عدة أهمها : -

١ - معركتنا مع الاستعمار معركة حياة أو موت ، فاما نحن واما هو ، والاستعمار لا يقنع منا بالسلام ، ولا يرضى للشعوب الا الاستسلام ، ولا يكف عن تدبير الفتن والمؤامرات ليسود ويثري ، وتذل الشعوب وتفتقر .

٢ - ان رخاء العالم لا يتجزأ ، ولا رخاء بلا تحرر من السلب والنهب ، لذا قامت سياستنا على مساعدة الدول للتحرر من قبضة الاستعمار انعكاسا لسياستنا الداخلية ونجاحنا في جعل سياستنا الخارجية انطبعا لسياستنا الداخلية ، من شأنه أن يدعم مركزنا الدولي ، ويعزز موقفنا الاقتصادي ، ويغذي أسباب تقدمنا في الداخل .

فلولا نجاح سياستنا الخارجية ، لما أمكننا بناء السد العالي ، ولما حصلنا على السلاح ، ولما كسرنا حصار القمع الذي أرادت أن تفرضه علينا أمريكا فحصلنا عليه من روسيا والمكسيك والأرجنتين ، بل ومن الولايات المتحدة نفسها التي ظنت أنها تستطيع ان تضغط على أنفاسنا بالرغيف ، فنخر عند أقدام توجيهاتها صاغرين .

٣ - الاستعمار له مع مصر بالذات ، ومع الأمة العربية عامة - قصة

بدأت بأوضح صورها ، بالتستر في ظلال الصليب ، ثم آلت الى التنكر في ثياب الأفاقين من أبناء صهيون . . وستنتهى بأذن الله حتماً - بعد أن سقطت الاقنعة الى زوال الاستعمار وصوره ومواقعه .

منذ ضم ميناء الوجهين القبلي والبحري وأنشأ أول حكومة مركزية في العالم . . منذ ٤٥٠٠ سنة وهي تتعرض لغارات القبائل الجائعة ، ثم تتطور الغارات بمرور الزمن الى غزوات الاستعمار المتلاحقة ، طمعا فيما أنعم الله به على أرض الكنانة :-

(أ) خيرات النيل ، فهو ثاني أنهار العالم ، وتبلغ كمية مياه اليوم الواحد من أيام التحريق ١٢٠٠ مليون متر مكعب ، أي بما يماثل تصرف نهر الأردن وروافده السبعة في سنة كاملة .

(ب) الطقس المعتدل الجميل .

(ج) موقع جغرافي فريد ، واستراتيجي نادر ، يعتبر أهم مراكز القوى السياسية والتجارية والحربية في العالم .

ومن الغريب أننا كنا دائما نستخدم هذا الامتياز في الخير وفي الموقع كمنارة حضارية تنشر أضواء المدنية والتقدم على الدنيا بأسرها ، وكينبوع يتدفق منه العلم والمعرفة والقيم الروحية على مشارق الأرض ومغاربها وبخاصة حينما كانت تتحد المنطقة كلها مثلما حدث في عهد الامبراطورية الفرعونية ، ثم في عصر الامبراطورية الاسلامية العظيمة في حين أن الاستعمار كان في حالات تفكك هذه الوحدة ، يستخدم هذا المركز لاذلال الشعوب وخنقها ، والسيطرة عليها ، ونشر الجوع والظلم والظلام في ربوع العالم .

وهذا يوضح حقيقة هامة ، وهي أننا لم نكن مجرد هدف للاستعمار فحسب ، ولكن استعمار أراضيها كان وسيلة لاستعمار بلاد أخرى كثيرة وضمان وجودها في قبضته ويزيد هذه الحقيقة اثباتا أن تحررنا بثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كان المقدمة التاريخية الضرورية التي أطلقت الشعوب من اسار العبودية ، وأدت الى تقلص الاستعمار .

والاستعمار نفسه كان يتوقع ذلك ، ويعد لهذا اليوم عدته منذ زمن بعيد ، وقد خطط له ، فماذا دبر ؟؟

من أطوار الاستعمار :

يمكن تقسيم تطور الاستعمار من حيث علاقته الى مرحلتين : -

١ - مرحلة سباق :

انقسم العالم منذ القرن السابع عشر الى دول تستعمر وأخرى مستعمرة . فكانت انجلترا ، وفرنسا ، وهولاندا ، وبلجيكا ، والبرتغال ، وكلها دول أوربية - تستعمر أغلب آسيا وأفريقية وكل استراليا ، وتم لها ذلك في القرن التاسع عشر . حين ذاك تفشت شهوة مسعورة للاستعمار ، بدرجة أن المستعمرين كانوا يتسابقون نحو الجزر المهجورة المقفرة - كل منهم يسعى لألوية رفع علمه على احدى رباهها لاثبات حقه فيها .

ومن المهم أن نذكر انه ما انتهت الحرب الامريكية حتى حذت الولايات المتحدة حذو الدول الاوربية الاستعمارية الخمس لكن في أمريكا الجنوبية ، وان ايطاليا وألمانيا جربتا حظهما في لعبة الاستعمار فأخفقتا .

وكان الاستعمار يومئذ في شكله التقليدي القديم ، ينزل الى البلاد العذراء بجيشه ، يستنزف ثرواتها المادية والبشرية . . الثروات المادية يغتصبها بثمان بخس أو بلا ثمن ، يصنعها ويعيدها الى نفس الدول ويفرضها بأثمان باهظة . . والثروات البشرية يستخدمها وقودا عماليا بأرخص الاجور تحت أقسى ظروف عمل ، أو وقودا لحروبهم الخاصة حتى قال المصريون في ذلك خلال الحرب العالمية الثانية : « ان الانجليز يحاربون لآخر جندي هندي أو استرالي أو نيوزيلندي . . وان الفرنسيين يحاربون لآخر جندي سنغالي . . » .

٢ - مرحلة اتفاق :

وفي بداية القرن العشرين حدث اتفاق ودي بين دولتين من الدول الخمس ، وهما انجلترا وفرنسا . اتفقتا على ألا يصطدما في افريقية وأن يقتسما هذه القارة مناصفة : لانجلترا القسم الشرقي ، وفرنسا القسم الغربي وكانت الاولى تفخر بأن المسافر من القاهرة الى الكيبوتون يخترق بلادا ترفع العلم البريطاني ، وكانت الثانية تتباهى بأنه فيما بعد البحر الابيض جنوبها . . من الجزائر حتى جنوب افريقية دول ترفع العلم الفرنسي .

حدث هذا الاتفاق الثنائي على تقسيم ما أسموها بالقارة السوداء الى منطقتي نفوذ عام ١٩٠٤ ٠٠ ولم يكن هذا الاتفاق الا بداية لاتفاق جديد بين الدول الاستعمارية الخمس الكبرى آن ذاك ٠ وهو اتفاق بالرمان عام ١٩٠٧ ٠ وهو اتفاق لو تعلمون خطير ٠٠ انه بالنسبة للاستعمار اتفاق ، أما بالنسبة لنا فهو حجر الزاوية في المؤامرات الاستعمارية التي حيكت ضدنا ، والتي تناضل من أجل القضاء على آخر معقل لها ، في فلسطين ٠٠ فما مؤامرة بالرمان هذه ؟

اتفاق بالرمان عام ١٩٠٧ :

في هذا العام اجتمعت لجنة فنية من مختلف علماء تلك الدول الخمس المتخصصين في علوم الآثار ، والسياسة ، والاقتصاد ، والجغرافيا ، والتاريخ ، وعلم الاجناس ، وكل ما من شأنه أن يخدم الفكرة الاستعمارية ٠ واستمر اجتماعهم في لندن ثلاثة شهور متوالية يدرسون مستقبل الاستعمار ووسائل تحقيق أهدافه ، وتدعيم قوته وبقائه ٠ وافتتح «كاتيل بالرمان» الاجتماع الاول بما يلي :-

« أيها السادة ٠٠ ان الامبراطوريات تتكون ، وتتسع ، ثم تستقر الى جد ما ٠٠ ثم تنحل رويدا ، ثم تزول ٠٠ والتاريخ مليء بمتل هذه التطورات ٠٠ وهو لا يتغير بالنسبة لكل نهضة ولكل أمة : فهناك امبراطوريات روما وأثينا والهند والصين ، وقبلهما بابل وآشور والفراعنة وغيرهم ٠

فهل لديكم ما يحول دون السقوط والانهيـار ، أو تأخر مصير الاستعمار الاوربي ، وقد بلغ الآن دوره ، وأصبحت أوربا قارة قديمة ، استنفدت مواردها وشاخت معالمها ، على حين ان العالم الآخر لا يزال في شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية ؟

هذه هي مهمتكم أيها السادة ، وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا » ٠

بهذه الروح ، ولهذا الهدف اجتمعت لجنة بالرمان بجهابذتها وأساطينها ودرست ظروف الامبراطوريات الاستعمارية القديمة وعوامل سقوطها ، دراسة علمية تحليلية شاملة عميقة ، وخرجت بالنتائج الآتية:-

نتائج دراسة لجنة بالرمان :

١ - بالنسبة لآسيا ، فانه لا يوجد خطر مباشر أو قريب على الاستعمار ، لانها ، على حد زعم الاستعمار - مقيدة بمشاكل خطيرة تربطها به عمرا طويلا وهي مشاكل التزايد الهائل في عدد السكان ، والفقر المدقع ، وتعدد الاديان ، والعنصرية الحادة ، وقسوة المناخ .. ومع ذلك يمكن الاحتياط عن طريق تقسيم البلاد ، لاثارة الشقاق بين الشعوب .

٢ - بالنسبة لافريقية : فانها قارة مظلمة ، عذراء ، لا تعلم ولا ثقافة ، ولذا فلن تستطيع النهوض على قدميها ، ولن تنفك من رباط الاستعمار حتى لو منحت الاستقلال ، لما تقدم من أسباب ، ولأسباب أخرى سياسية ومعنوية .

٣ - الخطر الوحيد على الاستعمار يكمن في منطقة البحر الابيض المتوسط للأسباب الهامة الآتية :-

(أ) انها همزة الوصل بين الشرق والغرب .

(ب) انها مهد الأديان والحضارات .

(ج) يعيش في شواطئها الجنوبية والشرقية بوجه خاص ، شعب واحد توافرت له وحدة التاريخ والدين واللسان ، وكل مقومات التجمع والترابط والاتحاد .. فضلا عن نزعاته الثورية الطبيعية .

(د) اذا دخلت هذه المنطقة الوسائل الفنية الآلية الحديثة ، ومكتسبات الثورة الصناعية الاوربية ، وانتشر التعليم ، ودعمت الثقافة - فستحل الضربة القاضية حتما بالاستعمار .

هذا هو تحليل لجنة « بالرمان » للشرق الاوسط .. للبقعة التي نعيش فيها . فماذا كان اقتراحها لرد القضاء والقدر ؟

اقتراح لجنة بالرمان :

ويتكون من نقطتين سوداوين :-

١ - أن تعمل الدول الاستعمارية ، ذات المصالح المشتركة ، على استمرار تجزئة هذه المنطقة ، وتأخرها ، وإبقاء شعبيها على ما هو عليه من تفكك ، وتناحر ، وتأخر .

٢ - ضرورة العمل على فصل الجزء الافريقي من هذه المنطقة ، عن جزئها الآسيوى ، وذلك بإقامة : « حاجز بشرى قوى ، وغريب ، يفصل الجسر البرى الذى يربط آسيا بافريقية ، ويربطهما معا بالبحر الابيض المتوسط ، بحيث يجب أن يعيش فى هذه المنطقة ، وعلى مقربة من قناة السويس ، قوة صديقة للاستعمار .. عدوة لسكان المنطقة » .

وهكذا انتهت علاقات الدول الاستعمارية الى اتفاق علينا . وانقضت نوبات الصراع التى تمثلت فى حرب الاسطول الانجليزى بقيادة نلسن لسفن الحملة الفرنسية على مصر فى أبى قير .. انها لم تتكرر فى التاريخ .. فتاريخهم كله اتفاق على أرواحنا وأموالنا وأقواتنا .. فى الحرب الصليبية دحرناهم .. وفى اليونان تكالبوا على أسطولنا ، وضغطوا على محمد على لترتد جيوشنا عن تركيا والشام ، لانهم جميعا يخشون وحدتنا وقوتنا .

ويزيد المعركة اليوم ضراوة ، أن وضعنا الاستراتيجى جعلنا القابضين على عنق الزجاجة التى يتدفق خلالها كل ما تحتاجه أوروبا من خبز وخامات فى الجيئة وسلع فى الذهب .. ويزيد البترول الامر تعقيدا وخطورة .. ولم يعد الامر بالنسبة للاستعمار تباها برفع العلم على المستعمرات والجزر والقنصليات والسفارات والقطع البحرية، وما الى ذلك مما كان عن خرافة الامبراطورية التى لاتغرب عن أملاكها الشمس .. ان قوتنا تشكل خطرا ساحقا على حياة الاستعمار .. لانه يحيا على امتصاص دم الشعوب ، وهذا يخالف مبادئنا فلا نرضاه .

ولهذا تمخض مخطط « بالرمان » عن الاتفاق علينا ، وعن البحث عن الحاجز البشرى القوى الغريب ، الذى يمكن أن يقيمه الاستعمار ليفصل بين جزأى المنطقة : الافريقي والآسيوى .. وهنا تصافح الاستعمار مع الصهيونية وتحاضنا .. كيف كان ذلك ؟

ان الامر يدعونا الى العودة الى الوراء .. الى الحديث عن طبيعة الصهيونية أيضا وخصائص اليهودية .

لمحة عن تاريخ اليهودية :

اليهودية هى أقدم الديانات . سبقت المسيحية والاسلام .. وكانه اليهود يعيشون فى كل بلاد العالم .. لكن الدين اليهودى أصابه تحريف

كامل بعد أن استعاضوا عن التوراة والتلمود البسبلي . . بالتلمود
الاورشليمي الذي ينقسم الى جزأين : -

١ - المشنى :

وينظم أحوال اليهود من حيث الزواج والطلاق والارث والطقوس.
الدينية .

٢ - الجمارة :

وينظم النواحي السياسية . . وينص على مبادئ غريبة فاسدة ،
من تحريف الحاخامات وتخريفهم ، يرجع اليها السبب في كل ما يلاقه
اليهود من بعض الشعوب نتيجة لسوء طبيعتهم وخسة خصالهم.
وسلوكلهم . . فمن بين ما جاء بالجمارة مثلا :-

(أ) أن اليهود هم شعب الله المختار ، وماعداهم من الديانات الاخرى . .
حيوانات .

(ب) « لا شغل لله في الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة في مدرسة
السماء »

(ج) تحت عنوان «خطيئة الله» . . الله يندم على تركه اليهود في حالة
من التعس ، حتى انه يلطم ويبيكي كل يوم ، فتسقط من عينه
دمعتان في البحر ، فيسمع دويهما من بدء العالم الى نهايته ،
وتضطرب المياه ، وترتجف الارض ، فتحصل الزلازل .

(د) ارواح اليهود والنصارى : كل الارواح ، خلقت في الايام الستة
الاولى للخليقة ، ثم وضعها الله في المخزن العمومي في السماء .
ويخرج منها كلما حملت امرأة - ولدا ، وخلق الليلة ٦٠٠ ألف
تأويل ، وكل تأويل يختص بروح من هذه الارواح ، وتتميز ارواح
اليهود عن باقي الارواح ، بأنها جزء من الله كما ان الابن جزء من
أبيه ، ومن ثم كانت ارواح اليهود أعز على الله من باقي الارواح . .
لان ارواح غير اليهود هي ارواح شيطانية .

(هـ) ان الاسرائيلي يعتبر عند الله أفضل من الملائكة . . فاذا ضرب أممي
اسرائيليا ، فكأنه ضرب العزة الالهية . (الاممي هو غير اليهودي) .

(و) الفرق بين اليهودى والاممى هو الفرق بين الانسان والحيوان .

(ز) الارض ملك لليهود .

(ح) رد الاشياء المفقودة ممنوع على اليهود .

(ط) قتل غير اليهود مباح لليهود .

(ي) وغير ذلك فيما يتصل بالمرأة والربا وسفك الدماء مما حرقه

الحاخامات ، ولا يمكن أن يكون ديننا بأى حال من الأحوال . .

وفيما يتعلق بالقتل مثلا فقد جاء فى التلمود ما نصه :

« يقول يهوذا « الله » اذا دخلت مدينة ، لا يفتك أن تقتل سكانها

بحد السيف ، وأن تستأصلهم ، وأن تبعد كل ما يكون فى تلك المدينة ،

وأن تذبح حتى بهائمها » .

أين هذا من قول الله سبحانه وتعالى : « ادفع بالتي هى أحسن

فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

وقول أبى بكر فى وصاياہ لجيوش المسلمين ؟ « لاتخونوا ، ولا

تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا ناقة ، ولا تحرقوا

نخلا ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للمأكلى . . وسوف تمرون

بأقوام فرغوا أنفسهم فى الصوامع ، وهم الرهبان والقسيسون ،

فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » .

وقول عمر بن الخطاب لأمان اهل القدس : « هذا ما أعطى عبد الله

عمر أمير المؤمنين لأهل الياس . . الامان لأنفسهم ، وأموالهم ، وكنائسهم،

وصلبانهم ، وصلاتهم . لا تسكن كنائسهم ولا ينتقص منها ولا من غيرها

ولا من شئ من أموالهم . . ولا يكرهون على دينهم . . ولا يضار أحد

منهم . . ولا يسكن معهم أحد من اليهود » .

هذا هو الاسلام وتعاليمه . فماذا عن تعاليم التلمود . . وكيف يصف

دخول اليهود مدينة أريحا بجنوب الاردن عام ١١٨٦ قبل الميلاد ؟

لقد نص التلمود فى سفر يشوع :-

« استولوا على أريحة ، وأحرقوها ومن فيها عام ١١٨٦ قبل الميلاد ،

واهتكوا جميع ما فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ ، وحتى البقر

والغنم والحمير ، بحد السيف ، وأحرقوا المدينة وجميع من فيها بالنار .
• الا الذهب والفضة وآنية النحاس ، لانهم جعلوها فى خزانة الرب » .

التعصب الأعمى ، وكراهية جميع الشعوب والاجناس غير اليهودية .
الكبرياء والتعظيم والتفوق فى أحياء وحارات خاصة أينما كانوا ، حتى
فى نيويورك تجد « حارة يهود » خاصة بهم ، وفى لندن أيضا حيث
يعيشون فى عزلة لا يختلطون بغيرهم لانهم يعتقدون أنهم الأرقى . . ولهذا
تكرههم الشعوب وتطردهم فيعيشون مشردين فى الأرض .

انجلترا طردتهم عام ١٢٦٥ وصادرت ثروتهم ولم تسمح لهم بالعودة
• الا عام ١٦٥٥ .

• سكسونيا طردتهم عام ١٣٤٦ .

• المجر طردتهم مرتين : عام ١٣٦٠ وعام ١٥٨٢ .

• بلجيكا طردتهم عام ١٣٤٦ .

• تشيكوسلوفاكيا طردتهم مرتين : عام ١٣٨٠ وعام ١٧٤٤ .

• النمسا طردتهم عام ١٤٢٠ .

• هولندا طردتهم عام ١٤٤٤ .

• ليتوانيا طردتهم عام ١٤٦٥ .

• البرتغال طردتهم عام ١٤٦٨ .

• بلغاريا طردتهم عام ١٥٥١ .

• ايطاليا طردتهم عام ١٥٤٠ .

• روسيا طردتهم عام ١٥١٠ .

• الدانمرك لم تسمح لليهود اطلاقا بدخول أرضها الا عام ١٨١٤ .

أسبانيا لم تطرد اليهود الا بعد خروج العرب منها . وكان عددهم
٢٠٠ ألف ، هاجروا منها الى الشرق والمغرب العربى وتركيا واليونان . .
طردوا من هذه الدول لانهم لا يتكيفون مع الشعوب التى يعيشون معها
ولان مبادئهم وسلوكهم وأخلاقهم تسبب صداعا للدول التى ينزلون بها .

عداؤهم للمسيحيين :

ان عدااء اليهود للمسيحيين معروف ، ويرجع تاريخه الى عام ٢٧ الميلادى ، حين كان يبشر المسيح بتعاليم الدين الجديد . ووشى اليهود به عند الحاكم الرومانى «بيلاطى البونطى» بأنه يعمل ضد الدولة الرومانية، وضد كل التقاليد المعروفة ، ويحاول تحطيم النفوذ الرومانى فى القدس وفى المنطقة كلها . وكان أحد تلاميذ السيد المسيح الاثنى عشر وهو « يهوذا الاسخريوطى » قد وشى لدى الحاكم الرومانى فى ليلة العشاء الكبير ، فقبض عليه وسجنه مع مجرم خطير سفاح اسمه «باراباس» .

وكانت تقاليد الرومان تقضى باطلاق سراح أحد السجناء فى العيد الكبير ولم يكن بالسجن ليلتئذ الا السيد المسيح والسفاح ، فكان من العدل ومن الطبيعى أن يطلق سراح السيد المسيح . . ولكن «الفريسيين» أى يهود القدس ، أصروا على اطلاق سراح السفاح واعدام المسيح .

ولذا حق عليهم ما جاء فى الاصحاح التاسع عشر من قول المسيح عنهم « انهم أولاد الأفاعى يدعون » .

والاصحاح ٢٧ من انجيل متى ينص على هذا الحادث بما يلى :-

« وكان الوالى معتادا فى العيد أن يطلق للجمع أسيرا واحدا من أرادوه . . وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمى باراباس . فقيمهم مجتمعون ، قال له بيلاطى : من تريدون أن أطلق لكم ؟ باراباس أم يسوع الذى يدعى المسيح ؟ واذا كان جالسا على كرسى الولاية ، أرسلت اليه امرأته قائلة : اياك وذاك البار، لانى تأملت اليوم كثيرا فى حلم من أجله . . ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ صرخوا فى الجموع على أن يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع فأجاب الوالى وقال لهم : من من الاثنين تريدون أن أطلق لكم ؟ فقالوا باراباس . قال لهم بيلاطس : فماذا فعل يسوع الذى يدعى المسيح ؟ قال له الجميع : ليصلب ، ليصلب قال الوالى : وأى شر عمل ؟ فكانوا يزدادون صراخا قائلين : ليصلب . فلما رأى بيلاطس انه لاينفع ، بل يحدث شغباً ، أخذ ماء ، وغسل يديه قدام الجميع قائلاً انى برىء من دم هذا البار ، وأبصروا أنتم . فأجاب الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا من بعدنا . . حينئذ أطلق لهم باراباس ، وأما يسوع ، فجلده وأسلمه ليصلب » .

هذا نص دينى يدل دلالة واضحة على أخلاق اليهود وفساد

عقائدهم .. ومن المعروف تاريخيا أن اليهود يحيون حفلاتهم بخطط
شخص مسيحي وامتصاص دمه .

وفى التلمود نص عن السيد المسيح هو : «أن يسوع موجود تحت
الجات الجحيم بين القار والنار ، وأن مريم أمت به من العسكرى دندارا
الرومانى بمباشرة الزنا .. وأن الكنائس النصرانية هى قاذورات ، وأن
الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة » .

هذا هو رأى اليهود فى المسيحيين .. أما رأينا فى المسيح رضى الله
عنه فى سورة مريم فشرف ومعروف .

وهذه هى طبيعتهم ولؤمهم ، وسر اضطهادهم فى جميع المجتمعات
التي عاشوا فيها خلال القرون الماضية الى أن حدث حادث غريب عام ١٨٩٤
تمكن اليهود من استغلاله لعمل رأى عام قوى فى بلد كبير كفرنسا .

وينبغى قبل أن نتعرض للنشاط الصهيونى ، والى حادث دريفوسى ،
وما تلا ذلك أن نؤكد أن ظهور المسيح لم يكن له دخل فى اضطهاد اليهود ،
ولا كان لتأليبهم حاكم القدس الرومانى عليه أثر فيما تقابلهم به
الشعوب والحكومات من اشمئزاز ونفور .

فالثابت أن الرومان حينما احتلوا فلسطين ، شردوا من اليهود
٦٠٠ ألف . اتجه بعضهم مشرقا واستقروا فى مملكة بابل (العراق)
وزحف بعضهم غربا الى مصر وشمال افريقية ثم عبروا مضيق جبل طارق
وأسبانيا ومنها انتشروا فى أوروبا . والبعض الآخر هاجروا شمالا الى
أرمينيا وجنوب روسيا .

وحيثما حلوا جروا على أنفسهم المقت بعقائدهم العفنة وخاصة
ما يتعلق منها بالكفر والتمييز العنصرى والشراسة فى جمع المال بأقذر
الوسائل لتحقيق غايات دنيئة . وبرغم ما لوثوا به صفحات التاريخ من
جرائم الغدر والخيانة واللؤم ، وما قابلوا به الدعوة الإسلامية من كيد -
الا أن الحكم الإسلامى فى كل زمان ومكان كان يعاملهم أكرم معاملة ،
لأن الإسلام يدعو بطبيعته الى معاملة الاديان السماوية الاخرى بالحسنى
والرعاية والذمة ، ولكن اليهود كانوا دائما يكونون جمعيات خاصة بهم ،
يمارسون أنشطتهم المسمومة ، ويسعون الى التكتل والى البحث عن وطن
قومى فى رقعة ما من كوكب الارض دون تحديد .

تطور الحركة الصهيونية :

وقد أمكن لهذه الجمعيات اليهودية المتناثرة في أوروبا أن تعقد أول مؤتمر يهودى عام ١٨٨٤ فى مدينة أودسا على البسحر الاسود برياسة الكاتب الروسى «بنسكر» وظلت مدينة أودسا مقرا لهذا الاتحاد اليهودى حتى لمع اسم الصحفى النمساوى «تيودور هارتسل» على أثر ذبوع شهرة كتابه «الدولة اليهودية» الذى كتبه عقب اعادة محاكمة الضابط الفرنسى اليهودى «دريفوسى» وتزعم «هارتسل» هذه الدعوة لأول مؤتمر صهيونى عالمى ، فانعقد بمدينة «بال» بسويسرا فى ١٨٩٧/٨/٢٩ .

جريمة دريفوس :

كان «دريفوس» ضابطا برتبة نقيب فى هيئة أركان حرب الجيش الفرنسى ، ضبط متلبسا بتسليم خطة الهجوم الفرنسى على ألمانيا ، الى المخابرات الألمانية ، واعترف بخيائته ، فحكم عليه بالاعدام .

غير ان اليهود كعادتهم - لجئوا الى قلب الحقائق ، وأثاروا الرأى العام الفرنسى ضد هذه المحاكمة ، بوساطة بعض مشاهير الكتاب ، وفى مقدمتهم «اميل زولا» الذى عمد الى نشر فضائح الحكام الفرنسيين تحت عنوان « مقالات جاكىوس .. انى أتهم » .

وتحت تأثير هذا الضغط وهذا التهديد أعيدت محاكمة المجرم المعترف ، وأمكن تبرئته عام ١٨٩٦ . وهذا خلق رأيا عاما قويا لليهود فى فرنسا وحولها ، كما جعل اليهود يشعرون بقوة معنوية وقدرة على توجيه الرأى العام .

مؤتمر بال الصهيونى :

ولم يمض عام على هذا الحادث حتى دعا « هرتسل » الى مؤتمر صهيونى عالمى كبير فى مدينة «بال» بسويسرا حضره ٢٠٠ مندوب من جميع أنحاء العالم ، ومنهم مندوبان من مصر وباقي الدول العربية .

وكان الغرض من هذا المؤتمر هو وضع حجر الاساس لوطن يجمع شمل اليهود فقد افتتح هرتسل المؤتمر بقوله :

وانتهى المؤتمرين أو المتآمرون الى قرارات خطيرة أهمها :-

١ - العمل على تحقيق رغبة اليهود فى انشاء وطن قومى رسمى لهم .
٢ - العمل على تقوية الروح العنصرية اليهودية بوسائل أهمها جعل اللغة العبرية (اليهودية) هى اللغة الموحدة التى يتحدث بها اليهود فى جميع أنحاء العالم بالاضافة الى لغاتهم المحلية .

٣ - تنظيم جمعيات اليهود فى منظمات محلية ودولية أهمها «الكارين هايسود» أى صندوق السفر ، والغرض منه جمع اشتراك معين من كل يهودى استعدادا لترحيل الشباب الى الوطن القومى المنتظر . .
وكذا «الكارين كابنت» أى صندوق شراء الاراضى لليهود من غير اليهود .

٤ - الاستفادة من علاقات التنافس والصراع بين الدول واستغلال التناقضات بينها لتحقيق أهداف الصهيونية .

٥ - اقرار تصميم العلم الصهيونى والنشيد القومى .

واختتم هرتسل المؤتمر بقوله : « اليوم أنشأنا الدولة اليهودية »

الاتجاه نحو فلسطين : من الواضح أن قرارات مؤتمر «بال» الصهيونى لم تحدد صراحة أرضا معينة للوطن القومى اليهودى المنتظر . . ولكن منذ ذلك التاريخ بدأ الحاخامات يعيدون الى الأذهان أسطورة جبل صهيون ، تلك الأغنية التى كان يرددوها يهود العراق قديما بعد أن طردهم الرومان من فلسطين .

« هناك على أنهار بابل جلسنا وبكىنا عندما تذكرناك يا صهيون .

وعلى أشجار الصفصاف علقنا أعوادنا ورفضنا أن نغنى لمن سبونا .
كيف نغنى أغنية الرب فى أرض غريبة .

لتنسينى يا يمينى اذا نسيتك يا أورشليم » .

وأضيفت هذه الاغنية الى ترانيم العبادات فى المعابد ، كما صارت عبارة « الى اللقاء فى أورشليم » هى التحية التى يتبادلونها . . وبدأ الحاخامات يعلنون شرائع تلمودية غريبة منها أن المرأة التى ترفض السفر مع زوجها الى فلسطين تعتبر طالقا كما أن العكس صحيح .

وظلوا فى مؤتمراتهم الصهيونية السنوية يبتدعون بروتوكولات شاذة رهيبه ، ان دلت على شئ ، فعلى أن هذه الطغمة الشريرة ، تدبر

جريمة دنيئة ، أساسها دفع البشرية بنذالة ووحشية الى حرب عالمية تشيع الخراب والدمار . . وفي سبيل ذلك تستخدم وسائل افساد الأخلاق ، والتشكيك فى القيم الدينية، وفساد النظم الادارية والسياسية والاقتصادية وتفتيت القوميات والتكتلات ، والقضاء على كل الاجناس غير الاسرائيلية ، ليخرب العالم ويبقون وحدهم على تله ، باعتبارهم شعب الله المختار كما يدعون .

وفيما يلي بعض بروتوكولات مؤتمراتهم : -

١ - الذهب هو القوة التى لا تقاوم ، به نشترى الضمائر الصلبة ، ونملاً صناديقنا بالذهب فنصبح أسياد الجميع .

٢ - علينا أن نفسد الشباب باحلال العقلية الرياضية والرغبات المادية الجسدية محل العقائد الدينية والخلقية .

٣ - لا بد أن نقضى على كل دين غير ديننا ، وان ظهور ملحدين معاصرين لا يتعارض مع أهدافنا .

٤ - علينا أن نبذر بذور الشقاق بين الشعوب غير اليهودية ، ونوجد التعارض بين المصالح الفردية والمصالح القومية عندهم ، ونثير الاحقاد الدينية ، والكراهية الجنسية العنصرية ، نغرسها وننميها فى قلوبهم .

٥ - نضلل عقول شبابهم ، ونفسد أخلاقهم ، بنظريات زائفة نختلقها ، ليتوهوا فى حيرة لا مخرج لهم منها .

٦ - اذا أشعنا فى غير اليهود الخلافات والحصومات والمنازعات والمجاعات ، وأرهقناهم أيقنوا ألا مخرج لهم من محنتهم الا بالالتجاء الى مالنا وقوتنا . واضطروا الى تخويلنا سلطة دولية تيسر لنا الاستيلاء على جميع السلطات الحكومية فى العالم فنكون حكومة مثالية فوق مستوى الحكومات الأخرى .

واجتمع المؤتمر الصهيونى العالمى عشر مرات فيما بين عام ١٨٩٧ وعام ١٩٥٧ ينقل هذه المبادئ الجهنمية الهدامة الى حيز التنفيذ فى المحيط الدولى . ثم يسفر مؤتمر بالرمان عام ١٩٠٧ عن أن الضمان الوحيد لاستمرار الاستعمار هو ايجاد قوى بشرية غريبة صديقة للاستعمار عدوة لشعوب الشرق الأوسط ، ووضعها لتعيش بجوار قناة السويس لتفصل الشرق العربى فى آسيا ، عن المغرب العربى فى افريقية ، وتقسم العرب

قسمين : عرب الشرق وعرب الغرب ، وتقسم المسلمين نصفين : مسلمي الشرق ومسلمي الغرب .

وما انفضت لجنة بالرمان حتى قال « حايم وايزمان » جملة المشهورة : « لندن هي أقصر طريق الى فلسطين » . ذلك أن أهداف الاستعمار والصهيونية أهداف مشتركة تتركز في احتلال فلسطين والعداء نحو الشعوب العربية .

وايزمان والشيطان : وكان دكتور وايزمان هذا روسي المولد ترأس الحركة الصهيونية بعد هرتسل ، يتحالف مع الشيطان في سبيل هدفه . فما أن انتهت لجنة بالرمان حتى انتقل ليعيش في لندن واشتغل استاذاً بجامعة مانشستر . وأخذ يتعرف بكبار الشخصيات البريطانية البارزة أمثال : بلفور ، وادوارد جراي ، ولويد جورج ، وونستون تشرشل ، وغيرهم . وصار يحبب اليهم فكرة شغل هذه المنطقة باليهود ، ويؤكد لهم مزايا تضامن الاستعمار مع الصهيونية من ولاء ووفاء للاستعمار ولأهدافه ومخططاته .

وبدت نذر الحرب العالمية الأولى تلبد سماء العالم ، ولم يكن غير الله يعلم أي المعسكرين ينتصر في تلك الحرب الوشيكة : انجلترا وفرنسا من جانب ، أم ألمانيا وتركيا في الجانب الآخر ؟

ولم يضيع « وايزمان » الوقت فاتصل « بغليوم » امبراطور ألمانيا ، يطلب فيه وعداً بالتمكين للصهيونية من فلسطين في حالة انتصار ألمانيا نظير ما يأتي : -

١ - أن تقف الصهيونية شوكة في جنب بريطانيا في الشرق الأوسط .

٢ - أن تساعد ألمانيا على مد الخط الحديدي الذي طالما تمت ألمانيا مده الى بغداد .

٣ - ان تعمل على تدعيم الثقافة الألمانية في الشرق العربي .

واقترح غليوم فأرسل « الجنرال ليومان فون تاندرز » رئيس البعثة الألمانية في تركيا ، مع دكتور وايزمان ، ليوصي السلطان عبد الحميد خيراً بآمال صهيون . ودخل وايزمان بذقنه الطويل الى حيث السلطان . وقبل الأرض خمس مرات عند أقدامه . وطلب من مقامه العالي بقعة أرض في فلسطين نظير أن تؤدي له الصهيونية ما يأتي : -

١ - مليون دولار منحة •

٢ - أسطول بحرى لتركيا •

٣ - انشاء جامعة فى القدس يستعيز بها شباب العرب عن التعليم فى أوروبا •

هذا علاوة على عروض أخرى مما يعلمون أنها كانت تغرى السلطان عبد الحميد الذى كان قد أفرغ خزانته فى ملذاته وولعه بالنساء .. لكن السلطان لم يرقه شكل ذلك اليهودى • فطرده ، وردده خائبا ، برغم ما ترتب على ذلك من استياء صديقه غليوم •

الخدعة الانجلو فرنسية :

وقامت الحرب العالمية الأولى ، وما انتصف عام ١٩١٦ حتى ساءت حال انجلترا وفرنسا الى اقصى حد فى الميدانين الشرقى والغربى .. وبدأت بوادر الهزيمة محققة تحقيق بهم .. فلم يجدوا مناصا من الاستغاثة بالعرب .. وتولى « هنرى مكماهون » المعتمد البريطانى فى مصر آن ذاك مهمة استنهاض العرب فى جانب انجلترا وفرنسا نظير استقلال الأمة العربية •

وتبادل مكماهون مع الشريف حسين أمير الحجاز آن ذاك • وأبو جد الملك حسين ملك الأردن ١٠ رسائل بهذا الشأن انتهت الى وعد من الدولتين بالاستقلال الناجز التام للدولة العربية الاسلامية الكبرى التى تمتد من جبال طوروس شمالا ، الى الحدود الجنوبية للسودان جنوبا ، ومن الخليج العربى والمحيط الهندى شرقا الى المحيط الأطلسى غربا •

وكانت رسائل مكماهون الانجليزى الى الشريف حسين العربى تنضج بالغش والخداع والرياء والملق والنفاق ، وكان يتولى نقلها بين الاثنين جندي أريب من سلاح الطيران البريطانى اسمه «لورانس» رقى الى ضابط ووصفته الدعاية البريطانية بأنه بطل من أبطال القومية العربية •

ويبدو الخداع واضحا فى الديباجة الآتية لاحدى الرسائل الانجليزية : -

بسم الله الرحمن الرحيم

الى ساحة ذلك المقام الرفيع، ذى الحسب الطاهر، والنسب الفاضل،
قبلة الاسلام والمسلمين ، معدن الشرف ، وطيب المحتد ، سلاله نفحة
الوحي المحمدى . . الشريف بن الشريف، صاحب الدولة ، السيد الشريف
حسين بن على ، أمير مكة المعظم زاده الله رفعة وعلاء - آمين .

بعد ما يليق بمقام الامير الخطير من الاجلال والاحتشام ، وتقديم
خالص التحية والسلام ، وتقبل الايام والاحترام +

وهكذا انخدع العرب ، وأعلنوا الجهاد المقدس ضد الأتراك ،
وانفصلوا عن جيش جمال باشا وأنور باشا فى الشام ، وتنصلوا من
خلافة آل عثمان ، ودفعوا ثمن الاستقلال والوحدة ، مالا ورجالا وقواعد
ومواصلات .

وأمن الانجليز والفرنسيون شر الهزيمة فى الميدان الشرقى ، فنقلوا
قواتهم الأساسية منه الى الميدان الغربى وانتصر الحلفاء بفضل ما أسداه
الجيش العربى من خدمات ومن أمانة بالميدان الشرقى .

وجاء وقت الوفاء بالوعد ورد الجميل ، وفوجئ العرب بأن الجزاء
لم يكن من نوع العمل . واكتشفوا أن انجلترا كانت تبذل لهم الوعود
بوجه مكماهون ، على حين أنها قد عقدت فى نفس الوقت ، وبعده بقليل ،
وثيقتين أخريين مضادتين مخيبتين للأمال .

معاهدة سايكس وبيكو :

فى نفس الوقت كانت انجلترا قد عقدت مع فرنسا معاهدة بتأكيد
التحالف فى الحرب ، والاتفاق على أن يتم تقسيم الدول العربية بينهما
بعد النصر بحيث ترزح سورية ولبنان تحت الحكم الفرنسى وتختص انجلترا
بفلسطين والعراق . ووقع على الاتفاقية عام ١٩١٦ كل من مارك سايكس
عن انجلترا ، وجورج بيكو عن فرنسا .

وعد بلفور :

وظل الزعيم الصهيونى فى بداية الحرب العالمية عام ١٩١٤ يوازن
بين القوتين المتصارعتين ليعرف أى الكفتين ترجح ليقفز اليها . . وكان
انضمام العرب الى الحلفاء ثقلا هاما يؤكد احتمالات نصر الانجليز

والفرنسيين . . فاعلن « وايزمان » انضمامه لجانب بريطانيا وتأييد اليهود
للمحلفاء . . ونالوا بذلك وعد بلفور المشئوم عام ١٩١٧ - وينص على منحهم
وطنا قوميا في فلسطين .

هذا الوعد عبارة عن خطاب من « آرثر بلفور » وزير خارجية بريطانيا
الى البارون « ادمون روتشيلد » رئيس الجمعية الصهيونية في بريطانيا
ومدير بنك روتشيلد في لندن يقول له ما نصه :

عزيزى اللورد روتشيلد

يسرني جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك ، بأن حكومة
جلالته تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في
فلسطين ، وستبذل أفضل جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية مع التأكيد
بعدم الاضرار بالحقوق المدنية أوالعرقية أوالدينية التي تتمتع بها الطوائف
غير اليهودية ، المقيمة في فلسطين الآن ، ولا الحقوق والمركز السياسى الذى
يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى .

خادمكم المطيع
آرثر بلفور

٢ نوفمبر ١٩١٧

والواقع أن رسالة بلفور هذه من الناحية القانونية غير ذات قيمة ،
لأن الأوطان لا تعطى بخطابات بين أفراد ولو كانوا أباطرة . . والحق أن
ابرع ما يصور لنا تلك الحالة ، هو قول الرئيس جمال عبد الناصر :
« لقد أعطى من لا يملك ، وعدا لمن لا يستحق ، ثم استطاع الاثنان :
من لا يملك ومن لا يستحق - بالقوة والخدعة - أن يسلبا صاحب الحق
حقه فيما يملكه وفيما يستحقه . »

تنفيذ المؤامرة :

وما ان انتهت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ حتى قامت اجراءات
اغتصاب القطعة المقدسة من الوطن العربى - على قدم وساق . وسارت
الاجراءات على خطين متوازيين .

١ - تدعيم السكان اليهودى وحقهم فى اقامة وطن قومى فى فلسطين على الصعيد الدولى :

(أ) حصل اليهود على منشور بتوقيع « جورج الخامس » ملك بريطانيا يتضمن الاعتراف بتأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين بالتدرج ٠٠٠ عام ١٩١٨ .

(ب) فى نفس العام تمكن الصهاينة من الحصول على تأييد لوعده بلفور من ٠٠ فرنسا وايطاليا وأمريكا واليابان .

وحتى هذه السنة لم يظهر من أمريكا ما يؤكد اشتراكها فى المؤامرة أو استجابتها ٠٠ ذلك أن الرئيس ويلسون استهجن هذا الاتجاه فى خطاب ألقاه فى يوليو ١٩١٨ جاء فيه النص التالى :

« ان الأماكن التى هى أكثر تقدسا عند المسيحيين هى مالها علاقة بالمسيح ٠٠ والأماكن التى يقدسها المسلمون ، غير مقدسة عند اليهود بل مكروهة ٠٠ اذن فلا يستطيع المسيحيون والمسلمون وضع تلك الأماكن تحت اشراف اليهود ٠٠ ثم هناك أماكن أخرى لها فى نفوس المسلمين مثل هذا الشعور . ولما كانت هذه الأماكن كلها مقدسة ومحترمة لدى المسلمين - كانت وصايتهم عليها فيما مضى أمرا طبيعيا ٠٠ فالذين ، يطلبون ضرورة فلسطين يهودية ، لم يحسبوا للنتائج حسابها ، ولا للشعور العدائى ضد الصهيونية فى فلسطين وفى جميع أنحاء العالم ٠٠ يجب العدول بتاتا عن الخطة التى ترمى الى جعل فلسطين دولة يهودية » .

ولكن هذا الرأى لم يعمر طويلا ولم تلبث أمريكا أن ساندت الصهيونية .

(ج) تقدم ممثلو الصهيونية العالمية الى مؤتمر الصلح فى ١٩١٩/٢/٣ بمذكرة يطلبون فيها :

١ - الاعتراف بالحق التاريخى لليهود فى فلسطين ، وحقهم فى اقامة وطن قومى لهم فيها .

٢ - وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى .

٣ - الاعتراف بوعد بلفور والعمل على تحقيقه .

(د) فى ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠ وقع الحلفاء مع تركيا معاهدة « سيفر » ونصت المادة ٩٥ منها على أن يعهد الى بريطانيا بالانتداب على فلسطين ومسئوليتها عن تنفيذ وعد بلفور تنفيذا لأحكام ميثاق عصبة الأمم .

(هـ) في ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ صادقت عصبة الأمم على مشروع القرار السابق على أن ينفذ اعتباراً من ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ . والحقيقة أن التنفيذ كان قد بدأ منذ خمس سنوات مضت . . منذ وضعت الحرب أوزارها بالنسبة للعالم ، لتقوم ضد الشعب العربي الأعزل في فلسطين .

٢ - عملية تهويد فلسطين داخليا :

بدأ ذلك بمنشور « جورج الخامس » ملك بريطانيا الذي استيقظ الشعب العربي في فلسطين ذات يوم من أيام عام ١٩١٨ ليجده ملصقا على جميع المنازل ودور الحكومة ومحطات السكك الحديدية ، مكتوبا بثلاث لغات هي : العربية ، والعبرية ، والانجليزية يعلن أن فلسطين ستحول تدريجيا الى اسرائيل .

كيف تم هذا ؟

كيف يمكن تحويل بلد عربي يسكنه شعب عربي الى بلد يهودي يحكمه اليهود ؟

(أ) عينت بريطانيا مندوبا ساميا يهوديا لها في فلسطين هو « سير هربرت صومويل » ويكفي أن نذكر أنه قال في محاضرة له في قسم الدراسات العليا بجامعة لندن ما نصه :

« ان الادارة البريطانية في فلسطين ستعمل على تشجيع الهجرة اليهودية ، الى فلسطين حتى يكون لليهود أمرهم بأنفسهم » .

وبالفعل نفذ « هربرت صومويل » سياسة الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية . بدأ الانتداب البريطاني ونسبة عدد اليهود في فلسطين الى مجموع السكان العرب ٦٪ . فاذا بهم عام ١٩٤٨ يمثلون ٣٥٪ . كان عدد العرب مسلمين ومسيحيين ٦٥٠ ألفا عام ١٩١٨ بينما اليهود ٥٥ ألفا فقط ومن الطبيعي أن صندوق التهجير (الكارين هايسود) لم يكن الا احدى الوسائل مما سيأتي ذكره بعد .

(ب) كانت ملكية أرض فلسطين عام ١٩١٨ موزعة على الوجه الآتي:

١/٢ ٥٢٪ للعرب

٤٥٪ للدولة

١/٢ ٢٪ لليهود

فأعطت حكومة الانتداب البريطانية للوكالة اليهودية ما للدولة
واقدره ٤٥٪ فصار اليهود يملكون ٤٧٪ ثم بدأت ترغم العرب على بيع
أراضيهم لليهود بطرق اقتصادية جهنمية تقوم على اشاعة الافلاس بينهم،
وامن ذلك :

١ - رفع معدل الضرائب في حالة القحط مع امتناع البنوك عن
اقراض العرب ، والمعروف أن الزراعة في فلسطين تقوم على المطر وتخضع
لظروفه .

٢ - منع تصدير المحصولات في حالة الرواج بقصد بوارها .

٣ - تحريم منح تراخيص اقامة مصانع للعرب وقصر هذا الحق على
اليهود وحدهم .

وبذلك تسربت غالبية الأرض الى اليهود بأرخص الأثمان ولعب
« الكارين كاينت » دورا كبيرا في ذلك .

(ج) أصدرت حكومة الانتداب الاستعمارية قرارا بتشكيل الوكالة
اليهودية ، وهي حكومة تتولى شئون اليهود ، بوساطة دوائر أو وزارات،
تمثل حلقة الوصل بين اليهود وحكومة الانتداب . ولم يسمح للعرب
بتكوين حكومة مماثلة .

(د) صدر قرار بأن اللغات الرسمية للبلاد ثلاثة هي على الترتيب :
العبرية لغة أولى ثم الانجليزية لغة ثانية ، فالعربية لغة أخيرة .
واستخدمت اللغات الثلاثة منذ عام ١٩١٨ وليس من عام ١٩٤٨ - على
النقود ، وطوابع البريد ، وأسماء الشوارع . وكانت العملة والطوابع
تحمل اسم فلسطين باللغة العربية و Palastine بالانجليزية واسرائيل
بالعبرية .

(هـ) تم تدريب اليهود على حرب العصابات بوساطة اخصائيين بريطانيين
كما تم تسليحهم ، في حين كان يحاكم بالاعدام وسط أهله وقريته ، كل
عربي يضبط معه ولو طلقة رصاص .

وبهذا الاسلوب تمكن اليهود من أن يحكموا حلقات المؤامرة بأن
جندوا في عام ١٩٣٩ حينما قامت الحرب العالمية الثانية - فيلقا يهوديا ،
قوامه ٨٠ ألف مقاتل من بينهم ٢٥ ألف امرأة ، انضموا لقوات الحلفاء ،
واكتسبوا خبرة حربية ممتازة .

ولما انتهت الحرب عام ١٩٤٥ لم يسلموا السلاح ولم يعودوا الى
أوطانهم المتفرقة، وانما توجهوا بأسلحتهم وذخيرتهم، على أسطول بريطاني
الى فلسطين ، حيث استقروا جيشا مدربا منظما كاملا ، قسم الى ثلاث
فرق :

١ - الهاجانا •

٢ - الأرجون زوفاي ليومي ، ، وهي فرقة منتقاه •

٣ - شتيرن ، وهي خلاصة الخلاصة المنتقاه •

ولم يقتصر تهجير اليهود المسلحين عند هذا الحد ، ولكن الاستعمار
أرسل ١٠٠ ألف آخرين فيما بعد • تأكيدا لما قاله «وايزمان» في يومياته:
« لا أذيع سرا اذا قلت اننا وصلنا الى اتفاق مع بريطانيا العظمى ،
على أساسه تسلمنا فلسطين خالية من العرب قبل نهاية الانتداب » •

I do not declare any secret in saying that we came to an
agreement with Great Britain in order that the British deliver
to us Palestine rid of Arabs, before the termination of their
mandate.

وبدأت عملية إبادة الفلسطينيين العرب بدعوة صريحة الى سفك
الدماء وجهتها الوكالة اليهودية عن طريق الصحف • • ومن ذلك ما جاء
بصحيفة « دور هايوم » العبرية ونصه :

« على اليهود أن يطهروا وطنهم من مغتصبيه • • وليذهب السكان
المسلمون في فلسطين الى الحجاز أو الصحراء ، وليذهب المسيحيون الى
لبنان » •

ودارت مذابح تقشعر لهولها الأرض، ويسود لبشاعتها وجه التاريخ،
مما لم يحدث له مثيل حتى في أضل ظروف البشرية الموغلة في التوحش •
ومن أمثلة ذلك ما حدث في قرية « دير ياسين » • • اذ حاصرها اليهود
نهارا ، وأخرجوا السكان من ديارهم الى ساحة القرية • • وقسموهم الى
رجال ونساء ، وأمرؤا الرجال بأن يحفر كل منهم حفرة مساحتها متر ×
مترين ، ثم أطلقوا عليهم الرشاشات وهم يرفعون عقيرتهم بالضحك
والبهجة • أن كل عربي وقع في لده • • أما النساء فقسموهن وبقروا
بطون الحوامل يتراهنون على نوع الأجنة ومن لم تمت منهن القيت حية
في بئر القرية •

الضمير العالمي :

على هذه الصورة البشعة جرت عملية الإبادة الوحشية ، لعرب فلسطين على يد كل من الاستعمار والصهيونية .

وفى ذلك يقول « أرنولد توينبى » المؤرخ البريطانى :

« لقد مهدت بريطانيا ، بالتعامى المقصود ، الجدير بالادانة ، الى استيلاء اليهود على عناصر القوة والمال والأرض والهجرة والسلاح ، حتى تمكنوا من امتلاك الأرض ، وتفاقم - عددهم من عشر السكان الى الثلث ، وحصلوا على السلاح ، فتيسر لهم ولعصاباتهم مباغثة العرب العزل ، . . . أخرجوهم من ديارهم ، ودفنوا الاطفال والشيوخ أحياء ، وملئوا بجننهم الآبار ، وافترفوا من المجازر والمغادر ما جعل مأساة جرائم اسرائيل والصهيونية أخطر شأنًا من مأساة جرائم المانيا النازية » .

تم يستطرد ارنولد توينبى فيقول عن اليهود :

« هم الكابيون ، فكلمة متعصب لا تعنى مجرد ظالم ، بل من يضطهد شعبا من غير دينه ، بسبب اختلافه عنه فى الدين والعقيدة والعادة . . . لقد أجبروا أدوم والجليل على اعتناق اليهودية بالقوة ، فمهدوا لأن يكون هيرود والمسيح يهوديين . . . ان نتيجة التعصب تأتى أحيانا بالسخرية المحزنة ، وانه لمحزن حقا أن تكون مجرما بالتعصب . . . وكان اليهود مجرمين بالتعصب منذ القرن الثانى قبل الميلاد . . . وان مأساة التاريخ اليهودى الحديث هى أنهم بدلا من أن يتعلموا من مصائبهم وآلامهم، صنعوا بالعرب ما صنعه النازيون بهم » .

وهكذا شرد وقتل مليون عربى فى أبشع جريمة دولية . . . جريمة اغتصاب وطن بأكمله وتشريد أهله .

أمريكا ترفع قناع الغدر :

أشرنا قبل ذلك الى تصريح ويلسون عام ١٩١٨ المعارض لتوطين اليهود فى فلسطين وظل حسن الظن بأمريكا قائما فى أذهان العرب حتى عام ١٩٤٦ حينما أعلنت عن تأييدها للصهيونية . . . وطلبت الجامعة العربية من الحكومة الأمريكية بتاريخ ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٦ - بايعاز من الملك عبد العزيز آل سعود ، الذى كان يعتبر نفسه صديقا حميما لروزفلت - أن تتراجع عن تأييدها للصهيونية . فماذا كان رد أمريكا ؟

كان الرد كما يلي في ١٧ يناير سنة ١٩٤٧ :

« ان الحكومة الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى قد أيدت فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين حكومة وشعبا . فتصرفها اليوم جاء مطابقا لسياستها التقليدية عندما تدعو الى اتخاذ التدابير الرامية الى ابراز هذه الفكرة الى حيز الوجود . . اما بشأن تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين من مناطق الاحتلال الأمريكية في أوروبا . . فان الكثير من هؤلاء المضطهدين يتطلعون اثر ما أصابهم من اضطهاد الى فلسطين كملجأ . . »

أمريكا مطية الصهيونية :

وهكذا ظهرت حقيقة الولايات المتحدة الأمريكية كحليفة أصيلة للصهيونية . وهذا أمر غير مستغرب . فقد ذكر السناتور أجنيز الأمريكي في إحدى مقالاته الصحفية عن علاقة أمريكا بالصهيونية ما نصه :

« ان حكومة الولايات المتحدة لها رئيسان وحكومتان : احدهما ظاهرة معروفة والأخرى تختفى خلف الحكومة الظاهرة : لها أعضاؤها في الكونجرس ، والمحكمة العليا ، والمكتب التنفيذي ، وفي دوائر الحكومة . . وهي تراقب وسائل الاعلام ، والمؤسسات التعليمية ، والكنائس ، وكل ما يؤثر على الرأي العام ، أو يؤثر في تخطيط سياسة الحكومة الرسمية . . أما هذه الحكومة السرية فهي : « اللجنة اليهودية الأمريكية » تساعدنا ١٦ منظمة يهودية .

فلن نستغرب أن تكون أمريكا دمية في يد اسرائيل ، وأن تكون ألمانيا الغربية من ثم لعبة في يد الصهيونية ، وأن كليهما وغيرهما تنساق الى الحظيرة التي دخلت اليها من قبلها بريطانيا لتنفذ مخططاتها الاستعمارية ضد الامة العربية ووحدتها وحريتها وتقدمها .

فالثابت أن ايزنهاور أعلن مأسماه بمشروع ملء الفراغ عام ١٩٥٧ ليحمي اسرائيل مدفوعا بضغط وسائل الاعلام التي تسيطر عليها الصهيونية كما تسيطر على الرأسمالية الأمريكية .

والثابت أن الانتخابات الأمريكية تسيرها الصهيونية والأموال الصهيونية . ووسائل الاعلام الصهيونية حتى على مركز رئاسة الجمهورية الأمريكية . . فاذا تعرضنا لضغط ما من أمريكا سواء بما يسمى بالمساعدات الأمريكية أو غيرها . فان هذا أمر طبيعي من دولة هي في الواقع مطية للصهيونية .

ان خطاب الولايات المتحدة المذكور يتضمن مغالطة مفضوحة... ذلك
أن اليهود المشردين من ألمانيا أيام النازى ، خليق بهم أن يعودوا الى ديارهم
فى ألمانيا لأن فرضهم على شعب فلسطين لا يحل المشكلة وانما يؤدى الى
خلق أتون جديد من الاضطهاد لهم وزجهم بين شقى رضى عربية هائلة
تطحنهم مهما طال الزمن .

لعبة التقسيم :

وزاد التأييد الأمريكى للصهيونية وضوحا حينما بذلت قصارى
جهدتها للتأثير على الدول الأعضاء فى هيئة الامم المتحدة ليصوتوا فى صالح
قرار تقسيم فلسطين . وكانت حملة الضغط هذه تتخذ أحيانا وسائل
اعلامية أمريكية . وأحيانا أخرى تتخذ وسائل الاتصالات الدبلوماسية .
ومن ذلك أن « هارى ترومان » رئيس الولايات المتحدة أيقظ رئيس
شركة فايرستون بالتليفون ليلا ، وكلفه أن يتصل برئيس جمهورية
ليبيريا ليضمن صوته فى صف مشروع التقسيم مستخدما قوة شركته
وسيطرتها الاحتكارية على ليبريا .

ويرجع مشروع التقسيم الى أن بريطانيا ادعت أنها لا تستطيع حل
المشكلة وجدها فعرضتها على الأمم المتحدة ، وتلك بدورها شكلت « لجنة
التحقيق » التى تكونت من ١١ دولة . . . وسافر أعضاؤها أواخر عام ٤٦
الى فلسطين ليعاينوا الموقف على الطبيعة . . . وبالرغم من أنها تأكدت من
أن الاستعمار والصهيونية لم ينجحا فى تحويل فلسطين عن عروبتها فى أى
مظهر من المظاهر فان ثمانية أعضاء من اللجنة نادوا بتقسيم فلسطين بين
العرب واليهود جغرافيا ، مع جعل مدينة القدس منطقة دولية ، على أن يتحد
العرب واليهود فى السياسة الخارجية والدفاع والشئون الاقتصادية .

وكان الأمل كبيرا فى أن الضمير الدولى لن يرضى بهذا المشروع
الذى حدد للتصويت عليه يوم ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٤٧ . . . ولذا فان
أمريكا لعبت دورها فى تأجيل التصويت على القرار الى اليوم التالى حتى
يتم لها الضغط على الدول لتأييد التقسيم كما سبق أن وضعنا وكان لها
ما أرادت .

تسليم الفريسة :

وما جاء يوم ١٣ مايو سنة ١٩٤٨ الا وكان الاستعمار قد نجح فى
تجريد عرب فلسطين من كل مقومات الدفاع عن النفس ضد الخطر

الصهيوني ٠٠ ويومئذ أعلنت بريطانيا أنها ستنتهي الانتداب البريطاني على فلسطين صباح ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ . لتسلم العرب عزلا كفريسة لليهود .

وفي الساعة الرابعة بعدظهر يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ أعلن «بن جوريون» من مبنى البلدية بتل أبيب أمام أعضاء المجلس الوطني اليهودي انشاء دولة اسرائيل اعتبارا من صباح اليوم التالي .

وفي اليوم التالي تحركت جيوش العرب تحاول انقاذ فلسطين الحبيبة . . لكن الحكومات العميلة كانت غير جادة في تخليص فلسطين . . كان الاستعمار قد مزق حكومات العالم العربي وغرس في نفوس حكامها الأنانية والنفعية والتنافر والبغضاء ، ودفعوا بالشباب الوطني الغيور الى معركة لم يعد لها . . وطعن من الخلف غدرا وهو على مشارف تل أبيب . . وكانت الفالوجا حيث نضجت خطط ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . . وكانت اتفاقية الهدنة بين الدول الأربع المحيطة باسرائيل وبين اسرائيل .

اسرائيل جسر للاستعمار :

وصل الاستعمار الى تحقيق توصيات « لجنة بالرمان » فأوجد القوة البشرية الغربية عن المنطقة ، المعادية للعرب ، الموالية للاستعمار ، التي تشطر الأمة العربية شطرين : شرقي وغربي ، وتحول دون وحدتها ، تأميننا لمصالح الاستعمار . . وفي ذلك قال الميثاق :

« ان قطعة من الأرض العربية في فلسطين ، قد أعطيت من غير سند من الطبيعة أو التاريخ ، لحركة عنصرية عدوانية ، أرادها المستعمر لتكون سوطا في يده ، يلهب به ظهر النضال العربي اذا استطاع يوما أن يتخلص من المهانة وأن يخرج من الأزمة الطاحنة كما أرادها المستعمر فاصلا يعوق الأرض العربية ، ويحجز المشرق عن المغرب » .

ولذا فان الاستعمار يغدق عليها المعونات المالية والفنية، وهي بدورها تحول المعونات والمساعدات لبعض الدول الآسيوية والافريقية لحساب الاستعمار تنفيذا لأسلوب الاستعمار الجديد الذي تحدثنا عنه في فصل سابق ، والذي يهدف الى استبدال الأغلال الحربية بأغلال اقتصادية تقيد بها الدول الى عجلة الاستعمار ، فيستنزف موارده ويتحكم في مقدراته .

خطر التوسع الصهيوني :

وأطماع الصهيونية لا تقف عند حد ، ولكنها تتحين الفرص للانقضاض على العالم العربي لتلتهمه قطعة قطعة ، تثب الى الرقاب ، تقتل من تقتل ، وتحول من يبقى من شعوبنا العربية الى قطعان من اللاجئين في ليبيا والسودان وأرمينيا .

ان زعماء الصهيونية يعلنون ذلك صراحة . . ولقد قال الحاخام « يهودا ميمون » وزير الأديان الاسرائيلي في كلمة القاها بمؤتمر الكيرين كينيت يوم ٨ أغسطس سنة ١٩٥١ .

« ما تزال أمامنا أعمال عظيمة . . ان دولة اسرائيل كلها أمامنا . . وان حدود هذه الدولة تمتد من النيل الى الفرات » .

ولم تكن هذه العبارة الخطيرة مجرد زلة لسان صدرت عن مستور مخرف . . فان الدكتور « أريك التمان » أحد زعماء الكنيست قال في خطاب له في القدس يوم ٣٠ مارس سنة ١٩٥٣ ما نصه :

« ان اسرائيل العظمى . الممتدة من العراق حتى السويس هي الدولة القوية التي تستطيع تأمين السلام والاستقرار في الشرق الأوسط . . في الداخل والخارج . . ان اسرائيل بحشدتها اليهود من أنحاء العالم وتكتيلهم بسرعة وكثافة ، من شأنها أن تخلق حدودا لها من العراق الى السويس ، فتصبح حصن الديمقراطية في هذا الشرق الذي أفلست فيه سياسة بريطانيا وفرنسا .

وقد قال بن جوريون أيضا عام ١٩٥١ :

« الآن فقط ، وبعد سبعين عاما من كفاح الرواد . استطعنا أن نصل الى أول استقلالنا في جزء من وطننا الصغير » .

ثم يقول عام ١٩٥٢ :

« لقد أعطى القسم الشرقي من وطننا القومي على الضفة الأخرى للأمير الهاشمي . (يقصد الملك عبد الله) .

هذه تصريحاتهم الرسمية . بل ان خريطة اسرائيل كما تدرس لتلاميذهم يحددون عليها أرض اسرائيل على المساحة ما بين الفرات وفرع دمياط .

ولكن هذا التوسع يحتاج الى قوى بشرية استعدادا للغزو ، ومن أجل

هذا يستعدون لتوطين ٣/٤ مليون مهاجر يهودى جدد فى النقب . وفى سبيل ذلك يحولون مياه نهر الأردن الى صحراء النقب لاستصلاحها .

ولقد علمتنا تجربة العدوان الثلاثى ، ومبادرة اسرائيل باعلانها ضم سيناء اليها أن اسرائيل لا تتوانى عن التوسع على حسابنا اذا سنحت لها فرصة .

وأهم الاسلحة التى تستخدمها اسرائيل والاستعمار فى معركتها ضد العرب هو تمزيق شمل العرب ، والحيولة دون وحدة العالم العربى شرقه وغربه . . لذلك فان أهم أسلحتنا فى حربنا ضد الاستعمار والصهيونية هو تحقيق القومية العربية . . هو السعى الحثيث نحو الوحدة العربية ، وتذليل كل العقبات المصطنعة التى تعرقل تنفيذها .

أهمية الوحدة العربية :

ان قضية فلسطين لعبت دورا خطيرا فى مصير الدول العربية وتاريخها المعاصر . فبالرغم من آثارها السالبة ، فانه من الانصاف أن نقرر انه كان لها دور ايجابى فى التعجيل بقيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

ولذلك فان الثورة المصرية اهتمت بأبلغ اهتمام بقضية فلسطين ، لا بالمواقف العاطفية ، ولا بترديد الشعارات . . ولكن بالعمل البناء والمواجهة الصريحة وحل المشكلة من جذورها . . جعلت الوحدة هدفا مقدسا من أهدافها كعلاج أساسى لحل مشكلة فلسطين ، وتعقبت الاستعمار والصهيونية بالحرب السياسية والاقتصادية فى كل أرض . . وجعلت من تقدمها الداخلى علميا وحربيا منطلقا للضربة القاضية باذن الله .

ولا يفتأ الرئيس جمال عبد الناصر بين الحين والحين يبصر الملوك والرؤساء بالاحطار المحسدة ، وبوجوب جعل قضية فلسطين فوق أى خلاف عربى . . وكانت آخر هذه الحركات المباركة دعوته لعقد مؤتمر القمة العربى الاول فى يناير سنة ١٩٦٤ ، الذى تم فيه اتخاذ قرارات ثلاثة هى :-

١ - استغلال مياه نهر الاردن لصالح الدول العربية التى فى أعلى النهر .

٢ - انشاء القيادة العربية الموحدة لحماية مشروعات التحويل .
ووضع خطط تحرير فلسطين .

٣ - انشاء منظمة التحرير الفلسطينية لابراز الكيان الفلسطيني .
 واجتمع مؤتمر القمة الثانى بالاسكندرية فى سبتمبر سنة ١٩٦٤ ،
وتلاقت أفكار العرب . . واذا كان الاستعمار قد تلاقى عام ١٩٠٧ ليدرس
على منهج علمى كيف يقضى على العرب : فان العرب قد تلاقى عزمهم
وفكرهم فى شخص رؤسائهم ودرسوا على منهج علمى أيضا كيف يقضون
على الاستعمار ويزيلون ربيبتة اسرائيل من الوجود .

وها هوذا مؤتمر القمة الثالث بالدار البيضاء ، يؤكد وحدة الهدف
ووحدة العمل ولم تفلح محاولات «بورقيبه» ولا انحرافاتة فى ايجاد ثغرة
تؤثر على وحدة العمل العربى .

ولقد علمتنا التجارب أن نعمل حسابا لأسوأ الاحتمالات حتى نصل
الى أفضل النتائج . . وكذلك بالنسبة لقضية فلسطين . . ولقد وضع
الرئيس جمال عبد الناصر مراحل العمل خلال خطبته فى ٣١ مايو سنة
١٩٦٥ كما يلي :-

١ - العمل فى نطاق جامعة الدول العربية كخطوة أولى وهو محدود
بأوضاع معينة .

٢ - العمل فى نطاق مؤتمرات القمة ومجالاتها ، وهى خطوة أكبر.
لكنها قد لا تحقق المطلوب .

٣ - العمل العربى الثورى . . عمل الشعوب العربية، وهو السبيل
الموصل الى اعادة فلسطين . فان فلسطين لا ترد بالسياسة وانما
بالحرب . . بالقتال . . ونحن أقدر ما نكون عليها برا وبحرا وجوا . .
نحن نعرف ذلك . . ونعرف أيضا أن معركتنا ليست مع اسرائيل ، وانما
مع من يتقنعون باسرائيل .

ولذلك قال الرئيس :-

« اننا نحن الذين يجب أن نحدد مكان المعركة وزمانها ، ولن نسمح
اطلاقا بأن يقع ما حصل عام ١٩٤٨ مرة ثانية ، وما دمننا نبنى قوتنا
الذاتية فنحن واثقون تماما من نتيجة المعركة » .

نحن ننظر لهذه القضية بوصفنا احدى الدول العربية ، وبوضعنا الخاص بنا ، الوانقين من أنها معركة مصيرنا .. معركة حياة أو موت ، فلا مكان فى المنطقة لاسرائيل ، ولا بد أن تزول ، ولا بد أن تعود فلسطين عربية ، ويعود أهلها الى ديارهم ، ويعود السلام الى ربوعه .. فانى لأكاد أرى الارض المقدسة وقد تحولت مستعمراتها اليهودية الى مقابر تفغر أفواهاها لتبتلع أسلاء اليهود الغاصبين،فتنطوى صفحة من التاريخ سوداء بدأت عام ١٩٤٨ ، وتنتهى أغرب قضية عالمية ، باعدام من سرقوا وطن كاملا بعد أن قتلوا وشردوا أصحابه الشرعيين .

انى لأرى بيارات البرتقال تدنو قطوفها ، وتفرد أغصانها، وتفرش ظلالها - بعد طول شوق وحنين - للعائدين المنتصرين ، يؤازرهم اخوانهم من كل فج عربرى ، يقودهم أغرودة الزمن وأنشودة المجد ، القائد العربى العبقري الذى فجر ثورة يوليو ١٩٥٢ وآلى على نفسه أن يطهر أرض العرب من غير العرب - جمال عبد الناصر - وفقه الله .

♦ السياسة الخارجية
للجمهورية العربية المتحدة

السياسة الخارجية لدولة ما هي : علاقتها بالدول الأخرى ، وقد ظلت العلاقات الدولية الى عهد قريب تحرك خيوطها أصابع رجال المال والأعمال وكبار التجار ، من أقبية البنوك والبورصات والشركات. الاحتكارية ، وقصور الأباطرة من الطغاة .. وكان أصحاب الملايين بوجه خاص يسيطرون على الحكم ، ويتحكمون فى مصير الشعوب ، ويدفعون حفنة من قطع الشطرنج الآدمية فى دهاليز وزارات الخارجية وعلى العروش. نحو الوجهة الدبلوماسية التى تخدم أغراضهم التجارية العالمية ، وتروى ظمأ جشعهم وشراحتهم للمال .

وكانت العلاقات الدولية على هذا النحو تتميز بأنها علاقات بين أفراد هم رؤساء الدول وسفراءهم ، بغض النظر عن رأى الشعوب .. غير أن التقدم العلمى والآلى الحديث ، الذى بدأ بالثورة الصناعية فى أوروبا .. قد قضى على هذا المفهوم الدبلوماسى الأنانى الاستبدادى ، وطواه الى الأبد . وأدى الى آثار هامة منها ما يلى :-

آثار التقدم العلمى والفنى على السياسة الخارجية :

١ - تكتيل الرأى العام العالمى ضد الحروب :

كانت الحروب فيما مضى لا تكاد يعنى أمرها من شعوب العالم الا الطرفين . أو الأطراف المتحاربة . فلما اكتشفت الأسلحة النووية ، وتحقق البشر من هولها ، انتشر شعور انسانى عام ، بأن اندلاع حرب مهما كانت صغيرة ، فى أية بقعة من بقاع العالم مهما كانت قاصية - انما يمثل خطرا شاملا يعرض الانسانية كلها ، بحضارتها ووجودها ، للدمار والزوال .. وما زالت مأساة هيروشيما وناجازاكي ماثلة للأذهان كشبح مفزع يمكن أن يتكرر بصورة تجعل من الكرة الأرضية أتونا ملتهبا وقطعة من الجحيم .

وزاد الأمر خطورة انقسام العالم الى قوتين ذريتين مروعتين تتمثلان فى المعسكر الشيوعى ، والمعسكر الرأسمالى .. كل من القوتين تملك من وسائل الفناء ، ما يمكن لو اصطدمتا أن تحولا بزرين من موسكو وواشنطن - فى ثوان قليلة - الكرة الارضية الى ذكرى حياة تلفها الغازات والنيران .

لذلك فان كل فرد من أى شعب يتابع سير الأحداث ، وأنباء المنازعات بين الدول مهما كانت صغيرة ، ويناقش وسائل حلها بحمية وغيرة على السلام لأن مصيره ومصير حرثه ونسله مرتبط بكل ما يجرى فى أنحاء العالم ، وما يسود الدول من علاقات التآزر أو التنافر .

هذا هو السر في أن العالم كله يقف مكتوم الأنفاس حينما تثار مشكلة دولية في كوبا أو فرموزا أو فيتنام أو الكونغو أو برلين ، وحينما يقوم تصادم على الحدود بين الهند والصين أو بينها وبين الباكستان .. نتتبع أخبار النزاع وتطوراته السلمية أو المسلحة .. في الصحف والاذاعات ، بذعر وهلع ، يحدونا الأمل والرجاء . ونجعلها مادة نقاشنا في بيوتنا ومنتدياتنا ومركبات المواصلات .

ولم يكن ذلك شأن آبائنا وأجدادنا . كانوا يتلون أخبار الحرب بلا انفعال أو اكتراث ، وما كانوا ليتأثروا بها الا بمقدار ما نتأثر نحن بمشاهد القصص المسلية ومواقفها .. فما عرفوا القنبلة الذرية ولا الصاروخ الذري عابر القارات .. أما اليوم فإن مصير البشرية أصبح مترابطا ضد أخطار الحروب فصارت الانسانية كلها متضامنة في درء خطر الحرب .. ولم تعد طبيعة العصر تسمح بالعزلة . وأصبح العمل المتعاون ضد الحرب هو جوهر الرأي العام العالمي .

٢ - وحدة الشعور بالملكية البشرية للتراث الانساني العام :

كان اختفاء المسافات بين الدول والقارات ، وسقوط الحواجز التي كانت تفصل بين الدول ، الطبيعية منها والفكرية - من نتائج التقدم العلمي الهائل في انتاج المواصلات البرية والجوية والبحرية السريعة ، وفي انتشار التعليم وتبادل الثقافات واجادة اللغات الأجنبية .. وترتب على ذلك أن ازداد الترابط بين البشر أفرادا وجماعات ودولا .

وازداد النشاط الانساني في ميدان تبادل المعلومات والخبرات الفنية والعلمية والأدبية والثقافية عن طريق الاذاعات والمطبوعات والزيارات الشخصية المتنوعة الاشكال .. وساعد على ذلك أن عصر السرعة جعل جولة حول الكرة الأرضية أسرع وأخف مشقة من رحلة بين اقليمين في دولة واحدة منذ قرن مضى .

هذه الامكانيات الآلية الحديثة في التواصل ، أدت الى تداخل وامتزاج التراث الانساني العام ، والى الشعور العالمي بضرورة الحفاظ عليه ، والعمل على تنميته ، عن طريق تأكيد العلاقات الطيبة بين الشعوب ، من أجل التقدم الانساني ، ورخاء البشرية وأمنها .. والى الايمان بأن التراث الانساني ملك لشعوب العالم أجمع . ونتيجة لكفاح فكري عالمي ، ساهمت فيه كل الأمم عبر التاريخ .. ولذا فقد نص الميثاق على : « أن احتكار العلم يهدد البشرية بنوع جديد من السيطرة الاستعمارية » .

٣ - انعكاس السياسة الداخلية على السياسة الخارجية :

نتيجة للعاملين السابقين أصبحت الشعوب لا ترضى بترك أقدارها تحت رحمة الرؤساء والتجار وأصحاب الأموال والأعمال ، يوجهونها وفق هواهم ونزواتهم ولو على حساب فناء البشرية وزوال المدنية والعمران .

وأصبحت السياسة الخارجية للدول انعكاسا لآمال الأمم ، تحكمها رغبات الشعوب في السلام وتبادل المنافع الاقتصادية من تمويل وتموين، وفي التبادل العلمي والثقافي من خبرة وخبراء ووسائل .

وأخلت أروقة وزارات الخارجية من ذوى الياقات المنشأة الذين يجيدون - على الأكثر - الرقص ، وتزويق حفلات الكوكتيل ، وتحقيق الرغبات الشاذة لذوى النفوذ . . وحل محلهم ممثلون حقيقيون للشعب ، يراقبون ويحركون السياسة الخارجية في الخط الذي تسير فيه السياسة الداخلية ، وفق أغراض الشعب ومصالحه .

وفي ذلك يقول الميثاق : « ان السياسة الداخلية لا بد أن تجد لها صدى في المجال الخارجى ، وبعبارة أخرى ، ان السياسة الخارجية لدولة ما هي انعكاس لأوضاعها الداخلية » .

هذه هي القاعدة . السياسة الخارجية انعكاس للسياسة الداخلية .

ففي أمريكا مثلا : نظام حكم يسيطر عليه أصحاب الملايين مباشرة عن طريق التمثيل النيابى الرأسمالى فى الكونجرس ، بل وفى رئاسة الجمهورية . . ومن ثم فالسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية تحمى رءوس الأموال الأمريكية واستثماراتها وأسواقها بقوة السلاح ، وبالقواعد، وبالأسطولين السادس والسابع وغيرهما ، وبغواصات بولاريس ، وباستعراض العضلات الحربية فى الفضاء الخارجى ، وبالاشتباك المسلح بين الحين والحين .

والاتحاد السوفيتى : يؤمن بدكتاتورية البلوريتاريا . . بمبادئ ماركس ولينين التى تؤكد ضرورة تولى عمال العالم حكم العالم . . ولذا كانت سياسة روسيا ترمى الى مساعدة الدول الأخرى للتحرر من الرأسمالية والامبرالية ، تمهيدا لسيطرة البلوريتاريا العالمية على الدول التى يتم تحريرها كما حدث فى دول شرق أوروبا .

وفي الجمهورية العربية المتحدة :

يقوم نظامنا الداخلي على الاشتراكية .. على الديمقراطية السياسية .. والديمقراطية الاجتماعية .. فنحن نستهدف دكتاتورية البلوريتاريا ، ونزدري الرأسمالية المسيطرة .. ديمقراطيتنا السياسية هي حكم الشعب بالشعب لصالح الشعب ، وديمقراطيتنا الاجتماعية هي الكفاية والعدل .. فالشعب كل الشعب له جميع الحقوق ، ولا حقوق لأعداء الشعب .. هذه هي سياستنا الداخلية .. فمن الطبيعي أن تنعكس مبادئنا الداخلية هذه على سياستنا الخارجية .. وأن يكون عداؤنا واضحا صريحا للاستغلاليين والانتهازيين والاستعماريين وأذنانهم وأنصارهم من سماسرة الاستعمار تجار الشعوب .. لماذا ؟ لأنهم أعداء الشعوب .. وأعداؤنا أيضا لأننا أصحاب رسالة بالحق والعدل .. فنحن لا يقتصر سلوكنا على عدم التعامل معهم .. بل يمتد الى النضال من أجل إسقاطهم ودك حكمهم وإزالة تسلطهم على الشعوب .

. ولذا فان الميثاق ينص على أن أول خطوط سياستنا الخارجية هي :
« الحرب ضد الاستعمار والسيطرة ، بكل الطاقات والوسائل ، وكشفه في جميع أقنعتة ، ومحاربته في كل أوكاره » .

والشق الآخر من سياستنا الداخلية : أننا نقيم تحالفا بين قوى الشعب العاملة على أساس من تذويب الفوارق بين الطبقات .. فمن الطبيعي أن نحقق هذا الاتجاه في سلوكنا العالمي على شكل مجموعة دول عدم الانحياز ، ودول التضامن الأفريقي الآسيوي ، ومجموعة الدول الأفريقية ، والوحدة العربية التي ارتبطنا بها قدرا ومصيرا فحق علينا مساعدة كل الحركات التقدمية فيها المتحررة من حكم العملاء والرجعية .

الخطوط الرئيسية لسياستنا الخارجية :

جاء الميثاق بهذه الخطوط الرئيسية لسياستنا الخارجية معبرة لواقعنا وظروفنا وقيمنا الداخلية ، أبلغ ما يكون التعبير ، وحصرتها في ثلاثة خطوط هي :

- ١ - الحرب ضد الاستعمار والسيطرة .
- ٢ - العمل من أجل السلام .
- ٣ - التعاون الدولي من أجل الرخاء .

أولا : الحرب ضد الاستعمار :

لقد وضعنا ، وسنوضح ، فى غير هذا المكان - أن زوال الاستعمار هو حجز الأساس لاقامة صرح سلام عالمى موطن الأركان • والظاهر للعيان أن الاستعمار بدأ ينكمش ويتكوم فى جحره ، ويتوارى ، أمام الضربات القوية التى كالتها له الشعوب فى السنين الأخيرة • والحقيقة ان ما اختفى منه ليس الا أعلامه وجيوشه المحتلة فقط • • نكست الأعلام ، وسحبت الجيوش ، واستبدلتها بمعاهدات صورية وأحلاف عسكرية تضمن مناطق النفوذ والسيطرة والاستغلال وانشاء القواعد لضمان المصالح الاقتصادية الاستعمارية ، والأوضاع الاستغلالية الاغتصابية للموارد الطبيعية والبشرية والمواقع الاستراتيجية • أى أن الاستعمار بان بأسلوب جديد ، واسم جديد ، وفى ثوب جديد •

وفى ذلك قال الميثاق : « ان الاستعمار الذى ما زال متمسكا بأهدافه غير أسلوبه » •

ومن أساليبه التى يستخدمها الآن فى بقاع أخرى من العالم • ما اتبعه فى مصر حينما اضطر عام ١٩٢٣ الى طبع استقلال صوري تقوم عليه حكومة وبرلمان مظهرى يحكم زورا باسم الشعب ، وما كان الأمر والنهى الا للمندوب السامى الذى يسير من قصر الدوباره الملك والأحزاب - نحو الأهداف الاستعمارية وأهمها الحصول على القطن بأبخس الأثمان ، وابقاء القاعدة البريطانية على ضفة القناة ، وتسخير الطرق والمواصلات الحديدية لخدمة الجيش المحتل •

كذلك الحال فى بلاد أخرى ، تحكمها فئة معينة ، ترتبط مصالحها بمصالح الاستعمار ، فتخدع شعوبها باستقلال زائف ، يبقى على نفس الأوضاع والأهداف الاستعمارية ، التى تطلق يد الاجنبى فى أقوات الشعب وتراثه ليزداد الاستعمار تقدما ، وتزداد الشعوب تأخرا •

وهذا لا يتفق مع سياستنا الداخلية ، ومن ثم مع سياستنا الخارجية لذلك ننادى بالقضاء على الاستعمار وأعوانه فى كل بقاع العالم ، بكل صورته القديمة والجديدة • • والا أصبحنا منافقين وغير منطقيين مع أنفسنا ومع الآخرين •

ومن الطبيعى أن تطبيق هذا المبدأ ، يختلف قدره ومداه على حسب قوة علاقتنا بهذه البلاد ، وعلى حسب قربها أو بعدها الجغرافى منا • وعلى أى حال فان التمكين للقوى المتحررة المكافحة من أجل التخلص من

الاستعمار — هو أحد خطوط سياستنا الخارجية الهامة التي تملئها علينا ظروفنا الذاتية وطبيعة أيديولوجياتنا وعقائدنا وقيمنا الدينية .

ثانيا : العمل من أجل السلام :

ان فكرة السلام — فى الواقع — تعتبر ينبوع الأصيل الذى تتدفق منه خطوط سياستنا الثلاثة . وذلك الاهتمام البالغ باقرار السلام تفرضه علينا عوامل تاريخية وروحية ، وذاتية تجعلنا من أشد الشعوب التزاما بالسلام ودعوة له .

١ — العامل التاريخي :

من الثابت تاريخيا أن شعب النيل شعب مسالم . . سبق العالم كله الى احتراف الزراعة ، وما يترتب على ذلك من استقرار ، وعمران ، وحضارة منذ ٥٠٠٠ عام ، وانصرف الى العمل والاستثمار ، وكان ثراؤه وقناعته من عوامل تطبعه بالسلام وعدم التجائه الى التوسع أو نزوعه الى الغزو والفتح . والمعروف أن الجوع أو الخوف هما أسباب الحروب .

لذلك لم يعرف التاريخ عن شعب مصر أنه نظم صفوفه ، وخرج عن حدوده الا حينما كان يضطره عدوان خارجي الى أن يقاتل ليظهر أرضه من رجس المهاجمين القادمين من آسيا أو ليبيا أو من الجنوب ، أو لينقل المعركة خارج حدوده ليؤدب الطامعين أو يدمر مراكز وثوبهم وغاراتهم ويفض تجمعاتهم المتحرشة .

وفى كثير من الأحيان كان يضطر الى الحرب أيضا شعورا بمسئوليته نحو منطقة الشرق الأوسط كلها كجزء مكمل لمصر وأمنها وسلامتها من البغاة .

٢ — العامل الروحي :

ان قيمنا الروحية تفيض بأضواء السلام . . فكلمة اسلام تعنى : اسلام الوجه والأمور الى الله سبحانه وتعالى دون غيره مهما بلغت قوته وجبروته شخصا كان أو جماعة .

وما حارب محمد صلى الله عليه وسلم لكى يبسط سلطانا ، وانما ليهدى المشركين لكلمة الحق بعد أن أعيتته وسائل الحسنى ، فاضطر الى الحرب ليخضعهم لكلمة الله لتبقى هى العليا .

واتصفت التطبيقات الاسلامية المختلفة مع الدول المفتوحة بالتسامح..
تدل على ذلك المواثيق التي أبرمها الرسول ، والتي عقدها الخلفاء الراشدون
والتي خلفها لنا العهد الاسلامي الأول ، قبل أن تتناول تراثه الأيدي
المفسدة التي ظهرت في المراحل التاريخية المظلمة . ومن أمثلة هذه المواثيق
السمحة وثيقة عمر بن الخطاب في معاملة أهل إيليا أي المقدس بعد
فتحها .

والمسيحية أيضا قامت على التسامح والتمادي والمبالغة في السلام ،
ويتضح ذلك في قول المسيح عليه السلام : « لا تقاوموا الشر ، بل من
لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ
ثوبك ، فاترك له الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه
اثنين » .

وقوله عليه السلام : « ان كل من يغضب على أخيه باطلا يكون
مستوجبا للحكم » .

وقوله : « اترك هناك قربانك قدام المذبح ، واذهب أولا اصطلع مع
أخيك وحينئذ تعال ، وقدم قربانك » كن مراضيا لحصمك سريعا ما دمت
معه في الطريق . . . » .

وبالرغم من ذلك فان التطبيقات المسيحية في أوروبا لم تتوخ قيم
التسامح والسلام التي نادى بها عيسى بن مريم ، وأشعلوا حروبا توسعية
باسم الصليب ، كالحروب الصليبية ، وحروب المائة عام ، وحرب الثلاثين ،
وكان البابوات يوقدون فتيلها ويباركون خرابها ودمارها ووحشيتها .
أما نحن فنلتزم بالسلام التزاما بقيمنا الروحية التي عبر عنها
الميثاق بقوله : « ان شعبنا يعتقد في السلام كمبدأ ، ويعتقد فيه كضرورة
حيوية . . » .

٣ - العامل الذاتي الحيوي : يستطرد الميثاق عن ضرورة السلام
فيقول « ان شعبنا يعرف قيمة الحياة ، لأنه يحاول بناءها على أرضه . .
ان صدق دعوته للسلام ، تنبع من حاجته الماسة اليه . . ان السلام هو
الضمان الأكيد لقدرته على الاستمرار في معركته المقدسة من أجل
التطوير » .

فالسلام ضروري لنا لنتمكن من بناء التقدم وانجاز التنمية
الاقتصادية والانعاش الاجتماعي . . فلا يمكن في جو الحرب أن نستطيع
اقامة مجتمع الكفاية والعدل .
لكن أي سلام يا ترى ؟

نوع السلام العربى :

حتى نوع السلام تفرضه علينا قيمنا الدينية فى قوله تعالى :
« النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن
بالسن والجروح قصاص » .. وقوله تعالى فى سورة البقرة : « وقاتلوا
فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » ..
ثم قول أعدل العادلين : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون
فى الأرض فسادا ، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف
أو ينفوا من الأرض » .. وقوله : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
فأصلحوا بينهما ، فان بغت احدهما على الأخرى ، فقاتلوا التى تبغى حتى
تفنى الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا » .

ذخيرة ثمينة من أسس السلام التى توضح أبعاده واتجاهاته فى
معاملة المؤمنين وفى نوع السلوك الذى ينبغى اتخاذه مع غيرهم .. وهكذا
نعرف طريق السلام وأسلوبه فى مختلف المجالات المحلية والاقليمية
والدولية .

سلام لا يقبل الاستسلام .. سلام يكفل الحرية والكرامة والحق فى
حياة عزيزة أبية لا يشوبها قسر ولا ضغط ولا سيطرة ولا ظلم .. سلام
لا يقبل الارهاب ، أو الاذلال .. سلام يقوم على العدل وعلى الحق وعلى
الحرية وعلى أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .. « خير أمة أخرجت
للناس » .

وما قواتنا المسلحة الا لتعزيز جانب هذا السلام .. تحمينا من
الاستسلام للقوى الشريرة المتربصة ، التى يسيل لعابها للاغتصاب
والسلب وتدمير مقومات تقدمنا .

لقد علمتنا غارة اسرائيل على غزة عام ١٩٥٥ ضرورة حماية سلامنا
بقوة السلاح . وعلمنا رفض أمريكا تزويدنا بالسلاح آن ذاك ، كيف
نلجأ الى تشيكوسلوفاكيا وغيرها لنشتريه بأوفر مما كنا ننوى طالما هناك
من يحمى اسرائيل ، بل والى ضرورة تصنيعه محليا ، فأمكننا أن ننتج
الصواريخ المتعددة المراحل .

وعلمنا العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ بعد أن أؤمننا القناة أن نزداد
صلابة وعنادا واصرارا ، وأن نقبل مواجهة أية معركة مسلحة ضد أية
قوى زاحفة مهما كانت جرارة .

تعلمنا أن لابد للسلام من قوة بشرية ومادية ومعنوية تحميه ..

فالسّلام لا يعنى الاستسلام ، ولا بد لكى يستقر ويستمر ويسود - من أن يقوم على أساس من العدل والحق .

فنحن لا نعترف بالسّلام العفن القائم على الظلم ، المبني على خرافة الأمر الواقع كما هو الحال فى فلسطين .

أى سلام هذا الذى يقوم على السماح لعصابة تسرق دارا من أهله ، وتلقى بأهل الدار على قارعة الطريق . . ليسكنوا الخيام ١٧ عاما ، ثم تجد العصابة من ينادى بتركها وما سرقت باسم السّلام وباسم الأمر الواقع ؟

ان المحافظة على السّلام واقاره يستدعيان زوال أوضاع ظالمة جائرة تستند على القوى الغاشمة والى خرافة الأمر الواقع . . فباسم السّلام نحارب الأحلاف ، ومناطق النفوذ ، وكل مظاهر الاستبداد والتسلط والسيطرة .

ثالثا : التعاون الدولى من أجل الرخاء :

نص الميثاق على : « أن الرخاء المشترك لجميع الشعوب لم يعد قابلا للتجزئة . كما أنه أصبح فى حاجة الى التعاون الجماعى لتوفيره » .

ذلك أن الشعوب اذا ما تحررت من الاستعمار ، تركها فى حالة من التخلف أشبه ما تكون بفريسة انقض عليها وحش رهيب ، ثم انفض عنها بعد ان امتص من جسدها عصارة الحياة ، وتركها بين الحياة والموت ، فى حاجة الى نقل دم .

فازالة الاستعمار وهدمه ليست الا مقدمة لبناء المجتمع واقامة نظم ومشروعات جديدة تحقق للشعب ارادته ، وتبنى تقدمه ومستقبله . ومن المحزن أن ثلثى البشرية يعيشون فى تخلف اقتصادى واجتماعى ، وبمعنى آخر فى فقر وبؤس وجوع وجهل ومرض . . ويزيد الأمر سوءا أنها تفتقر الى الموارد والامكانيات اللازمة لبناء تقدمها . . فهى فى حاجة الى جهود لا يستطيعها كل شعب منها على حدة .

ومن هنا تأتى أهمية « التضامن الدولى من أجل الرخاء » . . التضامن الدولى من أجل البناء الداخلى لكل شعب ، واقامة مجتمع الكفاية والعدل فيه . . والا فاننا اذا تركنا الحال على ما هو عليه بلا تعاون، ازدادت الدول المتقدمة ثراء . وازدادت الدول المتخلفة فقرا ، وصرنا ولا مورد لنا

الا الاستعمار ، يحتكر التعامل ويزداد بطشا وتحكما في مصائر الشعوب .
.. وهذه الظاهرة المؤسسية تنتشر بين الشعوب الملونة في آسيا وافريقية
وأمریکا اللاتينية - والتميز العنصرى الذى هو احدى الحصال الرئيسية
للؤم الاستعمارى ، مسئؤل أكبر المسئولية عن تأخر هذه الدول واستنزاف
ثرواتها .. وفى هذا يقول الميثاق : « ان الاستعمار فى واقع أمره هو
سيطرة تتعرض لها الشعوب من الأجنبى بقصد تمكينه من استغلال
ثرواتها وجهدها .. وليس التمييز العنصرى الا لونا من ألوان استغلال
ثروات الشعوب وجهدها » .

وعلى الشعوب - للوقاية من هذا الخطر ، والتخلص من آثار التخلف -
أن تتحد ضد الاحتكارات الأجنبية ، وضد قوى السيطرة الاستعمارية ،
حتى تحصل على ما يلزمها من مساعدات للبناء .

فما كان بوسعنا أن نحرز ما أحرزناه من تقدم الا تطبيقا لهذا المبدأ ،
مبدأ التضامن والحصول على المساعدات والقروض الأجنبية .. ولكننا نقبل
القروض والمساعدات غير المشروطة وحدها . بل نحن نشترط حينما
نقبلها ألا تنال من استقلالنا أو كرامتنا أو حريتنا فى العمل وفق مبادئنا
على طول الدنيا وعرضها .

نحن ننادى أن تقدم الدول المتقدمة مساعدتها غير المشروطة للدول
النامية .. وأن تساعد كلتاها الدول المتخلفة .. فان تحرر بلد يساعد
على تحرر غيرها .. وتقدم شعب يقضى على تخلف غيره .. والتعاون الدولى
هو الفضيلة الانسانية المحققة لذلك .. وهنا ينص الميثاق : « ان التعاون
الدولى من أجل الرخاء من جانب الدول المتقدمة هو التفكير الانسانى الذى
يشترك فيه المسئولون وغير المسئولين عن العصر الاستعمارى » .

لهذا فنحن نتبادل المساعدات مع الغير ، وما دمنا نأخذ فاننا نعطي ،
والا لما وجدنا من يعطينا ومن يثق فينا .

تلك هى خطوط سياستنا الخارجية التى تعبر تعبيرا صادقا
لسياستنا الخارجية وكلاهما ينبع أصلا من تاريخنا وديننا وظروفنا
ومصالح جماعتنا .. ليس فيها ما هو مستورد أو مفروض أو مرسوم
من المذاهب السياسية العالمية - التاريخية أو المعاصرة .

ونحن نلتزم بأهداف هذه المبادئ المستوحاة من قيمنا - في المجالات الستة التي تدور فيها سياستنا الخارجية : -

١ - مجال الأمم المتحدة

٢ - مجال دول عدم الانحياز

٣ - مجال الدول الأفريقية والآسيوية

٤ - المجال الإسلامي

٥ - المجال الأفريقي

٦ - المجال العربي

١ - مجال الأمم المتحدة :

ان الأمم المتحدة • ومكاتبها ، وأروقتها ، ومؤتمراتها ، ومنظماتها ولجانها المختلفة - هي أكبر مركز تجمع عالمي أمكننا أن نغرس فيه عمل مبادئنا الداعية الى السلام وتحرير الشعوب •• بل هي أحسن حلقة نصارع عليها الاستعمار ، ونحشد للقضاء عليه الأعوان والانصار ، وهي أنسب منتدى ندعو فيه الى التضامن الدولي •• فهناك أمكن للرئيس جمال عبد الناصر أن ، ينادي علانية بتصفية الاستعمار ، في خطابه التاريخي •

هناك تقدم باقتراح يطلب رصد أموال التسليح من أجل التنمية الاقتصادية •• وفي هذا قال الميثاق : « ان شعبنا الذي شارك في الجهود الانسانية العظيمة المكرسة لتحريم التجارب الذرية ، وشارك ايجابيا في العمل من أجل نزع السلاح ، انما كان يصدر عن ايمان مطلق بالسلام •• لأنه يؤمن ايمانا مطلقا بالحياة • »

ان مكافحة التخلف والقضاء عليه في كل بقاع العالم ، يحتاج الى ١٤ مليار دولار •• في حين أن ماينفق على التسليح من جانب روسيا وأمريكا وحدهما ١٨ مليار دولار ، أي بزيادة ٤ مليارات من الدولار عما يكفي لأن تحيا البشرية كلها حياة رخاء وسعادة ورفاهية •

لذلك فان سياستنا « تشمل الدعوة الى توجيه الذرة للسلام ، حتى تستطيع أن تخدم قضية التطوير وتضيء جوانب التخلف المظلم •• والتبشير بفكرة توجيه المبالغ الطائلة ، التي توجه الى صنع الأسلحة النووية » لتخدم الحياة ، بدلا من أن ترصد لها وتبرص بها •

٢ - مجال دول عدم الانحياز :

وهذا مجال أضيق من دائرة الأمم المتحدة ، نربط به . . فقد كان ، رئيسنا عبد الناصر أحد الأقطاب المؤسسين لهذه الفكرة ، ثم أكدها في مؤتمر باندونج .

وتنبع فلسفة عدم الانحياز من ايمان بأن انقاذ البشرية من الدمار ، يتوقف على امكان القضاء على الأحلاف العسكرية بوجه عام ، والتربص المؤدى لذلك القائم بين المعسكرين الشرقي والغربي بوجه خاص ، وما يملكان من وسائل الدمار ، وما يجنسانه من أحلاف : الاطلنطي ، ووارسو ، وجنوب شرق آسيا ، والحلف المركزي - لتطوق كل منها الأخرى . بالقواعد الذرية والأساطيل ، مما يعصف بالسلام العالمى . ففكرة عدم الانحياز موجهة ضد الاحلاف ، وضد التجمعات . . العدوانية الغاشمة التى تحاول فرض الحلول بالقوة والتهديد واستخدام السلاح ولا يضر بالفكرة . أن بعض دول عدم الانحياز - مرتبطة حاليا ببعض الاحلاف . فان هذه الدول تسعى للتخلص من ارتباطاتها بها .

٣ - المجال الافريقى الآسيوى :

تختلط فى هذا المجال دول من المجالين السابقين ، أو من مجال الأحلاف ولسنا منه . . وما يهمنا أنها تشترك معنا فى جزء هام من سياستنا الخارجية وهو الاتفاق على مبدأ وهدف واحد هو « محاربة الاستعمار بجميع صوره » .

فالصين مثلا عضو فى التضامن الآسيوى الافريقى ، برغم انحيازها ضد الولايات المتحدة ، ولكنها تشترك معنا فى محاربة الاستعمار ، وقد أثبتت الحوادث الدولية أنها من أفضل الدول الايجابية الجادة فى اتباع هذا المبدأ .

كذلك روسيا ، تسير معنا على نفس المبدأ ضد الاستعمار الغربى ، ولذا نؤيد دعوتها فى المؤتمر القادم للدول الافريقية والآسيوية .

٤ - المجال الاسلامى :

ذلك المجال لا يعرف تحديدا دوليا، وارتباطنا به وليد فروض دينية روحية ، عاطفية ، اسلامية ، تربطنا بشعوب مسلمة ، وأفراد مسلمين، أينما كانوا .

وتستند سياستنا في هذا المجال على نصوص من قوله تعالى :
« يأيتها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا » .

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر » .

« ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

وعلى هذا فنحن نوّمن بالأخوة الانسانية ، فلها علينا حق الهداية ،
وعليها لنا واجب التبشير بدين الله . غير أن الأحق أن يتبع أن نبداً
بالأقربين . . فنبدل المساعدة لهم عن طريق الأزهر ، ليزدادوا قدرة على
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتفهم أصول دينهم والحفاظ على مقدساته
ونشره بين الناس .

ونحن نفرق في ذلك بين الشعوب والحكومات ، فمن الشعوب
المسلمة ما تسيطر عليها حكومات غير مسلمة ، أو حكومات مسلمة
بالاسم ، تتخذ من دون الله وليا ، تتخذ من الغرب وليا ونصيرا دون
الله . فنحن لا نساعدنا . لأنها تخلت عن العزة التي جعلها الله
للمؤمنين .

فتركيا في صراعها مع القبارصة اليونانيين المجاهدين للتححرر من
النفوذ البريطاني وقاعدته التي ضربتنا منها عام ١٩٥٦ ، لا تعاون معها
حتى تقىء الى أمر الله .

المهم أن علاقتنا ونشاطنا في المجال الاسلامي مفتوح الى أبعد مدى
مع الشعوب ، ومع الحكومات التي ترعى الاسلام ، وترعى الله في
سياستها الخارجية والداخلية ، ومع الأفراد المتطلعين الى التزود من بحر
العلم ومن أصول الدين ، المتحمسين الى نشر الهداية في العالمين .

وفيما عدا ذلك فنحن في حل من الاحتفاظ بالعلاقات الودية مع
حكومات تبتعد عن روح الاسلام وتعاليمه .

٥ - المجال الافريقي :

ويرجع اهتمامنا بالدائرة الافريقية الى أن افريقية هي مصدر
الحياة ، والأمان لنا . . من وسطها ينبع نيلنا الخالد العظيم . وأكثر

مشاركنا الاقتصادية والسياسية تحل في افريقية وهى فوق ذلك القارة
الأم ، فنحن افريقيون .

وقد أضيف الى ذلك عامل جديد . . فمركتنا مع اسرائيل تتجه
الى افريقية بعد أن ضيقنا عليها الحصار الاقتصادى بالمقاطعة وقفل قناة
السويس فى وجه سفنها ، وفرضنا عليها التهديد المباشر . . هذا جعلها
تتجه الى افريقية لتفتح فيها منافذ اقتصادية تؤمن جانبها ، وتدعم
اقتصادياتها استعدادا للاستغناء تدريجيا عن المساعدات الأجنبية التى
ستنقطع عنها حتما بعد أن تخسر موقعها فى فلسطين وتجلو عنه .

وكانت اسرائيل قد اتجهت بهذه المحاولة من قبل الى آسيا : فى
بورما وماليزيا ، ولكنها طوردت بعد أن أدركت الشعوب أن اسرائيل
ليست الا قناعا يخفى وجه الاستعمار الجديد .

ويرجع تغلغل اسرائيل فى افريقية الى أن الاستعمار الانجليزى
والفرنسى والبلجيكى ، كان اذا أرغم على ترك بلد ، عاد اليها فى صورة
تاجر مستغل جديد ، وكانت اسرائيل دائما هى القناع الذى يعود به
الاستعمار الى تلك الدول بعد اعلان استقلالها . . يروج لها الدعايات
الطنانة ، ويقول : انها غنية ومتقدمة برغم احاطة الدول العربية بها
والمحاولة المستمرة للقضاء عليها . . تعطى القروض والمعونات وتبنى
التقدم لمن يمد يده اليها من الافريقيين .

ودورنا فى افريقية أن نبصر الشعوب بحقيقة اسرائيل ونواياها . .
ومصادر أموالها وأهدافها فى خدمة سيدها الاستعمار لتمكن له من رقاب
الشعوب ، وتحصل على السمسرة .

٦ - المجال العربى :

ان هذا المجال مجال حيوى ، يحتاج الى بحث منفرد ، ولا غرابة
فقد خصه الميثاق بباب بأكمله . . البعض يرى أن المجال العربى خارج
عن السياسة الخارجية ، والبعض يصر على أن هذا المجال لا ينفصل عن
السياسة الخارجية الى أن تتحقق الوحدة العربية ، فتصبح السياسة
العربية ضمن سياستنا الداخلية باذن الله غدا ، وان غدا لناظره قريب .

وباختصار . . فاننا نعيش فى عالم التكتلات والتجمعات . وان
القومية العربية ووحدها ، لهى أولى هذه الآمال فى عالم متكتل متضامن
متعاون ، فان الوحدة العربية هى حقيقة وجودنا .

لقد طرحت أوروبا الحروب والتناحر بين دولها ، واتحدت أغلبها
إيماناً بأن عالم اليوم لا يمكن أن تنعزل عنه دولة بنفسها وتعيش في
سلام ، فإننا نعيش في عالم العمالة الذي لا حياة فيه للأقزام .

أمريكا ، ما كانت لتصل إلى هذه القوة لو بقيت كما كانت خمسين
دويلة لا يضمها اتحاد متكامل .

الاتحاد السوفيتي تكمن قوته الحقيقية في أنه دولة ضمت عدة دول
تشكل شبه قارة عظيمة .

الصين . . دولة السبعمئة مليون نفس .

ولكي يكتمل بناء الجمهورية العربية المتحدة لا بد أن يمتد هذا
الكيان العملاق من الخليج إلى المحيط .

هذا هو دورنا وواجبنا ، دورنا في العراق ، وفي اليمن ، وفي
المحميات ، وفي الجنوب المحتل ، وفي كل مكان من الوطن العربي شرقاً
وغرباً ، مهما كانت التضحيات . فإنها أرخص من الأهداف المجيدة .

وعلى الله التوفيق .

المراجع

- ١ - الميثاق
- ٢ - محاضرات الدورة التدريبية الأولى
للقائدات بـلجنة محافظة القاهرة
الآتى بيانها :
للـسيد زكريا محبى الدين
للـدكتور حسين خلاف
للـسيد حسن صبرى الخولى
للـسيد كمال الدين الحناوى
للـدكتور سليمان الطماوى
للـدكتور أحمد كمال أبو المجد
للـسيد أمين عز الدين
للـدكتور ليلى شقير
للـدكتور أحمد القشيري
للـدكتور محمد طلعت عيسى
للـدكتور محمد طلعت عيسى
للـدكتور محمد طلعت عيسى
للـدكتور أحمد الخشاب
للـدكتور أحمد الخشاب
للـدكتور مصطفى الخشاب
- محاضرة التنمية المصرية
العمل السياسى
الصهيونية وعلاقتها
بالاستعمار
رسالة الدعاة
الديمقراطية
القيم الروحية والاشتراكية
الاجتماعات وفن المناقشة
بعض أوجه التقدم فى الاقتصاد
المصرى
السياسة الخارجية للجمهورية
العربية المتحدة
- ٣ - العلاقات العامة والاعلام
- ٤ - التخطيط الاجتماعى
- ٥ - الاشتراكية العربية
والاشتراكيات العالمية
- ٦ - الارشاد الاجتماعى
- ٧ - الضبط الاجتماعى
- ٨ - نظريات ومذاهب سياسية

- ٩ - علم الاجتماع التربوي للدكتور عبد العزيز عزت
- ١٠ - السلطة في المجتمع للدكتور عبد العزيز عزت
- ١١ - علم النفس الصناعي للدكتور عثمان نجاتي
- ١٢ - الدعاية السياسية والاستعلام للدكتور مصطفى الحفناوي
- ١٣ - في الطريق الى الحرية -
والاشتراكية والوحدة للدكتور محمود الجوهري
- ١٤ - ثورتنا وقصة فلسطين
(العدد ٢٨ من المجلة المصرية
للعلوم السياسية) للدكتور يحيى الجمل
- ١٥ - التوعية القومية - الوسائل
والتطبيق - حلقة دراسية
عقدتها محافظة القاهرة في
١٦/٢/١٩٦٣
- ١٦ - مقال خطير ... لآرنولد
توينبي اصدار جامعة الدول العربية
- ١٧ - مقاطعة اسرائيل اصدار جامعة الدول العربية
- ١٨ - المطامع اليهودية اصدار الهيئة العربية العليا لفلسطين

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة :	٣
الدعوة والدعاة	٥
الجماهير	
تجميعها - تجمعاتها - اجتماعاتها	٢١
العمل السياسى بين أمس واليوم	٣٥
العلاقة بين الدين والاشتراكية	٤٧
الرأى العام	٦٥
الديمقراطية السليمة والديمقراطية الزائفة	٨٧
مشكلة التنمية الاقتصادية	١٠١
قصة الاستعمار والصهيونية	١٢٩
السياسة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة	١٦١
المراجع	١٧٩

الدار القومية للطباعة والنشر

31
5

Library Alexandria



0230841



العدد ٣٣٦

٢

الشمس ٢٢

١٩٦٦/٥/٢٤